This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at http://books.google.com/

Digitized by Google

U. C. BERKELEY LIBRARIES
C059801571

GIFT OF
HORACE W. CARPENTIER

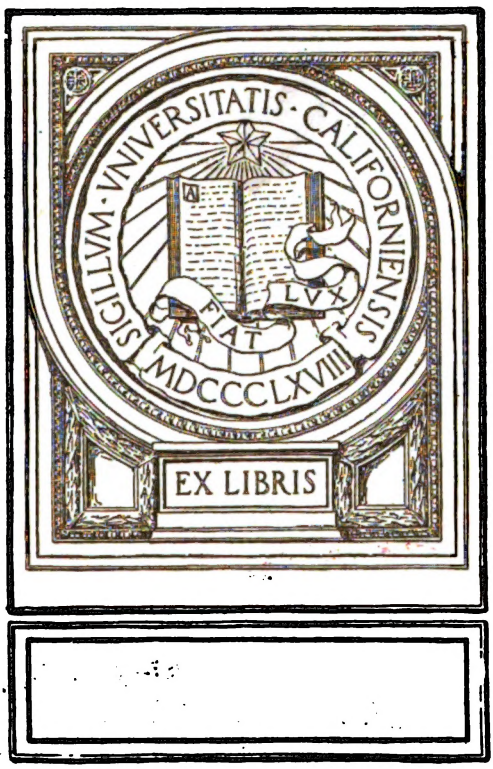

Digitized by Google

14 DAY USE
RETURN TO DESK FROM WHICH BORROWED

LOAN DEPT.

This book is due on the last date stamped below, or
on the date to which renewed.
Renewed books are subject to immediate recall.

11Nov58AB

RECD LD
JAN 26 1959

FEB 16 1960 25
IN STACKS

FEB 2 1965

JUN 8 '66 4 0 RCD
OCT 10 1 7

REC'D LD MAY 21 '70 8 PM

OCT 3 1974

MAY 0 1999

LD 21A-50m-9,'58
(6889s10)476B

General Library
University of California
Berkeley

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب الملل والنحل

BOOK

OF

RELIGIOUS AND PHILOSOPHICAL SECTS,

BY

MUHAMMAD AL-SHAHRASTÁNI.

PART II.

CONTAINING

THE ACCOUNT OF PHILOSOPHICAL SECTS.

NOW FIRST EDITED FROM THE COLLATION OF SEVERAL MSS.

BY THE

REV. WILLIAM CURETON, M.A. F.R.S.

ASSISTANT KEEPER OF THE MANUSCRIPTS IN THE BRITISH MUSEUM,

LATE SUB-LIBRARIAN OF THE BODLEIAN LIBRARY.

LONDON:

PRINTED FOR THE SOCIETY FOR THE PUBLICATION OF ORIENTAL TEXTS.

SOLD BY

JAMES MADDEN & Co., 8, LEADENHALL STREET;

AND BY F. A. BROCKHAUS, LEIPSIC.

M DCCC XLVI.

Digitized by Google

UNIV. OF
CALIFORNIA

CARPENTIER

Digitized by Google

UNIV. OF CALIFORNIA

الجزو الثاني

من

كتاب الملل والنحل

ذكر اهل الاهواء والنحل

Digitized by Google

UNIV. OF
CALIFORNIA

بسم الله الرحمن الرحيم

اهل الاهواء والنحل وهولاء يقابلون ارباب الديانات تقابل التضاد كما ذكرنا واعتمادهم علي الفطرة السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي فمن معطّل بطال لا يرد عليه فكرة برادة ولا يهديه عقله ونظره الي اعتقاد ولا يرشده فكرة وذهنه الي معاد قد الف المحسوس وركن اليه وظن انه لا عالم سوي ما هو فيه من مطعم شهي ومنظر بهي ولا عالم وراء عالم المحسوس وهولاء هم الطبيعيون الدهريون لا يثبتون معقولاً ومن محصل نوع تحصيل قد ترقّي عن المحسوس واثبت المعقول لكنه لا يقول بحدود واحكام وشريعة واسلام ويظن انه اذا حصل المعقول واثبت للعالم مبدأً ومعاداً وصل الي الكمال المطلوب من جنسه فتكون سعادته علي قدر احاطته وعلمه وشقاوته بقدر سفاهته وجهله وعقله هو المستبد بتحصيل هذه السعادة ووضعه هو المستعد لقبول تلك الشقاوة وهولاء هم الفلاسفة الالهيون قالوا والشرائع واصحابها امور مصلحية عامة والحدود والاحكام والحلال والحرام امور وضعية واصحاب الشرائع رجال لهم حكم علمية وربما يؤيدون من عند واهب الصور باثبات احكام ووضع حلال وحرام مصلحة للعباد وعمارة للبلاد وما يخبرون

Digitized by Google

BL75
S5
1846

عنه من الامور الكائنة في المحال من احوال عالم الروحانيين من الملائكة والعرش ٧٠٢
والكرسي واللوح والقلم فانما هي امور معقولة لهم قد عبّروا عنها بصور خيالية
جسمانية وكذلك ما يخبرون من احوال المعاد من الجنة والنار ثم قصور وانهار
وطيور وثمار في الجنة فترغيبات للعوام بما يميل اليه طباعهم وسلاسل واغلال
وخزي ونكال في النار فترهيبات للعوام مما ينزجر عنه طباعهم والا ففي العالم
العلوي لا يتصور اشكال جسمانية وصور جرمانية وهذا احسن ما يعتقدونه في
الانبياء لست اعني بهم الذين اخذوا علومهم من مشكوة النبوة وانما اعني بهولاء
الذين كانوا في الزمن الاول دهرية وحشيشية وطبيعية والهية قد اغترّوا بحكمهم
واستقلوا باهوائهم وبدعهم ثم يتلوهم ويقرب منهم قوم يقولون بحدود واحكام
عقلية وربما اخذوا اصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي الا انهم اقتصروا علي الاول
منهم وما تعدّوا الي الاخر وهولاء هم الصابية الاولي الذين قالوا بعاذيمون وهرمس
وهما شيث وادريس ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء والتقسيم الضابط ان يقول
من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية ومنهم من
يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية ومنهم من يقول بالمحسوس
والمعقول ولا يقول بحدود واحكام وهم الفلاسفة الدهرية ومنهم من يقول
بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابية
ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة ما واسلام ولا يقول بشريعة المصطفي صلي
الله عليه وسلم وهم اليهود والنصاري ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون
ونحن قد فرغنا عمّن يقول بالشرائع والاديان فنتكلم الان فيمن لا يقول بها ويستبدّ
برايه وهواه في مقابلتهم

719002

Digitized by Google

الصابية قد ذكرنا ان الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة صبا الرجل اذا مال وزاغ فبحكم ميل هولاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم الصابية وقد يقال صبا الرجل اذا عشق وهوي وهم يقولون الصبوة هو الانحلال عن قيد الرجال وانما مدار مذهبهم علي التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابية تدّعي ان مذهبنا هو الاكتساب والحنفاء تدّعي ان مذهبنا هو الفطرة فدعوة الصابية الي الاكتساب ودعوة الحنفاء الي الفطرة

اصحاب الروحانيات وفي العبارة لغتان روحاني بالضم من الروح وروحاني بالفتح من الروح والرُوح والرَوح متقاربان فكان الرُوح جوهر والرَوح حالته الخاصّة به ومذهب هولاء ان للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدّسًا عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الي جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلًا وحالة لما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرّأون عن القوي الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قد جبلوا علي الطهارة وفطروا علي التقديس والتسبيح لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما ارشدنا الي هذا معلّمنا الاول عاذيمون وهرمس فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم فهم اربابنا والهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو رب الارباب واله الالهة فالواجب علينا ان نطهّر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذّب اخلاقنا عن علائق القوي الشهوية والغضبية حتي يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ونعرض احوالنا عليهم ونصبوا في جميع امورنا اليهم فيشفعون

Digitized by Google

لنا الي خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا انفسنا عن دنيات الشهوات باستمداد من جهة الروحانيات والاستمداد هو التضرع والابتهال بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدّعي الوحي علي وتيرة واحدة قالوا والانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة ياكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة اناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم وبأيّة مزيّة لهم لزم متابعتهم وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ مقالتهم واما الفعل فقالوا الروحانيات هم الاسباب المتوسطون في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الي حال وتوجيه المخلوقات من مبدأ الي كمال يستمدون القوة من الحضرة الالهية القدسية ويفيضون الفيض علي الموجودات السفلية فمنها مدبرات الكواكب السبع السيّارة في افلاكها وهي هياكلها ولكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الي ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح الي الجسد فهو ربه ومدبره ومديره وكانوا يسمّون الهياكل اربابًا وربما يسمّونها اباء والعناصر امهات ففعل الروحانيات تحريكها علي قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوي جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل انواع النبات وانواع الحيوان ثم قد تكون التاثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزوية صادرة عن روحاني جزوي فمع جنس المطر ملك ومع

Digitized by Google

كل قطرة ملك ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو مما يصعد من الارض فينزل مثل الامطار والثلوج والبرد والرياح وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب وما يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح ونوات الاذناب والهالة والمجرة وما يحدث في الارض من الزلازل والمياه والابخرة الي غير ذلك ومنها متوسطات القوي السارية في جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات حتي لا تري موجوداً ما خالياً عن قوة وهداية اذا كان قابلاً لهما قالوا واما الحالة فاحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الارباب كيف يخفي ثم طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتمجيد والتهليل وانسهم بذكر الله تعالي وطاعته فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ومن قاعد لا يريد تبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة ومن خاشع بصره لا يرفع ومن ناظر لا يغمض ومن ساكن لا يتحرك ومن متحرك لا يسكن ومن كروبي في عالم القبض ومن روحاني في عالم البسط لا يعصون الله ما امرهم

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابية والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني المحض والبشرية النبوية ونحن اردنا ان نوردها علي شكل سوال وجواب وفيها فوائد لا تحصي

قالت الصابية الروحانيات ابدعت ابداعاً لا من شي لا مادة ولا هيولي وهي كلها جوهر واحد علي سنخ واحد وجواهرها انوار محضة لا ظلام فيها وهي من شدة ضيائها لا يدركها الحس ولا ينالها البصر ومن غاية لطافتها يحار لها العقل ولا يجول فيها الخيال ونوع الانسان مركب من العناصر الاربعة مولف من مادة

Digitized by Google

وصورة والعناصر متضادة ومزدوجة بطباعها اثنان منها مزدوجان واثنان منها متنافران ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج فما هو مبدع لا من شي لا يكون كمخترع من شي والمادة والهيولي منبع الشر ومنبع الفساد فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة والظلام كيف يساوي النور والمحتاج الي الازدواج والمضطر في هوة الاختلاف كيف يرقي الي درجة المستغني عنها اجابت الحنفاء بم عرفتم معاشر الصابية وجود هذه الروحانيات والحس ما دلكم عليه والدليل ما ارشدكم اليه قالوا عرفنا وجودها وتعرفنا احوالها من عاذيمون وهرمس شيث وادريس عليهما السلام قالت الحنفاء فقد ناقضتم وضع مذهبكم فان غرضكم في ترجيح الروحاني علي الجسماني نفي المتوسط البشري فصار نفيكم اثباتاً وعاد انكاركم اقراراً ثم من الذي يسلم ان المبدع لا من شي اشرف من المخترع عن شي بل وجانب الروحاني امر واحد وجانب الجسماني امران احدهما نفسه وروحه والثاني جسمه وجسده فهو من حيث الروح مبدع بامر الباري تعالي ومن حيث الجسد مخترع بخلقه ففيه اثران امري وخلقي وقولي وفعلي فساوي الروحاني بجهة وفضله بجهة خصوصاً اذا كان جهته الخلقية ما نقصت الجهة الاخري بل كملت وطهرت وانما الخطا عرض لكم من وجهين احدهما انكم فاضلتم بين الروحاني المجرد والجسماني المجرد فحكمتم بان الفضل للروحاني وصدقتم لكن المفاضلة بين الروحاني المجرد والجسماني والروحاني المجتمع ولا يحكم عاقل بان الفضل للروحاني المجرد فانه بطرف ساواه وبطرف سبقه والغرض فيما اذا لم يدنس بالمادة ولوازمها ولم يوثر فيه احكام التضاد والازدواج بل كان

Digitized by Google

مستخدمًا لها بحيث لا ينازعه في شي يريده ويرضاه بل صارت معينات له علي الغرض الذي لاجله حصل التركيب وعطلت الوحدة والبساطة وذلك تخليص النفوس التي تدنست بالمادة ولوازمها وصارت العلائق عوائق وليت شعري ما ذا يشين اللباس الخشن الشخص الجميل وكيف يزري اللفظ الرائق بالمعني المستقيم ونعم ما قيل

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل علي النفس ضيمها فليس الي حسن الثناء سبيل

هذا كمن خاير بين اللفظ المجرد والمعني المجرد اختار المعني قيل له لا بل خاير بين المعني المجرد والعبارة والمعني حقي لا يشك ان المعني اللطيف في العبارة الرشيقة اشرف من المعني المجرد واما الوجه الثاني انكم ما تصورتم من النبوة الا كمالاً وتماماً فحسب ولم يقع بصركم علي انها كمال هو مكمل غيره ففاضلتم بين كمالين مطلقاً وما حكمتم الا بالتساوي وترجيح جانب الروحاني ونحن نقول ما قولكم في كمالين احدهما كامل والثاني كامل ومكمل عالم ايهما اشرف قالت الصابية نوع الانسان ليس يخلوا من قوتي الشهوة والغضب وهما ينزعان الي البهيمية والسبعية وينازعان النفس الانسانية الي طباعهما فيثور من الشهوية الحرص والامل ومن الغضبية الكبر والحسد الي غيرهما من الاخلاق الذميمة فكيف يماثل من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما ولواحقهما صافية اوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها خالية طباعهم عن القواطع البشرية باسرها لم يحملهم الغضب علي حب الجاه ولا حملتهم الشهوة علي حب المال بل طباعهم مجبولة علي المحبة والموافقة وجواهرهم

مفطورة علي الالفة والاتحاد اجابت الحنفاء بان هذه المغالطة مثل الاولي حذو النعل بالنعل فان في طرف البشرية نفسين نفس حيوانية لها قوتان قوة الغضب وقوة الشهوة ونفس انسانية لها قوتان قوة علمية وقوة عملية وبتينك القوتين لها ان تجمع وتمنع وبهاتين القوتين لها ان تقسّم الامور وتفصّل الاحوال. ثم تعرض الاقسام علي العقل فيختار العقل الذي هو كالبصر النافذ له من العقائد الحق دون الباطل ومن الاقوال الصدق دون الكذب ومن الافعال الخير دون الشر ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشدة والشجاعة والحمية دون الذل والجبن والنذالة ويختار بها ايضاً من لوازم القوة الشهوية التألّف والتودّد والبذاذة دون الشرة والمهانة والخساسة فيكون من اشد الناس حمية علي خصمه وعدوه ومن ارحم الناس تذللاً وتواضعاً لوليّه وصديقه واذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين واستعملهما فيْ جانب الخير ثم يترقي منه الي ارشاد الخلائق في تزكية النفوس عن العلائق واطلاقها عن قيد الشهوة والغضب وابلاغها الي حال الكمال ومن المعلوم ان كل نفس شريفة عالية زكية هذه حالها لا تكون كنفس لا تنازعها قوة اخري علي خلاف طباعها وحكم العنين العاجز في امتناعه عن تنفيذ الشهوة لا يكون كحكم المتصون الزاهد المتورع في امساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه فان الاول مضطرّ عاجز والثاني مختار قادر حسن الاختيار جميل التصرف وليس الكمال والشرف في فقدان القوتين وانما الكمال كله في استخدام القوتين فنفس النبي صلي الله كنفوس الروحانيين فطرةً ووضعاً وبذلك الوجه وقعت الشركة وفضلها وتقدّمها باستخدام القوتين التي دونها فلم تستخدمه واستعمالها في جانب الخير والنظام فلم تستعمله وهو

Digitized by Google

الكمال قالت الصابية الروحانيات صور مجردة عن المواد وان قدر لها اشخاص تتعلق بها تصرفاً وتدبيراً لا ممازجة ومخالطة فاشخاصها نورانية او هياكل كما ذكرنا والغرض انها اذا كانت صوراً مجردة كانت موجودات بالفعل لا بالقوة كاملة لا ناقصة والمتوسط يجب ان يكون كاملاً حتي يكمل غيره واما الموجودات البشرية صور في مواد وان قدر لها نفوس فنفوسها اما مزاجية واما خارجة عن المزاج والغرض انها اذا كانت صوراً في مواد كانت موجودات بالقوة لا بالفعل ناقصة لا كاملة والمخرج من القوة الي الفعل يجب ان يكون امراً بالفعل ويجب ان يكون غير ذات ما يحتاج الي الخروج فان ما بالقوة لا يخرج بذاته من القوة الي الفعل بل بغيره والروحانيات هي المحتاج اليها حتي تخرج الجسمانيات الي الفعل والمحتاج اليه كيف يساوي المحتاج اجابت الحنفاء هذا الحكم الذي ذكرتموه وهو كون الروحانيات موجودات بالفعل غير مسلّم علي الاطلاق لان من الروحانيات ما وجوده بالقوة او ما فيه وجود بالقوة ويحتاج الي ما وجوده بالفعل حتي يخرجه من القوة الي الفعل فان النفس لها استعداد القبول من العقل عندكم والعقل له اعداد لكل شي وفيض علي كل شي واحدهما بالقوة والاخر بالفعل وهذا لضرورة الترتب في الموجودات العلوية فان من لم يثبت الترتب فيها لم يتمشّ له قاعدة عقلية اصلاً واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل روحاني كاملاً من كل وجه ولا كل جسماني ناقصاً من كل وجه فمن الجسمانيات ايضاً ما وجوده كامل بالفعل وسائر النفوس ايضاً محتاجة اليه وذلك ايضاً لضرورة الترتب في الموجودات السفلية وان من لم يثبت الترتب لم يستمرّ له

قاعدة عقلية اصلاً واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل جسماني ناقصاً من كل وجه قالت واذا سلّمتم لنا ان هذا العالم الجسماني في مقابلة ذلك العالم الروحاني وانما يختلفان من حيث ان ما في هذا العالم من الاعيان فهو اثار ذلك العالم وما في ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم والعالمان متقابلان كالشخص والظل واذا اثبتّم في ذلك العالم موجوداً ما بالفعل كاملاً تاماً ويصدر عنه سائر الموجودات وجوداً ووصولاً الي الكمال فيجب ان تثبتوا في هذا العالم ايضاً موجوداً ما بالفعل كاملاً تامًّا حتي يصدر عنه سائر الموجودات تعلّماً ووصولاً الي الكمال قالوا وانما طريقنا الي التعصب للرجال ونيابة الرسل في الصورة البشرية طريقكم في اثبات الارباب عندكم وهي الروحانيات السماوية وذلك احتياج كل مربوب الي رب يدبره ثم احتياج الارباب الي رب الارباب ومن العجب ان عند الصابية اكثر الروحانيات قابلة منفعلة وانما الفاعل الكامل واحد وعن هذا صار بعضهم الي ان الملائكة اناث وقد اخبر التنزيل عنهم بذلك واذا كان الفاعل الكامل المطلق واحد فما سواه قابل محتاج الي مخرج يخرج ما فيه بالقوة الي الفعل فكذلك نقول في الموجودات السفلية النفوس البشرية كلها قابلة للوصول الي الكمال بالعلم والعمل فيحتاج الي مخرج ما فيها بالقوة الي الفعل والمخرج هو النبي والرسول وما هو مخرج الشي من القوة الي الفعل لا يجوز ان يكون امراً بالقوة محتاجًا فان ما لم يتحقق بالفعل وجوداً لا يخرج غيره من القوة الي الفعل فالبيض لا يخرج البيض من القوة الي صورة الطير بل الطير يخرج البيض وهذا الجواب يماثل الجواب الاول من وجه وفيه

Digitized by Google

فائدة اخري من وجه اخر وهي ان عند الحنفاء المعقول لا يكون معقولاً حتي يثبت له مثال في المحسوس والا كان متخيلاً موهوماً والمحسوس لا يكون محسوساً حتي يثبت له مثال في المعقول والا كان سراباً معدوماً واذا ثبت هذه القاعدة فمن اثبت عالماً روحانياً واثبت فيه مدبراً كاملاً من جنسه وجوده بالفعل وفعله اخراج الموجودات من القوة الي الفعل بفيض الصور عليها علي قدر الاستحقاق فيلزمه ضرورة ان يثبت عالماً جسمانياً ويثبت فيه مدبراً كاملاً من جنسه وجوده بالفعل وفعله اخراج الموجودات من القوة الي الفعل بفيض الصور عليها علي قدر الاستحقاق ويسمي المدبر في ذلك العالم الروح الاول علي مذهب الصابية والمدبر في هذا العالم الرسول علي مذهب الحنفاء ثم يكون بين الرسول والروح مناسبة وملاقاة عقلية فيكون الروح الاول مصدراً والرسول مظهراً ويكون بين الرسول وسائر البشر مناسبة وملاقاة حسية فيكون الرسول مؤدّبًا والبشر قابلاً قالت الصابية الجسمانية مركبة من مادة وصورة والمادة لها طبيعة عدمية واذا بحثنا عن اسباب الشر والفساد والسفه والجهل لم نجد لها سبباً سوي المادة والعدم وهما منبعا الشر والروحانيات غير مركبة من المادة والصورة بل هي صورة مجردة والصورة لها طبيعة وجودية واذا بحثنا عن اسباب الخير والصلاح والحكمة والعلم لم نجد لها سبباً سوي الصورة وهي منبع الخير فنقول ما فيه اصل الخير او ما هو اصل الخير كيف يماثل ما فيه اصل الشر اجابت الحنفاء بان ما ذكرتم في المادة انها سبب الشر فغير مسلّم فان من المواد ما هو سبب الصور كلها عند قوم وذلك هو الهيولي الاولي والعنصر الاول حتي صار كثير من قدماء الفلاسفة الي ان وجودها قبل وجود العقل

Digitized by Google

ثم ان سُلّم فالمركب من المادة والصورة كالمركب من الوجوب والجواز عندكم فان الجواز له طبيعة عدمية وما من وجود سوي وجود الباري تعالي الا وجوده جائز بذاته واجب بغيره فيجب ان يلازمه اصل الشر قالوا وان سُلّم لكم ايضاً تلك المقدمة فعندنا صور النفوس البشرية وخصوصاً صور النفوس النبوية كانت موجودة قبل وجود المواد وهي المبادي الاول حتي صار كثير من الحكماء الي اثبات اناس سرمديين وهي الصور المجردة التي كانت موجودة كالظلال حول العرش يسبحون بحمد ربهم وكانت هي اصل الخير ومبدأ الوجود لكن لما البست الصور البشرية لباس المادة تشبثت بالطبيعة وصارت المادة شبكة لها فسامح عليها الواهب الاول فبعث اليها واحداً من عالمه والبسه لباس المادة ليخلص الصور عن الشبكة لا ليكون هو المتشبث بها المنغمس فيها المتوسخ باوضارها المتدنس باثارها والي هذا المعني اشارت حكماء الهند رمزاً بالحمامة المطوّقة والحمامات الواقعة في الشبكة ثم قالوا معاشر الصابية ابداً تشنعون علينا بالمادة ولوازمها وما لم يفصل القول فيها لم ينج من تشنيعكم فنقول النفوس البشرية وخصوصاً النبوية من حيث انها نفوس فهي مفارقة للمادة مشاركة لتلك النفوس الروحانية اما مشاركة في النوع بحيث يكون التمييز بالاعراض والامور العرضية واما مشاركة في الجنس بحيث يكون الفصل بالامور الذاتية ثم زادت علي تلك النفوس باقترانها بالجسد او بالمادة والجسد لم ينتقص منها بل كملت هي لوازم الجسد وكملت بها حيث استفادت من الامور الجسدانية ما تجسدت بها في ذلك العالم من العلوم الجزوية والاعمال الخلقية والروحانية فقدت هذه الابدان لفقدان هذا الاقتران فكان الاقتران خيراً لا شر فيه

Digitized by Google

وصلاحاً لا فساد معه ونظاماً لا شيج له فكيف لزمنا ما ذكرتموه قالت الصابية الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية كثيفة فكيف يتساويان والاعتبار في الشرف والفضيلة بذوات الاشياء وصفاتها ومراكزها ومحالّها فعالم الروحانيات العلو لغاية النور واللطافة وعالم الجسمانيات السفل لغاية الكثافة والظلم والعالمان متقابلان والكمال للعلوي لا للسفلي والصفتان متقابلتان والفضيلة للنور لا للظلمة اجابت الحنفاء قالوا لسنا نوافقكم اولاً ان الروحانيات كلها نورانية ولا نساعدكم ثانياً ان الشرف للعلو ولا نساهلكم اصلاً ان الاعتبار في الشرف بذوات الاشياء وعلينا بيان هذه المقدمات الثلث فان فيها فوائد اما الاولي فقالوا حكمتم علي الروحانيات حكم التساوي وما اعتبرتم فيها التضادّ والترتب واذا كانت الموجودات كلها روحانيها وجسمانيها علي قضية التضاد والترتب فلم اغفلتم الحكميين هاهنا وذلك ان من قال الروحاني هو ما ليس بجسماني فقد ادخل جواهر الشياطين والابالسة والاراكنة في جملة الروحانيات وكذلك من اثبت الجن اثبتها روحانية لا جسمانية ثم من الجن من هو مسلم ومنها من هو ظالم ومن قال الروحاني هو المخلوق روحاً فمن الارواح ما هو خير ومنها ما هو شرّير والارواح الخبيثة اضداد الارواح الطيبة فلا بد اذاً من اثبات تضاد بين الجنسين وتنافر بين الطرفين فلم نسلّم دعواكم انها كلها نورانية بلي وعندنا معاشر الحنفاء الروح هو الحاصل بامر الباري تعالي الباقي علي مقتضي امره فمن كان لامره تعالي اطوع وبرسالات رسله اصدق كانت الروحانية فيه اكثر والروح عليه اغلب ومن كان لامره تعالي انكر وبشرائعه اكذب كانت الشيطنة عليه اغلب هذه قاعدتنا في الروحانيات فلا روحاني ابلغ في

Digitized by Google

الروحانية من ذوات الانبياء والرسل عليهم السلم واما قولكم ان الشرف للعلو ان عنيتم به علو الجهة فلا شرف فيه فكم من عالٍ جهة سافل رتبة وعلماً وذاتاً وطبيعة وكم من سافل جهة عالٍ علي الاشياء كلها رتبة وفضيلة وذاتاً وطبيعة واما قولكم ان الاعتبار في الشرف بذوات الاشياء وصفاتها ومحالها ومراكزها فليس بحق وهو مذهب اللعين الاول حيث نظر الي ذاته وذات ادم عليه السلم ففضّل ذاته اذ هي مخلوقة من النار وهي علوية نورانية علي ذات ادم وهو مخلوق من الطين وهو سفلي ظلماني بل عندنا الاعتبار في الشرف بالامر وقبوله فمن كان اقبل لامره واطوع لحكمه وارضي بقدره فهو اشرف ومن كان علي خلاف ذلك فهو ابعد واخس واخبث فامر الباري تعالي هو الذي يعطي الروح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وبالروح يحيي الانسان الحيوة الحقيقية وبالحيوة يستعد للعقل العزيزي وبالعقل يكتسب الفضائل ويجتنب من الرذائل ومن لم يقبل امر الباري تعالي فلا روح له ولا حيوة له ولا عقل له ولا فضيلة ولا شرف عنده قالت الصابية الروحانيات فضلت الجسمانيات بقوتي العلم والعمل اما العلم فلا ينكر احاطتهم بمغيبات الامور عنّا واطّلاعهم علي مستقبل الاحوال الجارية علينا ولان علومهم كلية وعلوم الجسمانيا ت جزوية وعلومهم فعلية وعلوم الجسمانيات انفعالية وعلومهم فطرية وعلوم الجسمانيات كسبية فمن هذه الوجوه تحقق لها الشرف علي الجسمانيات واما العمل فلا ينكر ايضاً عكوفهم علي العبادة ودوامهم علي الطاعة يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يلحقهم كلال ولا سامة ولا يرهقهم ملال ولا ندامة فتحقق لها الشرف ايضاً بهذا الطريق وكان امر الجسمانيات بالخلاف من ذلك اجابت الحنفاء عن هذا بجوابين احدهما

التسوية بين الطرفين واثبات زيادة في جانب الانبياء والثاني بيان ثبوت الشرف في غير العلم والعمل اما الاول قالوا علوم الانبياء كلية وجزوية وفعلية وانفعالية وفطرية وكسبية فمن حيث يلاحظ عقولهم عالم الغيب منصرفة عن عالم الشهادة يحصل لهم العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة ثم اذا لاحظوا عالم الشهادة حصلت لهم العلوم الجزوية اكتساباً بالحواس علي ترتيب وتدريج فكما ان للانسان علوماً فطرية هي المعقولات وعلوماً حاصلة بالحواس عن المحسوسات فعالم المعقولات بالنسبة الي الانبياء كعالم المحسوسات بالنسبة الي سائر الناس فنظرياتنا فطرية لهم ونظرياتهم لا نصل اليها قط بل ومحسوساتنا مكتسبة لهم ولنا بكواسب الجوارح جوارح الحواس فامزجة الانبياء امزجة نفسانية ونفوسهم نفوس عقلية وعقولهم عقول امرية فطرية ولو وقع حجاب في بعض الاوقات فذاك لموافقتنا ومشاركتنا كي تزكي هذه العقول وتصفي هذه الاذهان والنفوس والا فدرجاتهم وراء ما يقدر الثاني انهم قالوا من العجب انهم لا يعجبون بهذه العلوم بل ويوثرون التسليم علي البصيرة والعجز علي القدرة والتبري من الحول والقوة علي الاستقلال والفطرة علي الاكتساب وَلَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ علي إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَي عِلْمٍ عِنْدِي ويعلمون ان الملائكة والروحانيات باسرها وان علمت الي غاية قوة نظرها وادراكها ما احاطت بما احاط به علم الباري تعالي بل لكل منهم مطرح نظر ومسرح فكر ومجال عقل ومنتهي امل ومطار وهم وخيال وانهم الي الحد الذي انتهي نظرهم اليه مستبصرون ومن ذلك الحد الي ما وراه مما لا يتناهي مسلمون مصدقون وانما كمالهم في التسليم لما لا يعلمون والتصديق لما يجهلون ونحن نسبح

Digitized by Google

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ليس كمال حالهم بل سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا هو الكمال فمن اين لكم معاشر الصابية ان الكمال والشرف في العلم والعمل لا في التسليم والتوكل واذا كانت غاية العلوم هذه الدرجة فجعلت نهاية اقدام الملائكة والروحانيين بداية اقدام السالكين من الانبياء والمرسلين قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ فعالم الروحانيات بالنسبة اليهم شهادة وبالنسبة الينا غيب وعالم البشر الجسمانيات بالنسبة الينا شهادة وبالنسبة اليهم غيب والله تعالي هو الذي يعلم السر واخفي قالت الحنفاء من علم انه لا يعلم فقد احاط بكل علم ومن اعترف بالعجز عن اداء الشكر فقد ادّي كل الشكر قالت الصابية الروحانيات لهم قوة تصريف الاجسام وتقليب الاجرام والقوة التي لهم ليست من جنس القوي المزاجية حتي يعرض لها كلال ولغوب فتتحسر ولكن القوي الروحانية بالخواص الجسمانية اشبه وانك تري الخامة اللطيفة من النبات في بدو نموها تفتق الحجر وتشق الصخر وما ذلك الا لقوة نباتية فاضت عليها من القوي السماوية ولو كانت هي قوي مزاجية لما بلغت الي هذا المنتهي فالروحانيات هي التي تتصرف في الاجسام تقليباً وتصريفاً لا يثقلهم حمل الثقيل ولا يستخفّهم تحريك الخفيف فالرياح تهبّ بتحريكها والسحاب تعرض وتنزول بتصريفها وكذلك الزلازل تقع في الجبال بسبب من جهتها وكل هذه وان استندت الي اسباب جزوية فانها تستند في الاخرة الي اسباب من جهتها ومثل هذه القوة عديم الوجود في الجسمانيات اجابت الحنفاء وقالوا منّا يقتبس تفصيل القوي وتجنيسها فان القوي تنقسم الي قوي معدنية وقوي نباتية وقوي حيوانية وقوي انسانية وقوي ملكية روحانية

Digitized by Google

وقوي نبوية ربانية فالانسان مجمع القوي بجملتها والانسانية النبوية يفضلها بقوي ربانية ومعانٍ الهية فنذكر اولاً وجه تركيب الانسان ووجه ترتيب القوي فيه ثم نذكر تركيب البشرية النبوية وترتيب القوي فيها ثم نخاير بين الوضعين الروحاني منهما والجسماني واليك الاختيار اما شخص الانسان فمركب من الاركان الاربعة التراب والماء والهواء والنار التي لها الطبائع الاربعة اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ثم تركب فيه نفوس ثلث احديها نفس نباتية تنمو وتغتذي وتولد المثل والثانية نفس حيوانية تحس وتتحرك بالارادة والثالثة نفس انسانية بها يميّز ويفكر ويعبر عما يفكر ووجود النفس الاولي من الاركان وطبائعها وبقاوها بها واستمدادها منها ووجود النفس الثانية من الافلاك وحركاتها وبقاوها بها واستمدادها منها ووجود النفس الثالثة من العقول البحتة والروحانيات الصرفة وبقاوها بها واستمدادها منها ثم ان النباتية تطلب الغذاء طبعاً والحيوانية تطلب الغذاء حسًّا والانسانية تطلب الغذاء اختياراً وعقلاً ولكل نفس منها محل فمحل النباتية الكبد ومنه مبدأ النمو والنشو وعن هذا جعل فيه عروق دقاق ينفذ فيها الغذاء الي الاطراف ومحل الحيوانية القلب ومنه مبدأ تدبير الحسّ والحركة وعن هذا فتح منه عروق الي الدماغ فيصعد الي الدماغ من حرارته ما يعدّل تلك البرودة وينزل منه من اثاره ما يدبر به الحركة ومحل الانسانية تصريفاً وتدبيراً الدماغ ومنه مبدأ الفكر والتعبير عن الفكر وعن هذا فتحت اليه ابواب الحسائس مما يلي هذا العالم وفتحت اليه ابواب المشاعر مما يلي ذلك العالم وهاهنا ثلثة اعضاء ممدات لا بد منها المعدة التي تمد الكبد بالغذاء والرية التي تمد القلب بترويح الهواء

Digitized by Google

والعروق التي تمد الدماغ بالحرارة فاذاً التركيب الانساني اشرف التراكيب فان فيها جميع اثار العالم الجسماني والروحاني وتركيب القوي فيه اكمل التراكيب فهو مجمع اثار الكونين والعالمين فكل ما هو في العالم منتشر ففيه مجتمع وكل ما هو فيه من خواص الاجتماع فليس للعالم البتة لان للاجتماع والتركيب خاصية لا توجد في حال الافتراق والانحلال واعتبر فيه حال السكر والخل وحال السكنجبين وكذا الحكم في كل مزاج هذا وجه تركيب البدن وترتيب القوي الخاصة به اما وجه اتصال النفس به وترتيب القوي الخاصة بها مما يلي هذا العالم ومما يلي ذلك العالم فاعلم ان النفس الانسانية جوهر هو اصل القوي المحركة والمدركة والحافظة للمزاج تحرّك الشخص بالارادة لا في جهات ميله الطبيعي ويتصرف في اجزائه ثم في جملته ويحفظ مزاجه عن الانحلال ويدرك بالمشاعر المركوزة فيه وهي الحواس الخمس فبالقوة الباصرة يدرك الالوان والاشكال وبالقوة السامعة يدرك الاصوات والكلمات وبالقوة الشامة يدرك الروائح وبالقوة الذائقة يدرك المطعومات وبالقوة اللامسة يدرك الملموسات وله فروع من قوي منبثّة في اعضاء البدن حتي اذا حس بشي من اعضائه او تخيّل او توهّم او اشتهي او غضب القي العلاقة التي بينه وبين تلك الفروع هيئة فيه حتي يفعل وله ادراك وقوة تحريك اما الادراك فهو ان يكون مثال حقيقة المدرك متمثلاً مترسماً في ذات المدرك غير مباين له ثم المثال قد يكون مثال صورة الشي وقد يكون مثال حقيقته ومثال صورة الشي هو ما يكون محسوساً فيرتسم في القوة الباصرة وقد غشيته غواش غريبة عن ماهيته لو ازيلت عنه لم توثر في كنه ماهيته مثل اين وكيف ووضع وكم معينة

Digitized by Google

لو توهم بدلها غيرها لم توثر في ماهية ذلك المدرك والحس يناله من حيث هو مغمور في هذه العوارض التي تلحقه بسبب المادة لا يجردها عنه ولا يناله الا بعلاقة وضعية بين حسّه ومادته ثم الخيال الباطن فيتخيله مع تلك العوارض التي لا يقدر علي تجريده المطلق عنها لكنه يجرده عن تلك العلاقة الوضعية التي تعلّق بها الحس وهو يتمثل صورته مع غيبوبة حاملها وعنده مثال العوارض لا نفس العوارض ثم الفكر العقلي يجرّده عن تلك العوارض فيعرض ماهيته وحقيقته علي العقل فيرتسم فيه مثال حقيقته حتي كانه عمل بالمحسوس عملاً جعله معقولاً واما ما هو بريٌ في ذاته عن الشوائب المادية منزه عن العوارض الغريبة فهو معقول لذاته ليس يحتاج الي عمل يعمل فيه فيعقله ما من شانه ان يعقله وذلك بلا مثال له يتمثل في العقل ولا ماهية له فيتجرّد له ولا وصول اليه بالاحاطة والفكرة الا ان برهان ان يدلنا عليه ويرشدنا اليه ولربما يلاحظ العقل الانساني عالم العقل الفعّال فيرتسم فيه من الصور المجردة المعقولة ارتساماً بريأً عن العلائق المادية والعوارض الغريبة فيبتدر الخيال الي تمثّله فيمثّله في صورة خيالية مما يناسب عالم الحس فينحدر الي الحس المشترك ذلك المثال فيصيره كانه يراه معايناً مشاهداً يناجيه ويشاهده حتي كان العقل عمل بالمعقول عملاً جعله محسوساً وذلك انما يكون عند اشتغال الحواس كلها عن اشغالها وسكون المشاعر عن حركاتها في النوم لجماعة وفي اليقظة للابرار يا عجبًا كل العجب من تركيب علي هذا النمط فمن اين لغيره مثله ونعود الي ترتيب القوي وتعيين محالها اما القوي المتعلقة بالبدن التي ذكرناها الات ومشاعر للجوهر الانساني فالاولي منها الحس

المشترك المعروف ببنطاسيا الذي هو مجمع الحواس ومورد المحسوسات والتها الروح المصبوب في مبادي عصب الحس لا سيما في مقدم الدماغ والثانية الخيال والمصوّرة والته الروح المصبوب في البطن المقدم من الدماغ لا سيما في الجانب الاخير والثالثة الوهم الذي هو لكثير من الحيوانات وهو ما به تدرك الشاة معني في الذيب فتنفر منه و به تدرك معني في النوع فتفرّ اليه وتزدوج به والته الدماغ كله لكن الاخصّ منه به هو التجويف الاوسط والرابعة المفكرة وهي قوة لها ان تركب وتفصل مما يليها من الصور الماخوذة عن الحس المشترك والمعاني الوهمية المدركة بالوهم فتارة تجمع وتارة تفصل وتارة تلاحظ العقل فتعرض عليه وتارة تلاحظ الحس فتاخذ منه وسلطانها في الجزو الاول من وسط الدماغ وكانها قوة ما للوهم وبتوسط الوهم للعقل والخامسة القوة الحافظة وهي التي كالخزانة لهذه المدركات الحسية والوهمية والخيالية دون العقلية الصرفة فان المعقول البحت لا يرتسم في جسم ولا في قوة في جسم والحافظة قوة في جسم والتها الروح المصبوب في اول البطن الموخر من الدماغ والسادسة القوة الذاكرة وهي التي تستعرض ما في الخزانة علي جانب العقل او علي الخيال والوهم والتها الروح المصبوب في اخر البطن الموخر واما المعقول الصرف المبرّا عن الشوائب المادية فلا يحل في قوة جسمانية والة جسدانية حتي يقال ينقسم بانقسامها ويتحقق لها وضع ومثال ولهذا لم يكن القوة الحافظة خزانة لها بل المصدر الاول الذي افاض عليها تلك الصورة صار خازناً لها حيث ما طالعته النفس الانسانية بقوتها العقلية المناسبة لواهب الصور نوعًا من المناسبة فاضت منه عليها تلك الصورة المستحفظة له حتي كانه

Digitized by Google

ذكرها بعدما نسي ووجدها بعدما ضلّت وغريزة النفس الصافية تنزع الي جانب القدس في تذكار الامور الغائبة عن حضرة العقل نزاعًا طبيعيًا فتستحضر ما غاب عنها ولهذا السر اخبر الكتاب الالهي وَٱذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَي أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا حتي صار كثير من الحكماء الي ان العلوم كلها تذكار وذلك ان النفوس كانت في البدو الاول في عالم الذكر ثم هبطت الي عالم النسيان فاحتاجت الي مذكرات لما قد نسيت معيدات الي ما كانت قد ابتدأت وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَي تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وذكّرهم بايام الله ثم للنفس الانسانية قوي عقلية لا جسمانية وكمالات نفسانية روحانية لا جسدانية فمن قواها ما لها بحسب حاجتها الي تدبير البدن وهي القوة التي تختص باسم العقل العملي وذلك ان يستنبط الواجب فيما يجب ان يفعل ولا يفعل ومن قواها ما لها بحسب حاجتها الي تكميل جوهرها عقلًا بالفعل وانما يخرج من القوة الي الفعل بمخرج غير ذاتها لا محالة فيجب ان يكون لها قوة استعدادية تسمي عقلًا هيولانيًا حتي يقبل من غيرها ما به يخرجها من الاستعداد الي الكمال فاول خروج لها الي الفعل حصول قوة اخري من واهب الصور يحصل لها عند استحضار المعقولات الاول فيتهيّا بها لاكتساب الثواني اما بالفكر او بالحدس فيتدرج قليلًا قليلًا الي ان يحصل لها ما قدر عليها من المعقولات ولكل نفس استعداد الي حد ما لا يتعدّاه ولكل عقل حد ما لا يتخطاه فيبلغ الي كماله المقدر له ويقتصر علي قوته المركوزة فيه ولا يبيّن هاهنا وجود التضاد بين النفوس والعقول ووجوب الترتب فيها وانما يعرف مقادير العقول ومراتب النفوس الانبياء والمرسلون الذين اطّلعوا علي الموجودات كلها

Digitized by Google

روحانياتها وجسمانياتها معقولاتها ومحسوساتها كلياتها وجزوياتها علوياتها وسفلياتها فعرفوا مقاديرها وعينوا موازينها ومعابيرها وكل ما ذكرناه من القوي الانسانية فهي حاصلة لهم مركبة فيهم منصرفة كلها عن جانب الغرور الي جانب القدس مستديمة لشروق نور الحق فيها حتي كان كل قوة من القوي الجسدانية والنفسانية ملك روحاني وكل يحفظ ما وجه اليه واستثمار ما رشح له بل ومجموع جسده ونفسه مجمع اثار العالمين من الروحانيات والجسمانيات وزيادة امرين احدهما ما حصل له من فائدة التركيب والترتيب كما بيّناه من مثال السكر والخل والثاني ما اشرق عليه من الانوار القدسية وحيًا والهامًا ومناجاة واكراماً فاين للروحاني هذه الدرجة الرفيعة والمقام المحمود والكمال الموجود بل ومن اين للروحانيات كلها هذا التركيب الذي خص نوع الانسان به وما تعلقوا به من القوة البالغة علي تحريك الاجسام وتصريف الاجرام فليس يقتضي شرفًا فان ما ثبت لشي وثبت لضده مثله لم يتضمن شرفًا ومن المعلوم ان الجن والشياطين قد ثبت لهم من القوة البالغة والقدرة الشاملة ما يعجز كثير من الموجودات عن ذلك وليس ذلك مما يوجب شرفًا وكمالًا وانما الشرف في استعمال كل قوة فيما خلقت له وامرت به وقدرت عليه قالت الصابية الروحانيات لها اختيارات صادرة من الامر متوجهة الي الخير مقصورة علي نظام العالم وقوام الكل لا يشوبها البتة شائبة الشر وشائبة الفساد بخلاف اختيار البشر فانه متردد بين طرفي الخير ولولا رحمة الله في حق البعض والا فوضع اختيارهم كان ينزع الي جانب الشر والفساد اذ كانت الشهوة والغضب المركوزة فيهم يجرّانهم الي جانبهما واما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا

Digitized by Google

للتوجّه الي وجه الله تعالي وطلب رضاه وامتثال امره فلا جرم كل اختيار هذا حاله لا يتعذر عليه ما يختاره فكما اراد واختار وجد المراد وحصل المختار وكل اختيار ذلك حاله تعذر عليه ما يختاره فلا يوجد المراد ولا يحصل المختار اجابت الحنفاء بجوابين احدهما نيابة عن جنس البشر والثاني نيابة عن الانبياء عليهم السلم اما الاول قالوا اختيار الروحانيات اذا كان مقصوراً علي احد الطرفين محصوراً كان في وضعه مجبوراً ولا شرف في الجبر واختيار البشر تردد بين طرفي الخير والشر فمن جانب يري ايات الرحمن ومن طرف يسمع وساوس الشيطان فيميل به تارة دعوة الحق الي امتثال الامر ويميل به طوراً داعية الشهوة الي اتباع الهوي فاذا اقرّ طوعاً وطبعاً بوحدانية الله تعالي واختار من غير جبر واكراه طاعته وصيّر اختياره المتردد بين الطرفين مجبوراً تحت امره تعالي باختيار من جهته من غير اجبار صار هذا الاختيار افضل واشرف من الاختيار المجبور فطرة كالمكره فعله كسبًا الممنوع عما لا يجب جبراً ومن لا شهوة له فلا يميل الي المشتهي كيف يمدح عليه وانما المدح كل المدح لمن زيّن له المشتهي فنهي النفس عن الهوي فتبين ان اختيار البشر افضل من اختيار الروحانيات واما الثاني نقول ان اختيار الانبيا معما انه ليس من جنس اختيار البشر من وجه فهو متوجه الي الخير مقصور علي الصلاح الذي به نظام العالم وقوام الكل صادر عن الامر صائر الي الامر لا يتطرق الي اختياراتهم ميل الي الفساد بل ودرجتهم فوق ما يبتدر الي الاوهام فان العالي لا يريد امراً لاجل السافل من حيث هو سافل بل انما يختار ما يختار لنظام كلي وامر اعلي من الجزوي ثم يتضمن ذلك حصول نظام في الجزوي تبعاً لا مقصوداً وهذا الاختيار

Digitized by Google

والارادة علي جهة سنة الله تعالي في اختياره ومشيئته للكائنات لان مشيئته تعالي كلية متعلقة بنظام الكل غير معللة بعلة حتي لا يقال انما اختار هذا لكذا وانما فعل هذا لكذا فلكل شي علة ولا علة لصنعه تعالي بل لا يريد الا كما علم وذلك ايضاً ليس بتعليل لكنه بيان ان ارادته اعلي من ان يتعلق بشي لعلة دونها والا لكان ذلك الشي حاملاً له علي ما يريد وخالق العلل والمعلولات لا يكون محمولاً علي شي فاختياره لا يكون معللاً بشي واختيار الرسول المبعوث من جهته ينوب عن اختياره كما ان امره ينوب عن امره فيسلك سُبُلَ رَبِّهِ ذُلُلاً ثم يخرج من قضية اختياره نظام حال وقوام امر مختلف الوانه فيه شفاء للناس فمن اين للروحانيات هذه المنزلة وكيف يصلون الي هذه الدرجة كيف وكل ما يذكرونه فموهوم وكل ما يذكره فمحقق مشاهدة وعياناً بل وكل ما يحكي عن الروحانيات من كمال علمهم وقدرتهم ونفوذ اختيارهم واستطاعتهم فانما أخبرنا بذلك الانبياء والمرسلون والا فاي دليل ارشدنا الي ذلك ونحن لم نشاهدهم ولم نستدل بفعل من افعالهم علي صفاتهم واحوالهم قالت الصابية الروحانيون متخصصون بالهياكل العلوية مثل زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهذه السيارات كالابدان والاشخاص بالبسنة اليها وكل ما يحدث من الموجودات ويعرض من الحوادث فكلها مسبّبات هذه الاسباب واثار هذه العلويات فيفيض علي هذه العلويات من الروحانيات تصريفات وتحريكات الي جهات الخير والنظام ويحصل من حركاتها واتصالاتها تركيبات وتاليفات في هذا العالم ويحدث في المركبات احوال ومناسبات فهم الاسباب الاول والكل مسبباتها والمسبب لا يساوي السبب والجسمانيون متشخصون

Digitized by Google

بالاشخاص السفلية والمتشخص كيف يماثل غير المتشخص وانما يجب علي الاشخاص في افعالهم وحركاتهم اقتفاء اثار الروحانيات في افعالها وحركاتها حتي يراعي احوال الهياكل وحركات افلاكها زمانًا ومكانًا وجوهرًا وهيئة ولباساً وبخوراً وتعزيمًا وتنجيمًا ودعاء وحاجة خاصة بكل هيكل فيكون تقربا الي الهيكل تقربًا الي الروحاني الخاص به فيكون تقربًا الي رب الارباب ومسبب الاسباب حتي يقضي حاجته ويتم مسئلته وسيأتي تفصيل ما اجملوه من امر الهياكل عند ذكر اصحابها ان شاء الله تعالي اجابت الحنفاء بان قالوا الان نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة الي نيابة هياكلها وتركتم مذهب الصبوة الصرفة فان الهياكل اشخاص الروحانيين والاشخاص هياكل الربانيين غير انكم اثبتّم لكل روحاني هيكلًا خاصًا له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره ونحن نثبت اشخاصاً رسلاً كرامًا يقع اوضاعهم واشخاصهم في مقابلة كل الكون الروحاني منهم في مقابلة الروحاني منها والاشخاص منهم في مقابلة الهياكل منها وحركاتهم في مقابلة حركات جميع الكواكب والافلاك وشرائعهم مراعاة حركات استندت الي تايد الهي ووحي سماوي موزونة بميزان العدل مقدّرة علي مقادير الكتاب الاول لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ليست مستخرجة بالاراء المظلمة ولا مستنبطة بالظنون الكاذبة ان طابقتها علي المعقولات تطابقنا وان وافقتها بالمحسوسات توافقنا كيف ونحن ندّعي ان الدين الالهي هو الموجود الاول والكائنات تقدرت عليه وان المناهج التقديرية هي الاقدم ثم المسالك الخلقية والسنن الطبيعية توجهت اليها ولله تعالي سنتان في خلقه وامره والسنة الامرية اقدم واسبق من السنة الخلقية وقد اطلع خواص عباده من البشر علي السنتين وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ

تَحْوِيلاً هذا من جهة الخلق وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً هذا من جهة الامر فالانبياء عليهم السلم متوسطون في تقرير سنة الامر والملائكة متوسطون في تقرير سنة الخلق والامر اشرف من الخلق فمتوسط الامر اشرف من متوسط الخلق فالانبياء افضل من الملائكة وهذا عجب حيث صارت الروحانيات الامرية متوسطات في الخلق وصارت الاشخاص الخلقية متوسطين في الامر ليعلم ان الشرف والكمال في التركيب لا في البساطة واليد للجسماني لا للروحاني والتوجه الي التراب اولي من التوجه الي السماء والسجود لادم عليه السلم افضل من التسبيح والتحميد والتقديس وليعلم ان الكمال في اثبات الرجال لا في تعيين الهياكل والظلال وانهم هم الاخرون وجوداً السابقون فضلاً وان اخر العمل اول الفكرة وان الفطرة لمن له الخمرة وان المخلوق بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه قال سبحانه وتعالي فوعزتي وجلالي لا اجعل من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان قالت الصابية الروحانيات مبادي الموجودات وعالمها معاد الارواح والمبادي اشرف ذاتاً واسبق وجوداً واعلي رتبة ودرجة من سائر الموجودات التي حصلت بتوسطها وكذلك عالمها عالم المعاد والمعاد كمال فعالمها عالم الكمال فالمبدأ منها والمعاد اليها والمصدر عنها والمرجع اليها بخلاف الجسمانيات وايضاً فان الارواح انما نزلت من عالمها حتي اتصلت بالابدان فتوسخت باوضار الاجسام ثم تطهرت عنها بالاخلاق الزكية والاعمال المرضية حتي انفصلت عنها فصعدت الي عالمها الاول فالنزول هو النَّشأةُ الأُولَى والصعود هو النَّشأةُ الآخِرَةُ فعرف انهم اصحاب الكمال لا اشخاص الرجال اجابت الحنفاء من اين تسلمتم هذا التسليم ان المبادي هي

Digitized by Google

الروحانيات واي برهان اقمتم وقد نقل عن كثير من قدماء الحكماء ان المبادي هي الجسمانيات علي اختلاف منهم في الاول منها انه نار او هواء او ماء او ارض واختلاف اخر انه مركب او بسيط واختلاف اخر انه انسان او غيره حتي صارت جماعة الي اثبات اناس سرمديين ثم منهم من يقول انهم كانوا كالظلال حول العرش ومنهم من يقول ان الاخر وجوداً من حيث الشخص في هذا العالم هو الاول وجوداً من حيث الروح في ذلك العالم وعليه خرج ان اول الموجودات نور محمد عليه السلم فاذا كان شخصه هو الاخر من جملة الاشخاص النبوية فروحه هو الاول من جملة الارواح الربانية وانما حضر هذا العالم ليخلص الارواح الدنسة بالاوضار الطبيعية فيعيدها الي مبداها واذا كان هو المبدأ فهو المعاد ايضاً فهو النعمة وهو النعيم وهو الرحمة وهو الرحيم قالوا ونحن اذا اثبتنا ان الكمال في التركيب لا في البساطة والتحليل فيجب ان يكون المعاد بالاشخاص والاجساد لا بالنفوس والارواح والمعاد كمال لا محالة غير ان الفرق بين المبدا والمعاد هو ان الارواح في المبدا مستورة بالاجساد واحكام الاجساد غالبة واحوالها ظاهرة للحس والاجساد في المعاد معمورة بالارواح واحكام النفوس غالبة واحوالها ظاهرة للعقل والا فلو كانت الاجساد تبطل راساً وتضمحل اصلاً وتعود الارواح الي مبداها الاول ما كان للاتصال بالابدان والعمل بالمشاركة فائدة ولبطل تقدير الثواب والعقاب علي فعل العباد ومن الدليل القاطع علي ذلك ان النفوس الانسانية في حال اتصالها بالبدن اكتسبت اخلاقاً نفسانية صارت هيأات متمكنة فيها تمكن الملكات حتي قيل انها نزلت منزلة الفصول اللازمة التي تميزها عن غيرها ولولاها لبطل التمييز وتلك الهيأات

Digitized by Google

انما حصلت بمشاركات من القوي الجسمانية بحيث لن يتصور وجودها الا مع تلك المشاركة وتلك القوي لن يتصور الا في اجسام مزاجية فاذا كانت النفوس لن يتصور الا معها وهي المعيّنة المخصصة وتلك لن يتصور الا مع الاجسام فلا بد من حشر الاجسام والمعاد بالاجسام قالت الصابية طريقنا في التوسل الي حضرة القدس ظاهرة وشرعنا معقول فان قدمادنا من الزمان الاول لما ارادوا الوسيلة عملوا اشخاصًا في مقابلة الهياكل العلوية علي نسب واضافات راعوا فيها جوهرًا وصورة وعلي اوقات واحوال وهيأات اوجبوا علي من يتقرب بها الي ما يقابلها من العلويات تختّمًا ولباسًا وتبخّرًا ودعاء وتعويمًا فتقربوا الي الروحانيات فتقربوا الي رب الارباب ومسبب الاسباب وهو طريق مهيع وشرع مهيد لا يختلف بالامصار والمدن ولا ينسخ بالادوار والاكوار ونحن تلقّينا مبدأه من عاذيمون وهرمس العظيمين فعكفنا علي ذلك دائمين وانتم معاشر الحنفاء تعصبتم للرجال وقلتم بلن الوحي والرسالة ينزل عليهم من عند الله تعالي بواسطة او بغير واسطة فما الوحي اولًا وهل يجوز ان يكلّم الله بشرًا وهل يكون كلامه من جنس كلامنا وكيف ينزل ملك من السماء وهو ليس بجسماني ابصورته ام بصورة البشر وما معني تصوّره بصورة الغير افيخلع صورته ويلبس لباسًا اخر ام يتبدل وضعه وحقيقته ثم ما البرهان اولًا علي جواز انبعاث الرسل في صورة البشر وما دليل كل مدّع منهم افياخذ بمجرد دعواهم ام لا بد من دليل خارق للعادة وان اظهر ذلك افهو من خواص النفوس ام من خواص الاجسام ام فعل الباري تعالي ثم ما الكتاب الذي جاء به افهو كلام الباري تعالي وكيف يتصور في حقه كلام ام

Digitized by Google

هو كلام الروحاني ثم هذه الحدود والاحكام اكثرها غير معقولة فكيف يسمح عقل الانسان بقبول امر لا يعقله وكيف تطاوعه نفسه بتقليد شخص هو مثله ابان يريد أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ اجابت الحنفاء بان المتكلمين منا يكفوننا جواب هذا الفصل بطريقين احدهما الالزام تعرضًا لابطال مذهبكم والثاني الحجة تعرضًا لاثبات مذهبنا اما الالزام قالوا انكم ناقضتم مذهبكم حيث قلتم بتوسط عانيمون وهرمس واخذتم طريقتكم منهما ومن اثبت المتوسط في انكار المتوسط فقد تناقض كلامه وتخلف مرامه وزادوا علي هذا تقريراً بانكم معاشر الصابية ايضًا متوسطون يحتاج اليكم في اثبات مذهبكم اذ من المعلوم ان كل من دبّ ودرج منكم ليس يعرف طريقتكم ولا يقف علي صنعتكم من علم وعمل اما العلم فالاحاطة بحركات الكواكب والافلاك وكيفية تصرف الروحانيات فيها واما العمل فصنعة الاشخاص في مقابلة الهياكل علي النسب بل قوم مخصوصون او واحد في كل زمان يحيط بذلك علمًا وتيسّر له عملًا فقد اثبتّم متوسطًا عالمًا من جنس البشر فقد ناقض اخر كلامكم اوله وزادوا لهذا تقريراً اخر بالزام الشرك عليهم اما الشركة في افعال الباري تعالي واما الشركة في اوامره اما الشرك في الافعال هو اثبات تاثيرات الهياكل والافلاك فان عندهم الابداع الخاص بالرب تعالي هو اختراع الروحانيات ثم تفويض امور العالم العلوي اليها والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل ثم تفويض امور العالم السفلي اليها كمن يبني معملة وينصب اركانًا للعمل من الفاعل والمادة والالة والصورة ويفوض العمل الي التلامذة فهولاء اعتقدوا ان الروحانيات

Digitized by Google

الهة والهياكل ارباب والاصنام في مقابلة الكل باتخاذ وتصنع من كسبهم وفعلهم فالزم اصحاب الاصنام انكم تكلفتم كل التكليف حتي توقعوا حجراً جماداً في مقابلة هيكل وما بلغت صنعتكم الي احداث حيوة فيه وسمع وبصر ونطق وكلام أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ اوليست اوضاعكم الفطرية واشخاصكم الخلقية افضل منها واشرف اوليست النسب والاضافات النجومية المرعية في خلقتكم اشرف واكمل مما راعيتموها في صنعتكم أَفَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ اولستم تحتاجون الي المتوسط المعمول لقضاء حاجة اما جلب نفع او دفع ضرر فهذا العامل الصانع اقدر اذ فيه من القوة العلمية والعملية ما يستعمل بها الهيكل العلوي ويستخدم الروحاني فهلّا ادّعي لنفسه ما يثبت بفعله في جماد ولهذا الالزام تفطن اللعين فرعون حيث ادعي الالهية والربوبية لنفسه وكان في الاول علي مذهب الصابية فصبا عن ذلك وادّعي الي نفسه انا ربكم الاعلي مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي اذ راي في نفسه قوة الاستعمال والاستخدام واستظهر بوزيره هامان وكان صاحب الصنعة فقال يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وكان يريد ان يبني صرحاً مثل الرصد فيبلغ به الي حركات الافلاك والكواكب وكيفية تركيبها وهيئتها وكمية ادوارها واكوارها فلربّما يطّلع علي سر التقدير في الصنعة ومآل الامر في الخلقة والفطرة ومن اين له هذه القوة والبصيرة ولكن اغتراراً بنوع فطنة وكياسة في جبلّته واغتراراً بضرب اهمال في مهلته فماتمت لهم الصنعة حتي أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فحدث بعده السامري وقد نسخ علي منواله في الصبوة حتي

اخذ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الروحاني واراد ان يرقي الشخص الجمادي عن درجته الي درجة الشخص الحيواني فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فما كان امكنه ان يحدث ما هو اخص اوصاف المتوسط من الكلام والهداية أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً فانحسر في الطريق حتي كان من الامر ما كان وقيل لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ويا عجباً من هذا السر حيث اغرق فرعون فادخل النار مكافاة علي دعوي الالهية لنفسه واحرق العجل ثم نسف في اليمّ مكافاة علي اثبات الالهية له وما كان للنار والماء علي الحنفاء يد الاستيلاء قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَي إِبْرَهِيمَ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي هذه مراتب الشرك في الفعل والخلق ويشبه ان يكون دعوي اللعينين نمرود وفرعون انهما الهان ارضيان كالهة السماوية الروحانية دعوي الالهية من حيث الامر لا من حيث الفعل والخلق والا ففي زمان كل واحد منهما من هو اكبر سنا منّه واقدم في الوجود عليه فلما ظهر من دعواهما ان الامر كله لهما فقد ادّعيا الالهية لنفسهما وهذا هو الشرك الذي الزمه المتكلم علي الصابي فانه بما ادّعي انه اثبت في الاشخاص ما يقضي به حاجة الخلق فقد عاد بالتقدير الي صنعته ووقف التدبير علي معاملته فكان الامر بان هذا الفعل واجب الاقدام عليه وهذا واجب الاحجام عنه امراً في مقابلة امر الباري تعالي والمتوسط فيه متوسط الامر فكان شركاً اذ لم ينزل الله به سلطاناً ولا اقام عليه حجة وبرهاناً كيف وما يتمسّك به من الاحكام مرتبة علي هيأات فلكية لم تبلغ قوة البشر قط الي مراعاتها ولا يشك ان الفلك كله يتغيّر لحظة فلحظة بتغيّر جزو من اجزائه تغيّر الوضع والهيئة بحيث لم يكن علي تلك الهيئة فيما

سبق ولا يرجع الي تلك الحالة فيما يستقبل ومتي يقف الحكام علي تغيرات الاوضاع حتي يكون صنعته في الاشخاص والاصنام مستقيمة واذا لم يستقم الصنعة فكيف تكون الحاجة مقضية فقد رفع الحاجة الي من لا يرفع الحوائج اليه فقد اشرك كل الشرك واما الطريق الثاني فاقامة الحجة علي اثبات المذهب ولمتكلم الحنفاء فيه مسلكان احدهما ان يسلك الطريق نزولاً من امر الباري تعالي الي سد حاجات الخلق والثاني ان يسلك الطريق صعوداً من حاجات الخلق الي اثبات امر الباري تعالي ثم يخرج الاشكالات عليها اما الاول قال المتكلم الحنيف قد قامت الحجة علي ان الباري تعالي خالق الخلائق ورازق العباد وانه الملك الذي له الملك والملك والملك هو ان يكون له علي عباده امر وتصريف وذلك ان حركات العباد قد انقسمت الي اختيارية وغير اختيارية فما كان منها باختيار من جهتهم فيجب ان يكون للمالك فيها حكم وامر وما كان منها بلا اختيار فيجب ان يكون له فيها تصريف وتقدير ومن المعلوم ان ليس كل احد يعرف حكم الباري تعالي وامره فلا بد اذاً من واحد يستأثره بتعريف حكمه وامره في عباده وذلك الواحد يجب ان يكون من جنس البشر حتي يعرّفهم احكامه واوامره ويجب ان يكون مخصوصاً من عند الله تعالي بايات خلقية هي حركات تصريفية وتقديرية يجريها علي يده عند التحدّي بما يدّعيه تدل تلك الايات علي صدقه نازلة منزلة التصديق بالقول ثم اذا ثبت صدقه وجب اتّباعه في جميع ما يقول ويفعل وليس يجب الوقوف علي كل ما يامر به وينهي عنه اذ ليس كل علم يبلغ اليه كل قوة بشرية ثم الوحي من عند الله العزيز يمد حركاته الفكرية والقولية والعملية

Digitized by Google

بالحق في الافكار والصدق في الاقوال والخير في الافعال فبطرف يماثل البشر وهو طرف الصورة وبطرف يوحي اليه وهو طرف المعني والحقيقة قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا فبطرف يشابه نوع الانسان وبطرف يماثل نوع الملائكة وبمجموعهما يفضل النوعين حتي يكون بشريته فوق بشرية النوع مزاجاً واستعداداً وملكيته فوق ملكية النوع الاخر قبولاً واداءً فلا يضل ولا يغوي بطرف البشرية ولا يزيغ ولا يطغي بطرف الروحانية فقد تقرر ان امر الباري تعالي واحد لا كثرة فيه ولا انقسام له وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ غير انه يلبس تارة عبارة العرب وتارة عبارة العبرية فالمصدر يكون واحداً والمظهر متعدداً والوحي القاء الشي الي الشي بسرعة فيلقي الروح الامري اليه دفعة واحدة بلا زمان كَلَمْحِ الْبَصَرِ فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقي كما يتمثل في المراة المجلوة صورة المقابل فيعبر عنه اما بعبارة قد اقترنت بنفس التصور وذلك هو ايات الكتاب واما بعبارة نفسه وذلك هو اخبار النبوة وهذا كله بطرفه الروحاني وقد يتمثل الملك الروحاني له بمثال صورة البشر تمثل المعني الواحد بالعبارات المختلفة او تمثل الصورة الواحدة في المرايا المتعددة او الظلال المتكثرة للشخص الواحد فيكالمه مكالمة حسّية ويشاهده مشاهدة عينية ويكون ذلك بطرفه الجسماني وان انقطع الوحي عنه لم ينقطع عنه التاييد والعصمة حتي يقومّه في افكاره ويسدده في اقواله ويوفقه في افعاله ولا تستبعدوا معاشر الصابية تلّقي الوحي علي الوجه المذكور ونزول الملك علي النسق المعقود وعندكم ان هرمس العظيم صعد الي العالم الروحاني فانخرط في سلكهم فاذا تصوّر صعود البشر فلم لا يتصوّر نزول الملك واذا تحقق انه خلع لباس البشرية فلم

Digitized by Google

لا يجوز ان يلبس الملك لباس البشرية فالحنيفية اثبات الكمال في هذا اللباس اعني لباس الناس والصبوة اثبات الكمال في خلع كل لباس ثم لا يتطرق ذلك لهم حتي يثبتوا لباس الهياكل اولاً ثم لباس الاشخاص والاوثان ثانياً وقد قال راس الحنفاء متبرّيًا عن الهياكل والاشخاص إِنِّي بَرِيٌۢ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ واما الثاني وهو الصعود من حاجة الناس الي اثبات امر الباري تعالي قال المتكلم الحنيف لما كان نوع الانسان محتاجًا الي اجتماع علي نظام وذلك الاجتماع لن يتحقق الا بحدود واحكام في حركاته ومعاملاته يقف كل منهم عند حدّه المقدّر له لا يتعدّاه وجب ان يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يبيّن فيه احكام الله تعالي في الحركات وحدوده في المعاملات فيرتفع به الاختلاف والفرقة ويحصل به الاجتماع والالفة وهذا الاحتياج لما كان لازمًا لنوع الانسان ضرورة يجب ان يكون المحتاج اليه قائمًا ضرورة بحيث يكون نسبته اليهم نسبة الغني والفقير والمعطي والسائل والملك والرعية فان الناس لو كانوا كلهم ملوكًا لم يكن ملك اصلاً كما لو كانوا كلهم رعايا لم يكن رعية ثم لا يبقي ذلك الشخص ببقاء الزمان وعمره لا يساوي عمر العالم فينوب منّا به علماء امّته ويرث علمه امناء شريعته فيبقي سنته ومنهاجه ويضيء علي البرية مدي الدهر سراجه والعلم بالتوارث وليست النبوة بالتوارث والشريعة تركة الانبياء والعلماء ورثة الانبياء قالت الصابية الناس متماثلة في حقيقة الانسانية والبشرية ويشملهم حد واحد وهو الحيوان الناطق المائت والنفوس والعقول متساوية في الجوهرية فحد النفس بالمعني الذي يشترك فيه الانسان

Digitized by Google

والحيوان والنبات انه كمال جسم طبيعي آلي ذي حيوة بالقوة وبالمعني الذي يشترك فيه نوع الانسان والملائكة انه جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرّك له بالاختيار عن مبدا نطقي اي عقلي بالفعل او بالقوة فالذي بالفعل هو خاصّة النفس الملكية والذي بالقوة هو فصل النفس الانسانية واما العقل فقوة او هيئة لهذه النفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجرّدة عن المواد والناس في ذلك علي استواء من القدم وانما الاختلاف يرجع الي احد امرين احدهما اضطراري وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول النفس والثاني اختياري وذلك من حيث الاجتهاد المؤثر في رفع الحجب المادية وتصقيل النفس عن الصداة المانعة لارتسام الصور المعقولة حتي لو بلغ الاجتهاد الي غاية الكمال تساوت الاقدام وتشابهت الاحكام فلا يتفضّل بشر علي بشر بالنبوة ولا يتحكم احد علي احد بالاستتباع اجابت الحنفاء بان التماثل والتشابه في الصور البشرية والانسانية فمسلّم لا مرية فيه وانما التنازع بيننا في النفس والعقل قائم فان عندنا النفوس والعقول علي التضاد والترتب وعلينا بيان ذلك علي مساق حدودكم ومذاق اصولنا فقولكم ان النفس جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار وذلك اذا اطلق النفس علي الانسان والملك وهو كمال جسم طبيعي آلي ذي حيوة بالقوة اذا اطلق علي الانسان والحيوان فقد جعلتم لفظ النفس من الاسماء المشتركة وميّزتم بين النفس الحيواني والنفس الانساني والنفس الملكي فهلّا زدتم فيه قسماً ثالثاً وهو النفس النبوي حتي يتميز عن الملكي كما يتميز الملكي عن الانساني فان عندكم المبدأ النطقي للانسان بالقوة والمبدأ العقلي للملك بالفعل فقد تغايرا من هذا

الوجه ومن حيث ان الموت الطبيعي يطرأ علي الانسان ولا يطرأ علي الملك وذلك تمييز اخر فليكن في النفس النبوي مثل هذا الترتب واما الكمال الذي تعرضتم له انما يكون كمالاً للجسم اذا كان اختيار المحرك محموداً فاما اذا كان اختياره مذمومًا من كل وجه صار الكمال نقصانًا وحينئذ يقع التضاد بين النفس الخيرة والنفس الشريرة حتي تكون احديهما في جانب الملكية والثانية في جانب الشيطانية فيحصل التضاد المذكور كما حصل الترتب المذكور فان الاختلاف بالقوة والفعل اختلاف بالترتب والاختلاف بالكمال والنقص والخير والشر اختلاف بالتضاد فيبطل التماثل ولا يظنن ان الاختلاف بين النفسين الخيرة والشريرة اختلاف بالعوارض فان الاختلاف بين النفس الملكية والشيطانية بالنوع كما ان الاختلاف بين النفس الانسانية والملكية بالنوع وكيف لا يكون كذلك والاختلاف هاهنا بالقوة والفعل والاختلاف ثم بالخير والشر وهذا لسر وهو ان الخير غريزة هي هيئة متمكنة في النفس باصل الفطرة وكذلك الشر طبيعة غريزية لست اقول فعل الخير وفعل الشر فان الغريزة غير والفعل المترتب عليها غير فتحقق ان هاهنا نفسًا محركة للبدن اختياراً نحو الخير عن مبدا عقلي اما بالقوة او بالفعل وهو كمال الجسم وليس بجسم وهاهنا نفس محركة للبدن اختياراً نحو الشر عن مبدا نطقي اما بالقوة او بالفعل وهو نقص للجسم وليس بجسم ولا ينبوّن طبعك عن امثال ما يورد عليك المتكلم الحنيف وانما يغترفه من بحر وليس ينحته من صخر فلربّما لا يساعدك علي ان الانسان نوع الانواع وان الاختلاف فيه يقع في العوارض واللوازم بل يثبت في النفوس الانسانية اختلافًا جوهريًا فيفصل بعضها عن بعض

Digitized by Google

بالفصول الذاتيّة لا باللوازم العرضية فكما ان الاختلاف بالقوة والفعل في النفس الانسانية والملكية اختلاف جوهري اوجب اختلاف النوع والنوع وان شملها اسم النفس الناطقة والفصل الذاتي هو القوة والفعل وكذلك نقول في نفس لها قوة علم خاص وقوة عمل خاص وقوة خير وقوة شر وكمال مطلق هو اصل الخير ونقص مطلق هو اصل الشر واما ما ذكره المتكلم الصابي من حد العقل انه قوة او هيئة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجرّدة عن الموادّ فغير شامل لجميع العقول عنده ولا عند الحنيف بل هو تعرّض للعقل الهيولاني فقط فاين العقل النظري وحدّه انه قوة للنفس تقبل ماهيات الامور الكلية من جهة ماهي كلية واين العقل العملي وحدّه انه قوة للنفس هي مبدأ التحريك للقوة الشوقية الي ما يختار من الجزويات لاجل غاية منظومة واين العقل بالملكة وهو استكمال القوة الهيولانية حتي تصير قريبة من الفعل واين العقل بالفعل وهو استكمال النفس بصورة ما او صورة معقولة حتي متي ما شاء عقلها واحضرها بالفعل واين العقل المستفاد وهو ماهية مجرّدة عن المادة مرتسمة في النفس علي سبيل الحصول من خارج واين العقول المفارقة وانها ماهيات مجرّدة عن المادة واين العقل الفعّال فانه من جهة ما هو عقل فانه جوهر صوري ذاته ماهية مجردة في ذاتها لا بتجريد غيرها عن المادة وعن علائق المادة وهي ماهيّة كل موجود ومن جهة ما هو فعّال فانه جوهر بالصفة المذكورة من شانه ان يخرج العقل الهيولاني من القوة الي الفعل باشراقه عليه فقد تعرض لنوع واحد من العقول ولا خلاف ان هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فصولها كما سمعت فاخبرني ايها المتكلم الحكيم من اي عداد تعد عقلك اولاً وهل

Digitized by Google

ترضي ان يقال لك تساوت الاقدام في العقول حتي يكون عقلك بالفعل والافادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد بل واستعداد عقلك لقبول المعقولات كاستعداد غبي غوي لا يرد عليه الفكر برادة ولا ينفك الخيال عن عقله كما لا ينفك الحس عن خياله واذا كانت الاقدام متساوية فما هذا الترتب في الاقسام واذا ثبت ترتباً في العقول فبالضرورة ان يرتقي في الصعود الي درجة الاستقلال والافادة وينزل في الهبوط الي درجة الاستعداد والاستفادة ثم هل في نوعه ما هو عديم الاستعداد اصلاً حتي يشبه ان يكون عقلاً وليس عقلاً واما النوع الذي يثبته للشياطين اهو من عداد ما ذكرنا ام خارج من ذلك فانك اذا ذكرت حد الملك وانه جوهر بسيط ذو حيوة ونطق عقلي غير مائت هو واسطة بين الباري تعالي والاجسام السماوية والارضية وعددت اقسامه ان منه ما هو عقلي ومنه ما هو نفسي ومنه ما هو حسّي فيلزمك من حيث التضاد ان تذكر حد الشيطان علي الضد مما ذكرته من حد الملك وتعدّ اقسامه وانواعه ايضاً ويلزمك من حيث الترتب ان تذكر حد الانسان علي الضد مما ذكرته من حد الملك وتعدّ اقسامه وانواعه كذلك حتي يكون من الانسان ما هو محسوس فقط ومنه ما هو مع كونه محسوساً روحاني نفساني عقلي وذلك هو درجة النبوة فمن عقل عمل من حس ومن حس عمل من عقل ومن نفس مزاجي ومن مزاج نفساني ومن روح جسماني ومن جسم روحاني دع كلام العامة ولا تظنن هذه طامة قالت الصابية حضرتمونا بابطال تساوي العقول والنفوس واثبات الترتب والتضاد فيها ولا شك ان من سلم الترتب فقد لزمه الاتّباع فاخبرونا ما رتبة الانبياء بالنسبة الي نوع الانسان وما

Digitized by Google

رتبتهم بالاضافة الي الملك والجن وسائر الموجودات ثم ما مرتبة النبي عند الباري تعالي فان عندنا الروحانيات اعلي مرتبة من جميع الموجودات وهم المقربون في الحضرة الالهية والمكرمون لديه ونراكم تارة تقولون ان النبي يتعلم من الروحاني ونراكم تارة تقولون ان الروحاني يتعلم من النبي اجابت الحنفاء بان الكلام في المراتب صعب ومن لم يصل الي رتبة من المراتب كيف يمكنه ان يستوفي اقسامها لكنا نعرف ان رتبته بالنسبة الينا رتبتنا بالنسبة الي من هو دوننا في الجنس من الحيوانات فكما انا نعرف اسامي الموجودات ولا يعرفها الحيوانات كذلك هم يعرفون خواص الاشياء وحقائقها ومنافعها ومضارها ووجوه المصالح في الحركات وحدودها واقسامها ونحن لا نعرفها وكما ان نوع الانسان ملك الحيوان بالتسخير فالانبياء ملوك الناس بالتدبير وكما ان حركات الناس معجزات الحيوانات كذلك حركات الانبياء معجزات الناس لان الحيوانات لا يمكنها ان تبلغ الي الحركات الفكرية حتي تميز الحق من الباطل ولا ان تبلغ الي الحركات القولية حتي تميز الصدق من الكذب ولا ان تبلغ الي الحركات الفعلية حتي تميز الخير من الشر ولا التمييز العقلي لها بالوجود ولا مثل هذه الحركات لها بالفعل وكذلك حركات الانبياء لان منتهي فكرهم لا غاية له وحركات افكارهم في محال القدس مما يعجز عنها قوة البشر حتي يسلم لهم لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وكذلك حركاتهم القولية والفعلية لا يبلغ الي غاية انتظامها وجريانها علي سنن الفطرة حركة كل البشر وهم في الرتبة العليا والدرجة الاولي من درجات الموجودات كلها فقد احاطوا علماً بما اطلعهم الرب تعالي علي ذلك دون

Digitized by Google

غيرهم من الملائكة والروحانيين ففي الاول يكون حاله حال التعلم عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى وفي الاخير حاله حال التعليم وذلك في حق ادم عليه السلم أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ حين كان الامر علي بدو الظهور والكشف فانظر كيف يكون الحال في نهاية الظهور واما اضافتهم الي جناب القدس فالعبودية الخاصة قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ قولوا انّا عباد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شيتم احق الاسماء لهم واخص الاحوال بهم عبده ورسوله لا جرم كان اخص التعريفات لجلاله تعالي باشخاصهم اله ابرهيم اله اسماعيل واسحق اله موسي وهرون اله عيسي اله محمد عليهم السلم فكما ان من المعبودية ما هو عام الاضافة ومنها ما هو خاص الاضافة كذلك التعرف الي الخلق بالالهية والربوبية والتجلي للعباد بالخصوصية منه ما له عموم رب العالمين ومنه ما له خصوص رب موسي وهرون فهذه نهاية مذهبي الصابية والحنفاء وفي الفصول التي جرت بين الفريقين فوائد لا تحصي وكان في الخاطر بعد زوايا نريد نمليها وفي القلب خفايا اكاد اخفيها فعدلت منها الي ذكر حكم هرمس العظيم لا علي انه من جملة فرق الصابية حاشاه بل علي ان حكمه مما يدلّ علي تقرير مذهب الحنفاء في اثبات الكمال في الاشخاص البشرية وايجاب القول باتّباع النواميس الالهية علي خلاف مذاهب الصابية

حكم هرمس العظيم المحمود اثاره المرضي اقواله الذي يعدّ من الانبياء الكبار ويقال هو ادريس النبي عليه السلم وهو الذي وضع اسامي البروج والكواكب السيّارة ورتبها في بيوتها واثبت لها الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة وبيّن

Digitized by Google

تعديل الكواكب وتقويمها واما الاحكام المنسوبة الي هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع وللهند والعرب طريقة اخري في الاحكام اخذوها من خواص الكواكب لا من طبائعها ورتبوها علي الثوابت لا علي السيارات ويقال ان عاذيمون وهرمس هما شيث وادريس عليهما السلم ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون انه قال المبادي الاول خمسة الباري تعالي والعقل والنفس والمكان والخلاء وبعدها وجود المركبات ولم ينقل هذا عن هرمس قال هرمس اول ما يجب علي المرء الفاضل بطباعه المحمود بسنخه المرضي في عادته المرجو في عاقبته تعظيم الله عز وجل وشكره علي معرفته وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له والاعتراف بمنزلته وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ولنفسه عليه حق الاجتهاد والدأب في فتح باب السعادة ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالودّ والتسارع اليهم بالبذل فاذا احكم هذه الاسس لم يبق عليه الا كف الاذي عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق انظروا معاشر الصابية كيف عظم امر الرسالة حتي قرن طاعة الرسول الذي عبّر عنه بالناموس بمعرفة الله عز وجل ولم يذكر هاهنا تعظيم الروحانيات ولا تعرض لها وان كانت هي من الواجبات وسئل بما ذا يحسن راي الناس في الانسان قال بان يكون لقاوه لهم لقاءً جميلًا ومعاملته اياهم معاملة حسنة وقال مودّة الاخوان ان لا يكون لرجاء منفعة او لدفع مضرّة ولكن لصلاح فيه وطباع له وقال افضل ما في الانسان من الخير العقل واجدر الاشياء ان لا يندم عليه صاحبه العمل الصالح وافضل ما يحتاج اليه في تدبير الامور الاجتهاد واظلم الظلمات الجهل واوبق الاشياء الحرص وقال من افضل البر ثلثة الصدق في الغضب والجود في

Digitized by Google

العسرة والعفو عند المقدرة وقال من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده وقال الفصل بين العاقل والجاهل ان العاقل منطقه له والجاهل منطقه عليه وقال لا ينبغي للعاقل ان يستخف بثلثة اقوام السلطان والعلماء والاخوان فان من استخف بالسلطان افسد عليه عيشه ومن استخف بالعلماء افسد عليه دينه ومن استخف بالاخوان افسد عليه مروته وقال الاستخفاف بالموت هو احد فضائل النفس وقال المرء حقيق ان يطلب الحكمة ويثبتها في نفسه اولًا بان لا يجزع من المصائب التي تعمّ الاخيار ولا ياخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ولا يعيّر احداً بما هو فيه ولا يغيره الغني والسلطان وان يعدل بين نيّته وقوله حتي لا يتفاوت ويكون سنّته ما لا عيب فيه ودينه ما لا يختلف فيه وحجته ما لا ينتقض وقال انفع الامور للناس القناعة والرضا واضرّها الشر والسخط وانما يكون كل السرور بالقناعة والرضا وكل الحزن بالشرة والسخط ويحكي عنه فيما كتبه ان اصل الضلال والهلكة لاهله ان يعدّ ما في العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه ولا يعدّ ما فيه من الشر والفساد من عمل الشيطان ومكائده ومن افتري علي اخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتي يجازي بها فكيف يخلص من اعظم الفرية علي الله عز وجل ان جعله سببًا للشرور وهو معدن الخير وقال الخير والشر واصلان الي اهلهما لا محالة فطوبي والويل لمن جري وصولهما الي من وصلا اليه وعلي يديه وقال الاخاء الدائم الذي لا يقطعه شي اثنان احدهما محبة المرء نفسه في امر معاده وتهذيبه اياها في العلم الصحيح والعمل الصالح والاخر مودّته لاخيه في دين الحق فان ذلك مصاحب اخاه في الدنيا بجسده وفي الاخرة بروحه وقال الغضب سلطان

Digitized by Google

الفظاظة والحرص سلطان الفاقة وهما مفشا كل سيئة ومفسدا كل جسد ومهلكا كل روح وقال كل شي يطاق تغييره الا الطباع وكل شي يقدر علي اصلاحه غير الخلق السوء وكل شي يستطاع دفعه الا القضاء وقال الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن لان هذين خلاء النفس وهذين خلاء البدن وقال احمد الاشياء عند اهل السماء والارض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق في الجماعة وقال ادحض الناس حجة من شهد علي نفسه بدحوض حجته وقال من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الاذي فدينه دين الله عز وجل وخصمه له شاهد بفلج الحجة ومن كان دينه الاهلاك والفظاظة والاذي فدينه دين الشيطان وهو بدحوض حجته شاهد علي نفسه وقال الملوك يحتمل الاشياء كلها الا ثلثة قدح في الملك وافشاء للسر وتعرض للحرمة وقال لا تكن ايها الانسان كالصبي اذا جاع صغي ولا كالعبد اذا شبع طغي ولا كالجاهل اذا ملك بغي وقال لا تشيرنّ علي عدو ولا صديق الا بالنصيحة واما الصديق فيقضي بذلك من واجبه واما العدو فانه اذا عرف نصيحتك اياه هابك وحسدك وان صح عقله استحيي منك وراجعك وقال يدل علي غريزة الجود السماحة عند العسرة وعلي غريزة الورع الصدق عند الشرة وعلي غريزة الحلم العفو عند الغضب وقال من سرّه مودة الناس له ومعونتهم اياه وحسن القول منهم فيه حقيق بان يكون مثل ذلك لهم وقال لا يستطيع احد ان يحوز الخير والحكمة ولا ان يخلص نفسه من المعائب الا ان يكون له ثلثة اشياء وزير وولي وصديق فوزيره عقله ووليه عفّته وصديقه عمله الصالح وقال كل انسان موكل باصلاح قدر باع من الارض فانه اذا اصلح قدر

Digitized by Google

ذلك الباع صلحت له امورة كلها واذا اضاعه اضاع الجميع وقدر ذلك نفسه وقال لا يمدح بكمال العقل من لا يكمل عفّته ولا بكمال العلم من لم يكمل عقله وقال من افضل اعمال العلماء ثلثة اشياء ان يبدلوا العدو صديقاً والجاهل عالماً والفاجر برًا وقال الصالح من خيره خير لكل احد ومن يعدّ خير كل احد لنفسه خيراً وقال ليس بحكمة ما لم يعاد الجهل ولا بنور ما لم يمحق الظلمة ولا بطيب ما لم يدفع النتن ولا بصدق ما لم يدحض الكذب ولا بصالح ما لم يخالف الطالح

اصحاب الهياكل والاشخاص وهولاء من فرق الصابية وقد ادرجنا مقالتهم في المناظرات جملة ونذكرها هاهنا تفصيلاً اعلم ان اصحاب الروحانيات لما عرفوا ان لا بد للانسان من متوسط ولا بد للتوسط من ان يُري فيتوجه اليه ويتقرب به ويستفاد منه فزعوا الي الهياكل التي هي السيارات السبع فتعرّفوا اوّلا بيوتها ومنازلها وثانياً مطالعها ومغاربها وثالثاً اتصالاتها علي اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة علي طبائعها ورابعًا تقسيم الايام والليالي والساعات عليها وخامساً تقدير الصور والاشخاص والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات وعيّنوا ليوم لزحل مثلاً يوم السبت وراعوا فيه ساعته الاولي وتختموا بخاتمه المعمول علي صورته وصنعته ولبسوا اللباس الخاص به وبخروا ببخوره الخاص ودعوا بدعواته الخاصة وسالوا حاجتهم منه الحاجة التي تستدعي من زحل من افعاله واثاره الخاصة به فكان يقضي حاجتهم ويحصل في الاكثر مرامهم وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعته وجميع الاضافات التي ذكرنا اليه وكذلك سائر الحاجات الي الكواكب وكانوا يسمونها ارباباً

Digitized by Google

الهة والله تعالي هو رب الارباب واله الالهة ومنهم من جعل الشمس اله الالهة ورب الارباب فكانوا يتقربون الي الهياكل تقربًا الي الروحانيات ويتقربون الي الروحانيات تقربًا الي الباري تعالي لاعتقادهم بان الهياكل ابدان الروحانيات ونسبتها الي الروحانيات نسبة اجسادنا الي ارواحنا فهم الاحياء الناطقون بحيوة الروحانيات وهي تتصرف في ابدانها تدبيراً وتصريفًا وتحريكًا كما يتصرف في ابداننا ولا شك ان من تقرب الي شخص فقد تقرب الي روحه ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة علي عمل الكواكب ما كان يقضي منهم العجب وهذه الطلسمات المذكورة في الكتب والسحر والكهانة والتختيم والتعزيم والخواتيم والصور كلها من علومهم واما اصحاب الاشخاص فقالوا اذا كان لا بد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه والروحانيات وان كانت هي الوسائل لكنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبهم بالالسن لم يتحقق التقرب اليها الا بهياكلها ولكن الهياكل قد تري في وقت ولا تري في وقت لان لها طلوعًا وافولًا وظهوراً بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها فلا بد لنا من صور واشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب اعيننا فنعكف عليها ونتوسل بها الي الهياكل فنتقرب بها الي الروحانيات ونتقرب بالروحانيات الي الله تعالي فنعبدهم ليقربونا الي الله زلفي فاتخذوا اصنامًا اشخاصًا علي مثال الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل اعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره وصوّروه بصورته علي الهيئة التي تصدر افعاله عنه وراعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الاضافات النجومية من اتصال محمود يوثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه فتقربوا

Digitized by Google

اليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا ثيابه وتضرعوا بدعايه وعزموا بعزائمه وسالوا حاجتهم منه فيقولون كان يقضي حوايجهم بعد رعاية هذه الاضافات كلها وذلك هو الذي اخبر التنزيل عنهم انهم عبدة الكواكب والاوثان فاصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب اذ قالوا بالهيّتها كما شرحنا واصحاب الاشخاص هم عبدة الاوثان اذ سمّوها الهة في مقابلة الالهة السماوية وقالوا هولاء شفعاؤنا عند الله وقد ناظر الخليل عليه السلم هولاء الفريقين فابتدأ بكسر مذاهب اصحاب الاشخاص وذلك قوله تعالي وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَهِيمَ عَلَي قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وتلك الحجة ان كسرهم قولًا بقوله أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ولما كان ابوه ازر هو اعلم القوم بعمل الاشخاص والاصنام ورعاية الاضافات النجومية فيها حق الرعاية ولهذا كانوا يشترون منه الاصنام لا من غيره كان اكثر الحجج معه واقوي الالزامات عليه اذ قال لابيه آزر أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَلٍ مُبِينٍ وقال يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا لانك جهدت كل الجهد واستعملت كل العلم حتي عملت اصنامًا في مقابلة الاجرام السماوية فما بلغت قوتك العلمية والعملية الي ان تحدث فيها سمعًا وبصرًا وان تغني عنك وتضر وتنفع وانك بفطرتك وخلقتك اشرف درجة منها لانك خلقت سميعًا بصيرًا ضارًا نافعًا والاثار السماوية فيك اظهر منها في هذا المتّخذ تكلفًا والمعمول تصنعًا فيا لها من حيرة اذ صار المصنوع بيديك معبودًا لك والصانع اشرف من المصنوع يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَانَ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمَنِ ثم دعاه الي الحنيفية الحقة يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ

Digitized by Google

جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً. قال أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَهِيمُ فلم يقبل حجته القولية فعدل عليه السلم الي الكسر بالفعل فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ فَقَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَٱسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَآءِ يَنْطِقُونَ فافحمهم بالفعل حيث احال الفعل علي كبيرهم كما افحمهم بالقول حيث احال الفعل منهم وكل ذلك علي طريق الالزام عليهم والا فما كان الخليل كاذباً قط ثم عدل الي كسر مذاهب اصحاب الهياكل وكما اراه الله تعالي الحجة علي قومه قال وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ فاطلعه علي ملكوت الكونين والعالمين تشريفاً له علي الروحانيات وهياكلها وترجيحاً لمذهب الحنفاء علي مذهب الصابية وتقريراً ان الكمال في الرجال فاقبل علي ابطال مذهب اصحاب الهياكل فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي علي ميزان الزامه علي اصحاب الاصنام بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا والا فما كان الخليل كاذباً في هذا القول ولا مشركاً في تلك الاشارة ثم استدل بالافول والزوال والتغيّر والانتقال بانه لا يصلح ان يكون رباً الهاً فان الاله القديم لا يتغير واذا تغيّر فاحتاج الي مغيّر وهذا لو اعتقدتموه رباً قديماً والهاً ازلياً ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعاً ووسيلة فالافول والزوال ايضاً يخرجه عن الكمال وعن هذا ما استدل عليهم بالطلوع وان كان الطلوع اقرب الي الحدوث من الافول فانهم انما انتقلوا الي عمل الاشخاص لما عراهم من التحيّر بالافول فاتاهم الخليل عليه السلم من حيث تحيّرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك ابلغ في

Digitized by Google

الاحتجاج ثم لَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ فيا عجبًا ممّن لا يعرف ربًّا كيف يقول لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الظالين روية الهداية من الرب تعالي غاية التوحيد ونهاية المعرفة والواصل الي الغاية والنهاية كيف يكون في مدارج البداية دع هذا كله خلف قافٍ وارجع بنا الي ما هو شافٍ كافٍ فان الموافقة في العبارة علي طريق الالزام علي الخصم من ابلغ الحجج واوضح المناهج وعن هذا قال لَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ لاعتقاد القوم ان الشمس ملك الفلك وهو رب الارباب الذين يقتبسون منه الانوار ويقبلون منه الاثار فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قرر مذهب الحنفاء وابطل مذهب الصابية وبيّن ان الفطرة هي الحنيفية وان الطهارة فيها وان الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها وان النجاة والخلاص متعلقة بها وان الشرائع والاحكام مشارع ومناهج اليها وان الانبياء والرسل مبعوثة لتقريرها وتقديرها وان الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتلخيصها وتحريرها ذلك الدين القيم والصراط المستقيم والمنهج الواضح والمسلك اللائح قال الله تعالي لنبيه المصطفي عليه السلم فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

الخربانية وهم جماعة من الصابية قالوا الصانع انمعبود واحد كثير اما الواحد ففي الذات والاول والاصل والازل واما الكثير فلانه يتكثر بالاشخاص في راي العين وهي

Digitized by Google

المدبرات السبع والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته وقالوا هو ابدع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الاباء والعناصر امّهات والمركبات مواليد والاباء احياء ناطقون يؤدّون الاثار الي العناصر فتقبلها العناصر في ارحامها فيحصل من ذلك المواليد ثم من المواليد قد يتّفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل اقليم من الاقاليم المسكونة علي راس كل ستة وثلثين الف سنة واربعماية وخمس وعشرين سنة زوجين من كل نوع من اجناس الحيوانات ذكراً وانثي من الانسان وغيره فيبقي ذلك النوع تلك المدّة ثم اذا انقضي الدور بتمامه انقطعت الانواع نسلها وتوالدها فيبتدي دور اخر ويحدث قرن اخر من الانسان والحيوان والنبات وكذلك ابد الدهر قالوا وهذه هي القيامة الموعودة علي لسان الانبياء والا فلا دار سوي هذه الدار وما يهلكنا الا الدهر ولا يتصور احياء الموتي وبعث من في القبور أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ وهم الذين اخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة وانما نشأ اصل التناسخ والحلول من هولاء القوم فان التناسخ هو ان يتكرر الاكوار والادوار الي ما لا نهاية لها ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الاول والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار اخري لا عمل فيها والاعمال التي نحن فيها انما هي اجزية علي اعمال سلفت منّا في الادوار الماضية والراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة علي اعمال البرّ التي سلفت منّا والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة علي اعمال الفجور التي

Digitized by Google

سبقت منّا وكذا كان في الاول وكذا يكون في الاخر والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم واما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه وربما يكون ذلك بحلول ذاته وربما يكون بحلول جزوٌ من ذاته علي قدر استعداد مزاج الشخص وربما قالوا انما تشخص بالهياكل السماوية بكلها وهو واحد وانما يظهر فعله في واحد واحد بقدر اثاره فيه وتشخصه به فكانّ الهياكل السبعة اعضاؤه السبعة وكانّ اعضاؤنا السبعة هياكله السبعة فيها يظهر فينطق بلساننا ويبصر باعيننا ويسمع باذاننا ويقبض ويبسط بايدينا ويجيء ويذهب بارجلنا ويفعل بجوارحنا وزعموا ان الله تعالي اجلّ من ان يخلق الشرور والقبائح والاقذار والخنافس والحيّات والعقارب بل هي كلها واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدورة فما كان من سعد وخير وصفوة فهو المقصود من الفطرة فينسب الي الباري تعالي وما كان من نحوسة وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه بل هي اما اتفاقيات وضروريات واما مستندة الي اصل الشرور والاتصال المذموم والخربانية ينسبون مقالتهم الي عاذيمون وهرمس واعيانا واواذي اربعة من الانبياء ومنهم من ينسب الي سولون جدّ افلاطون لامه ويزعم انه كان نبياً وزعموا ان اواذي حرّم عليهم البصل والحريث والباقلي والصابيون كلهم يصلون ثلث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مسّ الميت وحرموا اكل الخنزير والجزور والكلب ومن الطير كل ما له مخلب والحمام ونهوا عن السكر في الشراب وعن الاختتان وامروا بالتزويج بولي وشهود ولا يجوّزون الطلاق الا بحكم الحاكم ولا يجمعون بين امراتين واما الهياكل التي بناها الصابية علي اسماء الجواهر العقلية الروحانية واشكال الكواكب السماوية فمنها هيكل العلة الاولي ودونها هيكل

Digitized by Google

العقل وهيكل السياسة وهيكل الضرورة وهيكل النفس مدوّرات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مربع مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن

الفلاسفة الفلسفة باليونانية محبّة الحكمة والفيلسوف هو فيلا وسوفا وفيلا هو المحبّ وسوفا هو الحكمة اي هو محبّ الحكمة والحكمة قولية وفعلية اما الحكمة القولية وهي العقدية ايضاً كل ما يعقلها العاقل بالحدّ وما يجري مجراه مثل الرسم وبالبرهان وما يجري مجراه مثل الاستقراء فيعبّر عنه بهما واما الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم لغاية كمالية فالاول الازلي لما كان هو الغاية والكمال فلا يفعل فعلاً لغاية دون ذاته والا فيكون الغاية والكمال هو الحامل والاول محمول وذلك محال فالحكمة في فعله وقعت تبعاً لكمال ذاته وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة وفي فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصوداً للكمال المطلوب وكذلك في افعالنا ثم ان الفلاسفة اختلفوا في الحكمة القولية العقدية اختلافاً لا يحصي كثرة والمتاخرون منهم خالفوا الاوائل في اكثر المسائل وكانت مسائل الاولين محصورة في الطبيعيات والالهيات وذلك هو الكلام في الباري والعالم ثم زادوا فيها الرياضيات وقالوا العلم ينقسم الى ثلثة اقسام علم ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو العلم الالهي والعلم الذي يطلب فيه كيفيات الاشياء هو العلم الطبيعي والعلم الذي يطلب فيه كميات الاشياء هو العلم الرياضي سواء كانت الكميات مجردة عن المادة او كانت مخالطة فاحدث بعدهم ارسطوطاليس الحكيم علم المنطق وسمّاه

Digitized by Google

تعليمات وانما هو جرّده عن كلام القدماء والا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط وربمّا عدّها الة العلوم فقال الموضوع في العلم الالهي هو الوجود المطلق ومسائله البحث عن احوال الوجود من حيث هو وجود والموضوع في العلم الطبيعي هو الجسم ومسائله البحث عن احوال الجسم من حيث هو جسم والموضوع في العلم الرياضي هو الابعاد والمقادير وبالجملة الكمية من حيث انها مجردة عن المادة ومسائله البحث عن احوال الكمية من حيث هي الكمية والموضوع في العلم المنطقي هو المعاني التي في ذهن الانسان من حيث يتادّي بها الي غيرها من العلوم ومسائله البحث عن احوال تلك المعاني من حيث هي كذلك قالت الفلاسفة ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها وانما يكدح الانسان لنيلها والوصول اليها وهي لا تنال الا بالحكمة فالحكمة تطلب اما ليعمل بها واما ليعلم فقط فانقسمت الحكمة الي قسمين علمي وعملي ثم منهم من قدّم العملي علي العلمي ومنهم من اخّر كما سياتي فالقسم العملي هو عمل الخير والقسم العلمي هو علم الحق قالوا وهذان القسمان ممّا يوصل اليه بالعقل الكامل والراي الراجح غير ان الاستعانة بالقسم العملي منه بغيره اكثر والانبياء ايّدوا بامداد روحانية لتقرير القسم العملي وبطرف ما من القسم العلمي والحكماء تعرّضوا لامداد عقلية تقريرًا للقسم العلمي وبطرف ما من القسم العملي فغاية الحكيم هو ان يتجلي لعقله كل الكون ويتشبه بالاله الحق تعالي بغاية الامكان وغاية النبي ان يتجلي له نظام الكون فيقدر علي ذلك مصالح العامة حتي يبقي نظام العالم وينتظم مصالح العباد وذلك لا يتاتّي الا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل فكل ما وردت به اصحاب الشرائع

Digitized by Google

والملل مقدر علي ما ذكرناه عند الفلاسفة الا من اخذ علمه من مشكاة النبوة فانه ربما بلغ الي حد التعظيم لهم وحسن الاعتقاد في كمال درجتهم فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات اصلاً ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلة لان اكثرهم حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر وربما قالوا بالنبوات ومنهم حكماء الروم وهم منقسمون الي القدماء الذين هم اساطين الحكمة والي المتاخرين منهم وهم مشاؤون واصحاب الرواق واصحاب ارسطوطاليس والي فلاسفة الاسلام الذين هم حكماء العجم والا فلم ينقل عن العجم قبل الاسلام مقالة في الفلسفة اذ حكمهم كلها كانت متلقاة من النبوات اما من الملة القديمة واما من سائر الملل غير ان الصابية كانوا يخلطون الحكمة بالصبوة فنحن نذكر مذاهب الحكماء القدماء من الروم واليونانيين في الترتيب الذي نقل في كتبهم ونعقب ذلك بذكر سائر الحكماء فان الاصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم وغيرهم كالعيال لهم

الحكماء السبعة الذين هم اساطين الحكمة من الملطية وساميا واثينية وهي بلادهم واما اسماوهم فثاليس الملطي وانكساغورس وانكسيمانس وانبذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وتبعهم جماعة من الحكماء مثل فلوطرخيس وبقراط وديمقراطيس والشعراء والنسّاك وانما يدور كلامهم في الفلسفة علي ذكر وحدانية الباري تعالي واحاطته علماً بالكائنات كيف هي وفي الابداع وتكوين العالم وان المبادي الاول ما هي وكم هي وان المعاد ما هو ومتي هو وربما تكلموا في الباري عزّ وعلا بنوع حركة وسكون وقد اغفل المتاخرون من فلاسفة الاسلام ذكرهم وذكر مقالتهم راساً الا نكتة شاذّة نادرة ربما اعترت علي ابصار افكارهم اشاروا اليها

Digitized by Google

تزييفًا ونحن تتبعناها نقلاً وتعقبناها نقداً والقينا زمام الاختيار اليك في المطالعة والمناظرة بين كلام الاوائل والاواخر

راي ثاليس وهو اول من تفلسف في الملطية قال ان للعالم مبدعًا لا تدرك صفته العقول من جهة جوهريته وانما يدرك من جهة اثاره وهو الذي لا يعرف اسمه فضلاً من هويته الا من نحو افاعيله وابداعه وتكوينه الاشياء فلسنا ندرك له اسمًا من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا ثم قال ان القول الذي لا مردّ له هو ان المبدع ولا شي مبدع فابدع الذي ابدع ولا صورة له عنده في الذات لان قبل الابداع انما هو فقط واذا كان هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتي يكون هو وصورة او حيث وحيث حتي يكون هو ذو صورة والوحدة الخالصة تنافي هذين الوجهين والابداع هو تأييس ما ليس بأيس واذا كان هو مؤيّس الأيسيات فالتأييس لا من شي متقادم فمؤيّس الاشياء لا يحتاج الي ان يكون عنده صورة الأيس بالأيسية والا فقد لزمه ان كانت الصورة عنده ان يكون منفرداً عن الصورة التي عنده فيكون هو وصورة وقد بيّنّا انه قبل الابداع انما هو فقط وايضًا فلو كانت الصورة عنده اكانت مطابقة للموجود الخارج ام غير مطابقة فان كانت مطابقة فليتعدد الصورة بعدد الموجودات وليكن كلياتها مطابقة للكليات وجزوياتها مطابقة للجزويات وليتغير بتغيرها كما تكثرت بتكثرها وكل ذلك محال لانه ينافي الوحدة الخالصة وان لم يطابق الموجود الخارج فليست اذاً صورة عنه وانما هو شي اخر قال لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فانبعثت من كل صورة موجوداً في العالم العقلي علي المثال الذي في العنصر الاول فمحل الصورة ومنبع الموجودات كلها هو ذات العنصر

Digitized by Google

وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة له ومثال عنه قال ومن كمال ذات الاول الحق انه ابدع مثل هذا العنصر فما يتصوره العامة في ذاته تعالي ان فيها الصور يعني صور المعلومات فهو في مبدعه ويتعالي بوحدانيته وهويته عن ان يوصف بما يوصف به مبدَعه ومن العجب انه نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء قال الماء قابل لكل صورة ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكوّنت الارض ومن انحلاله تكوّن الهواء ومن صفوة الماء تكوّنت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الاثير تكوّنت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبّب علي سببه بالشوق الحاصل فيها اليه قال والماء ذكر والارض انثي وهما يكونان سفلاً والنار ذكر والهواء انثي وهما يكونان علواً وكان يقول ان هذا العنصر الذي هو اول واخر اي هو المبدأ والكمال هو عنصر الجسمانيات والجرميات لا انه عنصر الروحانيات البسيطة ثم هذا العنصر له صفو وكدر فما كان من صفوه فانه يكون جسماً وما كان من كدره فانه يكون جرماً فالجرم يدثر والجسم لا يدثر والجرم كثيف ظاهر والجسم لطيف باطن وفي النشأة الثانية يظهر الجسم ويدثر الجرم ويكون الجسم اللطيف ظاهراً والجرم الكثيف داثراً وكان يقول ان فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق ان يصف تلك الانوار ولا يقدر العقل علي ادراك ذلك الحسن والبهآء وهي مبدَعة من عنصر لا يدرك غوره ولا يبصر نوره والمنطق والنفس والطبيعة تحته ودونه وهو الدهر المحض من نحو اخره لا من نحو اوّله واليه تشتاق العقول والانفس وهو الذي سميناه الديمومة والسرمد والبقاء في حد النشأة الثانية وظهر بهذه

الاشارات انما اراد بقوله الماء هو المبدع الاول اي هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الاول في الموجودات العلوية لكنه لما اعتقد ان العنصر الاول هو قابل كل صورة اي منبع الصور كلها فاثبت في العالم الجسماني له مثالاً يوازيه في قبول الصور كلها ولم يجد عنصراً علي هذا النهج مثل الماء فجعله المبدع الاول في المركبات وانشا منه الاجسام والاجرام السماوية والارضية وفي التورية في السفر الاول مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالي ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاوه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السماوات وظهر علي وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وكان ثاليس الملطي انما تلقي مذهبه من هذه المشكوة النبوية والذي اثبته من العنصر الاول الذي هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الالهية اذ فيه جميع احكام المعلومات وصور الموجودات والخبر عن الكائنات والماء علي القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَي الْمَاءِ

راي انكساغورس وهو ايضاً من ملطية راي في الوحدانية مثل ما راي ثاليس وخالفه في المبدأ الاول قال ان مبدأ الموجودات هو متشابه الاجزاء وهي اجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا ينالها العقل منها كون الكون كله العلوي منه والسفلي لان المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات ايضاً مسبوقة بالمتشابهات اليست المركبات كلها انما امتزجت وتركبت من العناصر وهي بسائط متشابهة الاجزاء وليس الحيوان والنبات وكل ما يغتدي فانما يغتدي من اجزاء متشابهة او غير متشابهة فتجتمع في المعدة فتصير متشابهة ثم تجري في العروق

Digitized by Google

والشريانات فتستحيل اجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم وحكي عنه ايضًا انه وافق سائر الحكماء في المبدأ الاول انه العقل الفعّال غير انه خالفهم في قوله ان الاول الحق ساكن غير متحرك وسنشرح القول في السكون والحركة له تعالي ونبيّن اصطلاحهم في ذلك وحكي فرفوريوس عنه انه قال ان اصل الاشياء جسم واحد موضوع الكل لا نهاية له ولم يبيّن ما ذلك الجسم اهو من العناصر ام خارج من ذلك قال ومنه يخرج جميع الاجسام والقوي الجسمانية والانواع والاصناف وهو اول من قال بالكمون والظهور حيث قدّر الاشياء كلها كامنة في الجسم الاول وانما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعًا وصنفاً ومقدارًا وشكلاً وتكاثفاً تخلخلاً كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والانسان الكامل الصورة من النطفة المهينة والطير من البيض وكل ذلك ظهور عن كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد مادة وانما الابداع واحد ولم يكن لشي اخر سوي ذلك الجسم الاول وحكي عنه انه قال كانت الاشياء ساكنة ثم ان العقل رتّبها ترتيبًا علي احسن نظام فوضعها مواضعها من عالٍ ومن سافل ومن متوسط ثم من متحرك ومن ساكن ومن مستقيم في الحركة ومن دائر ومن افلاك متحركة علي الدوران ومن عناصر متحركة علي الاستقامة وهي كلها بهذا الترتيب مظهرات لما في الجسم الاول من الموجودات ويحكي عنه ان المرتب هو الطبيعة وربما يقول المرتب هو الباري تعالي واذا كان المبدأ الاول عنده ذلك الجسم فمقتضي مذهبه ان يكون المعاد الي ذلك الجسم واذا كانت النشاة الاولي هي الظهور فيقتضي ان تكون النشاة الثانية هي الكمون وذلك قريب من مذهب من يقول بالهيولي الاولي التي حدثت فيها الصور

Digitized by Google

الا انه اثبت جسماً غير متناهٍ بالفعل هو متشابه الاجزاء واصحاب الهيولي لا يثبتون جسماً بالفعل وقد ردّت عليه الحكماء المتاخرون في اثباته جسماً مطلقاً لم يعيّن لها صورة سماوية او عنصرية وفي نفيه النهاية عنه وفي قوله بالكمون والظهور وفي بيانه سبب الترتيب وتعيينه المرتب وانما عقبت مذهبه براي ثاليس لانهما من اهل ملطية متقاربون في اثبات العنصرالاول والصور فيه متمثلة والجسم الاول والموجودات فيه كامنة وحكي ارسطوطاليس عنه ان الجسم الذي تكوّن منه الاشياء غير قابل للكثرة قال واومي الي ان الكثرة جاءت من قبل الباري تعالي

راي انكسيمانس وهو من الملطيين المعروف بالحكمة المذكور بالخير عندهم قال ان الباري تعالي ازلي لا اول له ولا اخر هو مبدأ الاشياء ولا بدو له هو المدرك من خلقه انه هو فقط وانه لا هوية تشبهه وكل هوية فمبدعة منه هو الواحد ليس واحد الاعداد لان واحد الاعداد يتكثر وهو لا يتكثر وكل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته في علمه الاول والصور عنده بلا نهاية قال ولا يجوز في الراي الا احد قولين اما ان نقول انه ابدع ما في علمه واما ان نقول انما ابدع اشياء لا يعلمها وهذا من القول المستبشع وان قلنا ابدع ما في علمه فالصورة ازلية بازليته وليس يتكثّر ذاته بتكثّر المعلومات ولا يتغيّر بتغيّرها قال ابدع بوحدانيته صورة العنصر ثم صورة العقل انبعثت عنها ببدعه الباري تعالي فرتب العنصر في العقل الوان الصور علي قدر ما فيها من طبقات الانوار واصناف الاثار وصار تلك الطبقات صوراً كثيرة دفعة واحدة كما تحدث الصور في المراءة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض علي بعض غير ان الهيولي لا تحتمل القبول

Digitized by Google

دفعة واحدة الا بترتيب وزمان فحدثت تلك الصور فيها علي الترتيب ولم يزل في العالم بعد العالم علي قدر طبقات العوالم حتي قلّت انوار الصور في الهيولي وقلّت الهيولي وصارت منها هذه الصورة الرذلة الكثيفة التي لم تقبل نفساً روحانية ولا نفساً حيوانية ولا نباتية وكل ما هو علي قبول حيوة وحسّ فهو بعد في اثار تلك الانوار وكان يقول ان هذا العالم يدثر ويدخله الفساد والعدم من اجل انه سفل تلك العوالم وثقلها ونسبتها اليه نسبة اللبّ الي القشر والقشر يرمي قال وانما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من قليل نور ذلك العالم والا لما ثبت طرفة عين ويبقي ثباته الي ان يصفي العقل جزوه الممتزج به والي ان يصفي النفس جزوها المختلط فيه فاذا صفي الجزوان عنه دثرت اجزاء هذا العالم وفسدت وبقيت مظلمة قد عدمت ذلك القليل من النور فيها وبقيت الانفس الدنسة الخبيثة في هذه الظلمة بلا نور ولا سرور ولا روح ولا راحة ولا سكون ولا سلوة ونقل عنه ايضاً ان اول الاوايل من المبدعات هو الهواء ومنه يكوّن جميع ما في العالم من الاجرام العلوية والسفلية قال ما كوّن من صفو الهواء المحض لطيف روحاني لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كوّن من كدر الهواء كثيف جسماني يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسمانيات كثير الاوساخ والاوضار يتشبث به من سكن اليه فيمنعه من ان يرتفع علواً ويتخلص منه من لم يسكن اليه فصعد الي عالم كثير اللطافة دائم السرور ولعله جعل الهواء اول الاوايل لموجودات العالم الجسماني كما جعل

Digitized by Google

العنصر اول الاوايل لموجودات العالم الروحاني وهو علي مثل مذهب ثاليس اذ اثبت العنصر والماء في مقابلته وهو قد اثبت العنصر والهواء في مقابلته ونزّل العنصر منزلة القلم الاول والعقل منزلة اللوح القابل لنقش الصور ورتب الموجودات علي ذلك الترتيب وهو ايضاً من مشكوة النبوة اقتبس وبعبارات القوم التبس

راي انبذقلس وهو من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم رقيق الحال في الاعمال وكان في زمن داود النبي عليه السلام مضي اليه وتلقي منه واختلف الي لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد الي يونان وافاد قال ان الباري تعالي لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الارادة المحضة وهو الجود والعزّ والقدرة والعدل والخير والحق لا ان هناك قوي مسمّاة بهذه الاسماء بل هي هو وهو هذه كلها مبدع فقط لا انه ابدع من شي ولا انّ شيأً كان معه فابدع الشي البسيط الذي هو اول البسيط المعقول وهو العنصر الاول ثم كثر الاشياء المبسوطة من ذلك النوع البسيط الواحد الاول ثم كوّن المركبات من المبسوطات وهو مبدع الشي واللاشي العقلي والفكري والوهمي اي مبدع المتضادّات والمتقابلات المعقولة والخيالية والحسّية وقال ان الباري تعالي ابدع الصور لا بنوع ارادة مستانفة بل بنوع انه علة فقط وهو العلم والارادة فاذا كان المبدع انما ابدع الصور بنوع انه علة لها فالعلة ولا معلول والا فالمعلول مع العلة معيّة بالذات فان جاز ان يقال ان معلولاً مع العلة فالمعلول حينئذ ليس هو غير العلة وان يكون المعلول ليس اولي بكونه معلولاً من العلة ولا العلة بكونها معلولاً اولي من المعلول فالمعلول اذاً تحت العلة وبعدها والعلة علة العلل كلها اي علة كل معلول تحتها

Digitized by Google

فلا محالة ان المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات البتة والا فقد بطل اسم العلة والمعلول فالمعلول الاول هو العنصر والمعلول الثاني بتوسطه العقل والثالث بتوسطهما النفس وهذه بسائط ومبسوطات وبعدها مركبات وذكر ان المنطق لا يعبّر عمّا عند العقل لان العقل اكبر من المنطق من اجل انه بسيط والمنطق مركب والمنطق يتجزي والعقل يتحد ويحد فيجمع المتجزيات فليس للمنطق اذاً ان يصف الباري تعالي الا صفة واحدة وذلك انه هو ولاشي من هذه العوالم بسيط ولا مركب فاذا قال هو ولاشي فقد كان الشي واللاشي مبدعين ثم قال انبذقلس العنصر الاول بسيط من نحو ذات العقل الذي دونه وليس هو دونه بسيطاً مطلقاً اي واحداً بحتاً من نحو ذات العلة فلا معلول الا وهو مركب تركيباً عقلياً او حسياً فالعنصر في ذاته مركب من المحبة والغلبة وعنهما ابدعت الجواهر البسيطة الروحانية والجواهر المركبة الجسمانية فصارت المحبة والغلبة صفتين او صورتين للعنصر مبدأين لجميع الموجودات فانطبعت الروحانيات كلها علي المحبة الخالصة والجسمانيات كلها علي الغلبة والمركبات منها علي طبيعتي المحبة والغلبة والازدواج والتضادّ وبمقدارهما في المركبات يعرف مقادير الروحانيات في الجسمانيات قال ولهذا المعني ايتلفت المزدوجات بعضها ببعض نوعاً بنوع وصنفاً بصنف واختلفت المتضادات فتنافر بعضها عن بعض نوعاً عن نوع وصنفاً عن صنف فما كان فيها من الايتلاف والمحبة فمن الروحانيات وما كان فيها من الاختلاف والغلبة فمن الجسمانيات وقد يجتمعان في نفس واحدة باضافتين مختلفتين وربما اضاف المحبة الي المشتري والزهرة والغلبة الي زحل والمريخ وكانهما تشخصا بالسعدين والتحسين

Digitized by Google

ولكلام انبذقلس مساق اخر قال ان النفس النامية قشر النفس البهيمية الحيوانية والنفس الحيوانية قشر النفس المنطقية والمنطقية قشر العقلية وكل ما هو اسفل فهو قشر لما هو اعلي والاعلي لبّه وربما يعبّر عن القشر واللبّ بالجسد والروح فيجعل النفس النامية جسدًا للنفس الحيوانية وهذه روحًا له وعلي ذلك حتي ينتهي الي العقل وقال لما صوّر العنصر الاول في العقل ما عنده من الصور المعقولة الروحانية وصوّر العقل في النفس ما استفاده من العنصر صورت النفس الكلية في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل فحصلت قشور في الطبيعة لا تشبهها ولا هي شبيهة بالعقل الروحاني اللطيف فلما نظر العقل اليها وابصر الارواح واللبوب في الاجساد والقشور ساح عليها من الصور الحسنة الشريفة البهية وهي صور النفوس المشاكلة للصور العقلية اللطيفة الروحانية حتي يدبرها ويتصرف فيها بالتمييز بين القشور واللبوب فيصعد باللبوب الي عالمها وكانت النفوس الجزوية اجزاء النفس الكلية كاجزاء الشمس المشرقة علي منافذ البيت والطبيعة الكلية معلولة للنفس وفرق بين الجزو وبين المعلول فالجزو غير والمعلول غير ثم قال وخاصية النفس الكلية المحبة لانها لما نظرت الي العقل وحسنه وبهايه احبّته حبّ وامق عاشق لمعشوقه فطلبت الاتحاد به وتحركت نحوه وخاصية الطبيعة الكلية الغلبة لانها لما وجدت لم يكن لها نظر وبصر تدرك بها النفس والعقل فتحبهما وتعشقهما بل انبجست منها قوي متضادة اما في بسائطها فمتضادات الاركان واما في مركّباتها فمتضادّات القوي المزاجية والطبيعية والنباتية والحيوانية فمردت عليها لبعدها عن كليتها وطاوعتها الاجزاء النفسانية مغترّة بعالمها الغرار

Digitized by Google

فركنت الي لذّات حسّية من مطعم مري ومشرب هني وملبس طري ومنظر بهي ومنكح شهي ونسيت ما قد طبعت عليه من ذلك البهاء والحسن والكمال الروحاني النفساني العقلي فلما رانت النفس الكلية تمرّدها واغترارها اهبطت اليها جزواً من اجزائها هو اذكي والطف واشرف من هاتين النفسين البهيمية والنباتية ومن تلك النفوس المغترّة بها فتكسر النفسين عن تمرّدهما وتحبب الي النفوس المغترّة عالمها وتذكّرها ما قد نسيت وتعلّمها ما جهلت وتطهّرها عما تدنّست فيه وتزكّيها عما تنجست به وذلك الجزو الشريف هو النبي المبعوث في كل دور من الادوار فيجري علي سنن العقل والعنصر الاول من رعاية المحبة والغلبة فيتالف بعض النفوس بالحكمة والموعظة الحسنة ويشدّد علي بعضها بالقهر والغلبة وتارة يدعوا باللسان من جهة المحبة لطفاً وتارة يدعوا بالسيف من جهة الغلبة عنفاً فيخلص النفوس الجزوية الشريفة التي اغترّت بتمويهات النفسين المزاجيتين عن التمويه الباطل والتسويل الزائل وربما يكسوا النفسين السافلتين كسوة النفس الشريفة فتنقلب صفة الشهوية الي المحبة محبة الخير والحق والصدق وتنقلب صفة الغضبية الي الغلبة فيغلب الشرّ والباطل والكذب فتصعد النفس الجزوية الشريفة الي عالم الروحانيين بهما جميعاً فيكونان جسداً لها في ذلك العالم كما كانتا جسداً لها في هذا العالم وقد قيل ان كانت الدولة والجدّ لاحد احبّه اشكاله فيغلب بمحبّتهم له اضداده ومما نقل من انبذقلس انه قال العالم مركب من الاسطقسات الاربع فانه ليس وراها شي ابسط منها وان الاشياء كامنة بعضها في بعض وابطل الكون والفساد والاستحالة والنمو وقال الهواء لا يستحيل

Digitized by Google

نارًا ولا الماء هواء ولكن ذلك بتكاثف وتخلخل وبكمون وظهور وتركّب وتحلّل وانما التركب في المركبات بالمحبة يكون والتحلّل في المتحلّلات بالغلبة يكون ومما نقل عنه انه تكلّم في الباري تعالي بنوع حركة وسكون فقال انه متحرك بنوع سكون لان العقل والعنصر متحركان بنوع سكون وهو مبدعهما ولا محالة المبدع اكبر لانه علة كل متحرك وساكن وشايعه علي هذا الراي فيثاغورس ومن بعده من الحكماء الي افلاطن واما زينون الاكبر وذيمقراط والشاعريون فصاروا الي انه تعالي متحرك وقد سبق النقل عن انكساغورس انه قال هو ساكن لا يتحرك لان الحركة لا تكون الا محدثة ثم قال الا ان يقولوا ان تلك الحركة فوق هذه الحركة كما ان ذلك السكون فوق هذا السكون وهولاء ما عنوا بالحركة والسكون النقلة عن مكان واللبث في مكان ولا بالحركة التغيّر والاستحالة وبالسكون ثبات الجوهر والدوام علي حالة واحدة فان الازلية والقدم ينافي هذه المعاني كلها ومن يحترز ذلك الاحتراز عن التكثر فكيف يجازف هذه المجازفة في التغيّر فاما الحركة والسكون في العقل والنفس فانما عنوا به الفعل والانفعال وذلك ان العقل لما كان موجوداً كاملاً بالفعل قالوا هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها فاعلاً والنفس لما كانت ناقصة متوجّهة الي الكمال قالوا هي متحركة طالبة درجة العقل ثم قالوا العقل ساكن بنوع حركة اي هو في ذاته كامل بالفعل فاعل مخرج النفس من القوة الي الفعل والفعل نوع حركة في سكون والكمال نوع سكون في حركة اي هو كامل ومكمّل غيره فعلي هذا المعني يجوز علي قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون الي الباري ومن العجب ان مثل هذا الاختلاف قد وجد في ارباب الملل

Digitized by Google

حتي صار بعض الي انه مستقرّ في مكان ومستوٍ علي مكان وذلك اشارة الي السكون وصار بعض الي انه يجيء ويذهب وينزل ويصعد وذلك عبارة عن الحركة الا ان يحمل علي معني صحيح لائق بجناب القدس حقيق بجلال الحق ومما نقل عن انبذقلس في امر المعاد قال يبقي هذا العالم علي الوجه الذي عقدناه من النفوس التي تشبّثت بالطبائع والارواح التي تعلّقت بالشباك حتي تستغيث في اخر الامر الي النفس الكلية التي هي كلها فتتضرّع النفس الي العقل ويتضرع العقل الي الباري تعالي فيسبح الباري علي العقل ويسبح العقل علي النفس ويسبح النفس علي هذا العالم بكل نورها فتستضيء الانفس الجزوية وتشرق الارض والعالم بنور ربّها حتي يعاين الجزوّيات كلياتها فيتخلص من الشبكة فيتصل بكلياتها و تستقر في عالمها مسرورة محبورة ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

راي فيثاغورس بن منسارخس من اهل ساميا وكان في زمان سليمان عليه السلام قد اخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الراي المتين والعقل الرصين يدعي انه شاهد العوالم بحسّه وحدسه وبلغ في الرياضة الي ان سمع حفيف الفلك ووصل الي مقام الملك وقال ما سمعت شيئًا قط الذّ من حركاتها ولا رايت شيئًا ابهي من صورها وهياتها وقوله في الالهيات ان الباري تعالي واحد لا كالاحاد ولا يدخل في العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلي يدركه ولا المنطق النفسي يصفه فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته وانما يدرك باثاره وصنائعه وافعاله وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الاثار التي تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذي

Digitized by Google

خصّه من صنعه فالموجودات في العالم الروحاني قد خصّت باثار خاصّة روحانية فينعته من حيث تلك الاثار ولا شكّ ان هداية الحيوان مقدّرة علي الاثار التي جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدّرة علي الاثار التي فطر الانسان عليها وكل يصفه من نحو ذاته ويقدّسه عن خصائص صفاته ثم قال الوحدة تنقسم الي وحدة غير مستفادة من الغير وهي وحدة الباري تعالي وحدة الاحاطة بكل شي وحدة الحكمة علي كل شي وحدة تصدر عنه الاحاد الموجودات والكثرة فيها والي وحدة مستفادة وذلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة علي الاطلاق تنقسم الي وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر وقبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التي هي قبل الدهر وحدة الباري تعالي والوحدة التي هي مع الدهر وحدة العقل الاول والوحدة التي هي بعد الدهر وحدة النفس والوحدة التي هي مع الزمان وحدة العناصر والمركّبات وربما يقسم الوحدة قسمة اخري فيقول الوحدة تنقسم الي وحدة بالذات والي وحدة بالعرض فالوحدة بالذات ليست الا لمبدع الكل الذي تصدر منه الوحدانيات في العدد والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الي ما هو مبدأ العدد وليس داخلاً في العدد والي ما هو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول كالواحدية للعقل الفعّال لانه لا يدخل في العدد والمعدود والثاني ينقسم الي ما يدخل فيه كالجزو له فان الاثنين انما هو مركب من واحدين وكذلك كل عدد فمركّب من احاد لا محالة وحيث ما ارتقي العدد الي اكثر نزل نسبة الوحدة اليه الي اقل والي ما يدخل فيه كاللازم له لا كالجزو فيه وذلك لان كل عدد معدود لن يخلوا قط عن وحدة ملازمة فان الاثنين والثلثة في كونهما اثنين وثلثة واحد وكذلك المعدودات

Digitized by Google

من المركبات والبسائط واحدة اما في الجنس او في النوع او في الشخص كالجوهر في انه جوهر علي الاطلاق والانسان في انه انسان والشخص المعيّن مثل زيد في انه ذلك الشخص بعينه واحد فلم تنفك الوحدة من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة الباري تعالي لزم الموجودات كلها وان كانت في ذواتها متكثرة وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه و كل ما هو ابعد من الكثرة فهو اشرف واكمل ثم ان لفيثاغورس رايا في العدد والمعدود قد خالف فيها جميع الحكماء قبله وخالفه فيها من بعده وهو انه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وتصوّره موجوداً محققاً وجود الصورة وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو اول مبدع ابدعه الباري فاول العدد هو الواحد وله اختلاف راي في انه هل يدخل في العدد كما سبق وميله الاكثر الي انه لا يدخل في العدد فيبتدي العدد من اثنين ويقول هو منقسم الي زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط اربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجاً فانه لو انقسم الي واحدين كان الواحد داخلاً في العدد ونحن ابتدأنا في العدد من اثنين والزوج قسم من اقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط الاول ثلثة قال وتتمّ القسمة بذلك وما وراه فهو قسمة القسمة فالاربعة هي نهاية العدد وهي الكمال وعن هذا كان يقسم بالرباعية لا وحق الرباعية التي هي مدبر انفسنا التي هي اصل الكل وما وراء ذلك فزوج الفرد وزوج الزوج وزوج الزوج والفرد ويسمّي الخمسة عدداً دائراً فانها اذا ضربتها في نفسها ابداً عادت الخمسة من راس ويسمي الستة عدداً تامّاً فان اجزاها مساوية لجملتها والسبعة عدداً كاملاً فانها مجموع الفرد والزوج وهي نهاية والثمانية مبتدأة

Digitized by Google

مركبة من زوجين والتسعة من ثلثة افراد والعشرة وهي نهاية اخري من مجموع العدد من الواحد الي الاربعة وهي نهاية اخري فللعدد اربع نهايات اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الي الواحد فنقول احد عشر وتعدو التركيبات فيما وراء الاربعة علي انحاء شتي فالخمسة علي مذهب من لا يري الواحد في العدد فهي مركبة من عدد وفرد وعلي مذهب من يري ذلك فهي مركبة من فرد وزوجين وكذلك الستة علي الاول فمركبة من فردين او عدد وزوج وعلي الثاني فمركبة من ثلثة ازواج والسبعة علي الاول فمركبة من فرد وزوج وعلي الثاني من فرد و ثلثة ازواج والثمانية علي الاول فمركبة من زوجين وعلي الثاني فمركبة من اربعة ازواج والتسعة علي الاول فمركبة من ثلثة افراد وعلي الثاني من فرد واربعة ازواج والعشرة علي الاول فمركبة من عدد وزوجين او زوج وفردين وعلي الثاني فما يحسب من الواحد الي الاربعة وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا القياس قال وهذه هي اصول الموجودات ثم انه ركّب العدد علي المعدود والمقدار علي المقدور فقال المعدود الذي فيه اثنينية وهو اصل المعدودات ومبداها العقل باعتبار ان فيه اعتبارين اعتبار من حيث ذاته وانه ممكن الموجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله الاثنان والمعدود الذي فيه ثلثية هو النفس اذ زاد علي الاعتبارين اعتباراً ثالثاً والمعدود الذي فيه اربعية هو الطبيعة اذ زاد علي الثلثة رابعاً وثم النهاية يعني نهاية المبادي وما بعده المركّبات فما من موجود مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل شي اما عين او اثر حتي ينتهي الي السبع فيقدر المعدودات علي ذلك وينتهي الي العشرة ويعد العقل والنفوس

Digitized by Google

التسعة بافلاكها التي هي ابدانها وعقولها المفارقة وكالجوهر وتسعة اعراض وبالجملة انما يتعرف حال الموجودات من العدد والمقادير الاول ويقول الباري تعالي عالم بجميع المعلومات علي طريق الاحاطة بالاسباب التي هي الاعداد والمقادير وهي لا تختلف فعلمه لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هو العنصر الاول كما قال انكسمانيس ويسمّيه الهيولي الاولي وذلك هو الواحد المستفاد لان الواحد الذي هو لا كالاحاد وهو واحد يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة التي تلازم الموجودات فلا يوجد موجود الا وفيه من وحدته حظ علي قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ علي قدر قبوله ثم من قوة النفس حظ علي قدر تهيّؤه وعلي ذلك اثار المبادي في المركبات فان كل مركب لن يخلوا عن مزاج ما وكل مزاج لا يعري عن اعتدال ما وكل اعتدال عن كمال او قوة كمال اما طبيعي اليّ هو مبدأ الحركة واما عن كمال نفساني هو مبدأ الحسّ فاذا بلغ المزاج الانساني الي حدّ قبول هذا الكمال افاض عليه العنصر وحدته والعقل هدايته والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التاليفات الهندسية مرتبة علي المعادلات العددية عددناها ايضاً من المبادي فصارت طائفة من الفيثاغورسيين الي ان المبادي هي التاليفات الهندسية علي مناسبات عددية ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركات متناسبة لحنية هي اشرف الحركات والطف التاليفات ثم تعدوا من ذلك الي الاقوال حتي صارت طائفة منهم الي ان المبادي هي الحروف والحدود المجردة عن المادة واوقعوا الالف في مقابلة الواحد والباء في مقابلة الاثنين الي غير ذلك من المقابلات ولست ادري قدروها علي اي لسان ولغة فان الالسن تختلف باختلاف الامصار والمدن

Digitized by Google

او علي اي وجه من التركيب فان التركيبات ايضاً مختلفة فالبسائط من الحروف مختلف فيها والمركّبات كذلك ولا كذلك عدد فانه لا يختلف اصلاً وصارت جماعة منهم ايضاً الي ان مبدأ الجسم هو الابعاد الثلثة والجسم مركّب عنها واوقع النقطة في مقابلة الواحد والخط في مقابلة الاثنين والسطح في مقابلة الثلثة والجسم في مقابلة الاربعة وراعوا هذه المقابلات في تراكيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومما ينقل عن فيثاغورس ان الطبائع اربعة والنفوس التي فينا ايضاً اربعة العقل والراي والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد علي المعدود والروحاني علي الجسماني قال ابو علي بن سينا وامثل ما يحمل عليه هذا القول ان يقال كون الشي واحداً غير كونه موجوداً او انساناً وهو في ذاته اقدم منهما فالحيوان الواحد لا يحصل واحداً الا وقد تقدمه معني الوحدة التي صار به واحداً ولولاه لم يصح وجوده فاذاً هو الاشرف الابسط الاول وهذه صورة العقل فالعقل يجب ان يكون الواحد من هذه الجهة والعلم دون ذلك في الرتبة لانه بالعقل ومن العقل فهو الاثنان الذي يتفرد الي الواحد ويصدر منه كذلك العلم يوول الي العقل ومعني الظن والراي عدد السطح والحس عدد المصمت ان السطح لكونه ذا ثلث جهات هو طبيعة الظن الذي هو اعمّ من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معيّن والظن والراي يتجذب الي الشي ونقيضه والحس اعمّ من الظن فهو المصمت اي جسم له اربع جهات ومما نقل عن فيثاغورس ان العالم انما الف من اللحون البسيطة الروحانية ويذكر ان الاعداد الروحانية غير منقطعة بل اعداد متحدة تتجزي من نحو العقل ولا تتجزي من نحو الحواس وعد عوالم كثيرة فمنه عالم هو سرور محض في اصل الابداع

Digitized by Google

وابتهاج وروح في وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها ليس مثل منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة وقد يكون باللحون الروحانية المركبة والاول يكون سرورها دائمًا غير منقطع ومن اللحون ما هو بعد ناقص في التركيب لان المنطق بعد لم يخرج الي الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس بغاية الاتّفاق وكل عالم هو دون الاول بالرتبة ويتفاضل العوالم بالحسن والبهاء والزينة والاخر ثقل العوالم وثقلها وسفلها وكذلك لم تجتمع كل الاجتماع ولم يتحد الصورة بالمادة كل الاتحاد وجاز علي كل جزو منه الانفكاك عن الجزو الاخر الا ان فيه نورًا قليلًا من النور الاول فلذلك النور وجد فيه نوع ثبات ولو لا ذلك لم يثبت طرفة عين وذلك النور القليل جسم النفس والعقل الحامل لهما في هذا العالم وذكر ان الانسان بحكم الفطرة واقع في مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك صار حظه من النفس والعقل اوفر فمن احسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتزكية احواله امكنه ان يصل الي معرفة العالم وكيفية تاليفه ومن ضيّع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور وصار ضياعًا هملًا وربما يقول النفس الانسانية تاليفات عددية او لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذّت بسماعها وطاشت وتواجدت باستماعها وجاشت ولقد كانت قبل اتصالها بالابدان قد ابدعت من تلك التاليفات العددية الاولي ثم اتّصلت بالابدان فان كانت التهذيبات الخلقية علي تناسب الفطرة وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجة اتصلت بعالمها وانخرطت في سلكها علي هيئة اجمل

Digitized by Google

واكمل من الاول فان التاليفات الاول قد كانت ناقصة من وجه حيث كانت بالقوة وبالرياضة والمجاهدة في هذا العالم بلغت الي حدّ الكمال خارجة من حدّ القوة الي حدّ الفعل قال والشرائع التي وردت بمقادير الصلوات والزكوات وسائر العبادات انما هي لايقاع هذه المناسبات في مقابلة تلك التاليفات الروحانية وربما يبالغ في تقرير التاليف حتي يكاد يقول ليس في العالم سوي التاليف والاجسام والاعراض تاليفات والنفوس والعقول تاليفات ويعسر كل العسر تقرير ذلك نعم تقدير التاليف علي المولف والتقدير علي المقدر امر يهتدي اليه ويعول عليه وكان خريفوس وزينون الشاعر متابعين لفيثاغورس علي رايه في المبدَع والمبدِع الا انهما قالا الباري تعالي ابدع العقل والنفس دفعة واحدة ثم ابدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدو ما ابدعهما لا يموتان ولا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكرا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية من كل دنس صارت في العالم الاعلي الي مسكنها الذي يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذي هو من النار والهواء جسمها في ذلك العالم مهذباً من كل ثفل و كدر فاما الجرم الذي من الماء والارض فان ذلك يدثر ويفني لانه غير مشاكل للجسم السماوي لان الجسم السماوي لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه اشد روحانية وهذا العالم لا يشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ما هو مركب والاجزاء النارية والهوايية عليه اغلب كانت الجسمية اغلب و ما هو مركب والاجزاء المايية والارضية عليه اغلب كانت الجرمية اغلب و هذا العالم عالم الجرم و ذلك العالم عالم الجسم فالنفس في ذلك العالم تحشر في بدن جسماني لا جرماني دائماً لا يجوز عليه الفناء والدثور ولذته تكون دائمة لا يملها الطباع والنفوس

Digitized by Google

وقيل لفيثاغورس لم قلت بابطال العالم قال لانه يبلغ العلة التي من اجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته واكثر اللذات العلوية هي التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود واما ايراقليطس واباسيس كانا من الفيثاغورسيين وقالوا ان مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الارض وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وما تحلل من الماء بحرارة النار صار هواء فالنار مبدأ وبعدها الارض وبعدها الماء وبعدها الهواء والنار هي المبدأ واليها المنتهي فمنها التكون واليها الفساد واما ابيقورس الذي تفلسف في ايام ديمقراطيس وكان يري ان مبادي الموجودات اجسام تدرك عقلاً وهي كانت تتحرك من الخلاء في الخلاء لا نهاية له وكذلك الاجسام لا نهاية لها الا ان لها ثلثة اشياء الشكل والعظم والثقل وديمقراطيس كان يري ان لها شئين العظم والشكل فقط وذكر ان تلك الاجسام لا تتجزي اي لا تنفعل ولا تنكسر وهي معقولة اي موهومة غير محسوسة فاصطكت تلك الاجزاء في حركاتها اضطراراً واتفاقاً فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم واشكالها وتحركت علي انحاء من جهات التحرك وذلك هو الذي يحكي عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعاً اوجب الاصطكاك واوجد هذه الصورة وهولاء قد اثبتوا الصانع واثبتوا سبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخبطة وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعي احدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس ودعا الناس الي حكمة فيثاغورس واضاف حكمة الي مجوسية القوم والاخر يدعي قلانوس ودخل الهند ودعا الناس الي حكمة

Digitized by Google

واضاف حكمه الي برهمية القوم الا ان المجوس كما يقال اخذوا جسمانية قوله والهند اخذوا روحانية ومما اخبر عنه فيثاغورس واوصي به قال اني عاينت هذه العوالم العلوية بالحس بعد الرياضة البالغة وارتفعت عن عالم الطبائع الي عالم النفس وعالم العقل فنظرت الي ما فيها من الصور المجردة وما لها من الحسن والبهاء والنور وسمعت ما لها من اللحون الشريفة والاصوات الشجية الروحانية وقال ان ما في هذا العالم يشتمل علي مقدار يسير من الحسن لكونه معلول الطبيعة وما فوقه من العوالم ابهي و اشرف واحسن الي ان يصل الوصف الي عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن المنطق وصف ما فيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم علي الاتصال بذلك العالم حتي يكون بقاوكم ودوامكم طويلاً بعد ما لكم من الفساد والدثور وتصيرون الي عالم هو حسن كله وبهاء كله وسرور كله وعز وحق كله و يكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال ومن كانت الوسائط بينه وبين مولاه اكثر فهو في رتبة العبودية انقص واذ كان البدن مفتقراً في مصالحه الي تدبير الطبيعة مفتقرة في تادية افعالها الي تدبير النفس و كانت النفس مفتقرة في اختيارها الافضل الي ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح الا الهداية الالهية فبالحري ان يكون المستعين بصريح العقل في كافة المصارف مشهوداً له بفطنة الاكتفاء بمولاه وان يكون التابع لشهوة البدن المنقاد لدواعي الطبيعة والمواتي لهوي النفس بعيداً من مولاه ناقصاً في رتبته

راي سقراط بن سفرنيسقوس الحكيم الفاضل الزاهد من اثينية وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وارسالاوس واقتصر من اصنافها علي الالهيات والاخلاقيات

Digitized by Google

واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل الي الجبل واقام في غاربه ونهي الروساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فثوروا عليه الغاغة والجأوا الملك الي قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم وقصته معروفة قال سقراط ان الباري تعالي لم يزل هويته فقط وهو جوهر فقط واذا رجعنا الي حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل قاصراً عن اكتناه وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها من تلقاء جوهره فهو المدرك حقًا والواصف لكل شي وصفًا والمسمي لكل موجود اسمًا فكيف يقدر المسمي ان يسميه اسمًا وكيف يقدر المحاط ان يحيط به وصفًا فيرجع فيصفه من جهة اثاره وافعاله وهي اسماء وصفات الا انها ليست من الاسماء الواقعة علي الجوهر المخبر عن حقيقته وذلك مثل قولنا اله اي واضع كل شي وخالق اي مقدر كل شي وعزيز اي ممتنع ان يضام وحكيم اي محكم افعاله علي النظام وكذلك سائر الصفات وقال ان علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية ولا يبلغ العقل ان يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فالزم عليه انك تقول انها بلا نهاية ولا غاية وقد نري الموجودات متناهية فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والوجود ولما كانت المادة لم تحتمل صوراً بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل في الواهب بل لقصور في المادة وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتًا وصورة وحيزًا ومكانًا الا انها لا تناهي زمانًا في اخرها الا من نحو اولها وان لم يتصور بقاء شخص فاقتضت الحكمة استيفاء الاشخاص ببقاء الانواع وذلك تجدد امثالها ليستحفظ الشخص ببقاء النوع ويستبقي النوع بتجدد الاشخاص فلا يبلغ القدرة الي حد النهاية ولا الحكمة تقف علي غاية ثم من مذهب

سقراط ان اخص ما يوصف به الباري تعالي هو كونه حيًا قيوماً لان العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حياً والحيوة صفة جامعة للكل والبقاء والسرمد والدوام يندرج تحت كونه قيوماً والقيومية صفة جامعة للكل وربما يقول هو حي ناطق من جوهره اي من ذاته وحيوتنا ونطقنا لا من جوهرنا ولهذا يتطرق الي حيوتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك الي حيوته ونطقه تعالي وتقدس وحكي فلوطرخيس عنه في المبادي انه قال اصول الاشياء ثلثة وهي العلة الفاعلة والعنصر والصورة فالله تعالي هو الفاعل والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد والصورة جوهر لا جسم وقال الطبيعة امة للنفوس والنفس امة للعقل والعقل امة للمبدع الاول من اجل ان اول مبدَع ابدعه المبدع الاول صورة العقل وقال المبدع لا غاية له ولا نهاية وما ليس له نهاية ليس له شخص وصورة وقال اللانهاية في سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهياً فالموجودات ليست بلا نهاية والمبدع الاول ليس بذي نهاية ليس علي انه ذاهب في الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقي اليه الخيال حتي يصفه بنهاية ولا نهاية فلا نهاية له من جهة العقل اذ ليس بحده ولا من جهة الحس فليس بجده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية او وجودية حسية او عقلية تعالي وتقدس ومن مذهب سقراط ان النفوس الانسانية كانت موجودة قبل وجود الابدان علي نحو من انحاء اما متصلة بكلها او متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالابدان استكمالاً واستدامة و الابدان قوالبها و الاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس الي كليتها و عن هذا كان يخوف بالملك الذي حبسه

Digitized by Google

انه يريد قتله قال ان سقراط في حب والملك لا يقدر الا علي كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء الي البحر ولسقراط اقاويل في المسائل الحكمية والعلمية والعملية ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط ان الحكمة قبل الحق ام الحق قبل الحكمة واوضح القول فيه بان الحق اعم من الحكمة الا انه قد يكون جلياً وقد يكون خفياً واما الحكمة فهي اخص من الحق الا انها لا تكون الا جلية فاذاً الحق مبسوط في العالم مشتمل علي الحكمة المستفيضة في العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط في العالم والحق ما به الشي والحكمة ما لاجله الشي ولسقراط الغاز ورموز القاها الي تلميذه ازخانس وحلها في كتاب فاذن و نحن نوردها مرسلة معقودة منها قوله عند ما فتشت عليه الحيوة القيت الموت و عند ما وجدت الموت القيت الحيوة الدائمة ومنها اسكت عن الضوضاء الذي في الهواء وتكلم بالليالي حيث لا يكون اعشاش الخفافيش واسدد الخمس الكوي ليضي مسكن العلة واملا الوعاء طيباً وافرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة واجلس علي باب الكلام وامسك مع الحذر اللجام الرخو ليلا يصعب فتري نظام الكواكب ولا تاكل الاسود الذئب ولا تجاوز الميزان ولا تستوطن الفار بالسكين ولا تجلس علي المكيال ولا تشمّ النفاحة وامت الحي يحي بموته وكن قاتلة بالسكين المريّن او غير المريّن واحذر الاسود ذا الاربع ومن جهة العلة كن ارنباً و عند الموت لا تكن نملة وعند ما يذكر دوران الحيوة امت الميت ليكون ذاكراً و كن مقضضاً ولا تكن صديق شرايطي ولا تكن مع اصدقائك قوساً ولا تنعس علي باب اعدائك واثبته علي ينبوع واحد متكياً علي يمينك وينبغي ان تعلم انه ليس زمان من الازمنة يفقد فيه زمان الربيع

Digitized by Google

وافحص عن ثلث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق واضرب الاترجة بالرمانة واقتل العقرب بالصوم وان احببت ان تكون ملكاً فكن حمار وحش وليست التسعة باكمل من واحد وبالاثني عشر اقتني اثني عشر وازرع بالاسود واحصد بالابيض ولا تسلبنّ الاكليل ولا تهتكه ولا تقفنّ راضياً بعدمك للخير وانت موجود ذلك لك في اربعة وعشرين مكاناً وان سألك سائل ان تعطيه من هذا الغذاء فميّزه وان كان مستحقاً للغذاء المري فاعطه وان احتاج الي غذاء يمينك فاصنعه لان اللون الذي يطلب ذلك من كمال الغذاء فهو للبالغين وقال يكفي من تاجج النار نورها وقال له رجل من اين لي هذا المشار اليه واحد فقال لاني اعلم ان الواحد بالاطلاق غير محتاج الي الثاني فمتي فرضته قريباً للواحد كنت كواضع ما لا يحتاج اليه البتة الي جانب ما لا بد منه البتة وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة حده وثلث مراتب من جهة هيئته وقال للقلب افتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وقال الحكمة اذا اقبلت خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات وقال لا تكرهوا اولادكم علي اثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وقال ينبغي ان يغتم بالحيوة وتفرح بالموت لانا نحيي لنموت ونموت لنحيي وقال قلوب المعترفين في المعرفة بالحقائق مذابر الملائكة وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحيوة حدان احدهما العمل والثاني الاجل فبالاول بقاؤها وبالاخر فناؤها وقال النفس الناطقة جوهر بسيط ذو سبع قوي يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فاما حركتها المفردة فاذا تحركت نحو ذاتها ونحو العقل واما حركتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس

Digitized by Google

الخمس واليونانيون بنوا ثلثة ابيات علي طوالع مقبولة احدها بيت بانطاكية علي جبلها كانوا يعظمونه ويقربون القرابين فيه وقد خرب والثاني من جملة الاهرام التي بمصر بيت كانت فيه اصنام تعبد وهي التي نهاهم سقراط عن عبادتها والثالث بيت المقدس الذي بناه داود وابنه سليمان ويقال ان سليمان هو الذي بناه والمجوس يقول ان الضحاك بناه وقد عظمهم اليونانيون تعظيم اهل الكتاب

راي افلاطن الالهي بن ارسطن بن ارسطوقليس من اثينية وهو اخر المتقدمين الاوائل الاساطين معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان اردشير بن دارا في سنة ست عشر من ملكه كان حديثًا متعلماً يتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط بالسم ومات قام مقامه وجلس علي كرسيه قد اخذ العلم من سقراط وطيماوس والغريبين غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حكي عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطاطوليس وطيماوس وثاوفرسطوس انه قال ان للعالم محدثًا مبدعاً ازليًا واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته علي نعت الاسباب الكلية كان في الاول ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل المثال عند الباري وربما يعبر عنه بالعنصر والهيولي ولعله يشير الي صور المعلومات في علمه قال فابدع العقل الاول وبتوسطه النفس الكلي قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة في المراة وبتوسطهما العنصر ويحكي عنه ان الهيولي التي هي موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر ويحكي عنه انه ادرج الزمان في المبادي وهو الدهر واثبت لكل موجود مشخص في العالم الحسي مثالاً موجوداً غير مشخص في العالم العقلي يسمي ذلك المثل الافلاطونية فالمبادي الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص

Digitized by Google

مركبات فالانسان المركب المحسوس جزوي ذلك الانسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن قال والموجودات في هذا العالم اثار الموجودات في ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر يشابهه نوعاً من المشابهة قال ولما كان العقل الانساني من ذلك العالم ادرك من المحسوس مثالاً منتزعاً من المادة معقولاً يطابق المثال الذي في عالم العقل بكليته ويطابق الموجود الذي في عالم الحس بجزويته ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقاً مقابلاً من خارج فما يكون مدركاً لشي يوافق ادراكه حقيقة المدرك قال والعالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمراة المجلوة التي تنطبع فيها صو المحسوسات فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر في ذلك العالم مراة لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور غير ان الفرق ان المنطبع في المراة الحسية صورة خيالية يري انها موجودة يتحرك بحركة الشخص وليس في الحقيقة كذلك فان المتمثل في المراة العقلية صور حقيقية روحانية هي موجودة بالفعل تحرّك الاشخاص ولا تتحرك فنسبة الاشخاص اليها نسبة الصور في المراة الي الاشخاص فلها الوجود الدائم ولها الثبات القائم وهي يتمايز في حقائقها تمايز الاشخاص في ذواتها قال وانما كانت هذه الصور موجودة كلية باقية دائمة لان كل مبدع ظهرت صورته في حدّ الابداع فقد كانت صورته في علم الاول الحق والصور عنده بلا نهاية ولولم تكن الصور معه في ازليته في علمه لم تكن لتبقي ولم تكن دائمة دوامها لكانت تدثر بدثور الهيولي ولو كانت تدثر مع دثور الهيولي لما كانت رجاء ولا خوف ولكن لما صارت الصور الحسية علي رجاء

Digitized by Google

وخوف استدل به علي بقائها وانما تبقي اذا كانت لها صور عقلية في ذلك العالم ترجوا اللحوق بها وتخاف التخلف قال واذا اتفقت العقلاء ان حساً ومحسوساً وعقلاً ومعقولاً وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهي محدودة محصورة بالزمان والمكان فيجب ان يشاهد بالعقل جميع المعقولات وهي غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فيكون مثلاً عقلية ومما يثبته افلاطن موجودات محققة بهذا التقسيم قال انا نجد النفس تدرك امور البسائط والمركبات ومن المركبات انواعها واشخاصها ومن البسائط ما هي هيولانية وهي التي تعري عن الموضوع وهي رسوم الجزويات مثل النقطة والخط والسطح والجسم التعليمي قال وهذه اشياء موجودة بذواتها وكذلك توابع الجسم مفردة مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال فانا نلحضها باذهاننا بسائط مرة ومركبة اخري ولها حقائق في ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ومن البسائط ما ليست هي هيولانية مثل الوجود والوحدة والجوهر والعقل يدرك القسمين جميعاً متطابقين عالمين متقابلين عالم العقل وفيه المثل العقلية التي تطابقها الاشخاص الحسية وعالم الحس وفيه المتمثلات الحسية التي تطابقها المثل العقلية فاعيان ذلك العالم اثار في هذا العالم واعيان هذا العالم اثار في ذلك العالم وعليه وضع الفطرة والتقدير ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة المشايين وارسطوطاليس لا يخالفونه في اثبات هذا المعني الكلي الا انهم يقولون هو معني في العقل موجود في الذهن والكلي من حيث هو كلي لا وجود له في الخارج عن الذهن اذ لا يتصور ان يكون شي واحد ينطبق علي زيد وعلي عمرو وهو في نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعني الذي اثبته في العقل يجب ان يكون له شي يطابقه في الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثل الذي في العقل وهو جوهر لا عرض

Digitized by Google

اذ تصوّر وجوده لا في موضوع وهو متقدم علي الاشخاص الجزوية تقدّم العقل علي الحس وهو تقدّم ذاتي وشرفي معًا وتلك المثل مبادي الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود ويتفرع علي ذلك ان النفوس الانسانية هي متّصلة بالابدان اتّصال تدبير وتصرف وكانت هي موجودة قبل وجود الابدان وكان لها نحو من انحاء الوجود العقلي وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض وخالفه في ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده من الحكماء وقالت ان النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رايت في كلام ارسطوطاليس كما ياتي حكايته انه ربما يميل الي مذهب افلاطن في كون النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا ان نقل المتاخرين ما قدمنا ذكره وخالفه ايضًا في حدوث العالم فان افلاطن يخيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد وما ثبت لكل واحد يجب ان يثبت للكل وقال ان صورها لا بد وان تكون حادثة لكن الكلام في هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرًا قبل وجودها فظنّ بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ الابداع علي العنصر فقد اخرجه عن الازلية بذاته بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود كسائر المبادي التي ليست زمانية ولا وجودها ولا حدوثها حدوث زماني فالبسائط حدوثها ابداعي غير زماني والمركبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زماني وقال ان العالم لا يفسد فساداً كليًا ويحكي عنه في سواله عن طيماوس ما الشي لا حدوث له وما الشي الحادث وليس بباقٍ وما الشي الموجود بالفعل وهو ابدًا بحال واحد وانما يعني بالاول وجود الباري وبالثاني وجود الكائنات الفاسدات التي لا تثبت علي حالة

Digitized by Google

واحدة وبالثالث وجود المبادي والبسائط التي لا يتغير ومن اسولته ما الشي الكائن ولا وجود له وما الشي الموجود ولا كون له يعني بالاول الحركة المكانية والزمان لانه لم يوهله لاسم الوجود ويعني بالثاني الجواهر العقلية التي هي فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذ لها السرمد والبقاء والدهر ويحكي عنه انه قال الاستقسات لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غير ذات نظم وان الباري تعالي نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاستقسات بالاجزا اللطيفة وقيل انه عني بها الهيولي الازلية العارية عن الصور حتي اتّصلت الصور والاشكال بها وترتبت وانتظمت ورايت في رموز له انه قال ان النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الي هذا العالم حتي تدرك الجزويات وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوي الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط واهبطت حتي يستوي ريشها وتطير الي عالمها باجنحة مستفادة من هذا العالم وحكي ارسطوطاليس عنه انه اثبت المبادي خمسة اجناس الجوهر والاتّفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فيعني به الوجود واما الاتّفاق فلان الاشياء متّفقة بانها من الله تعالي واما الاختلاف فلانها مختلفة في صورها واما الحركة فلان لكل شي من الاشياء فعلاً خاصاً وذلك نوع من الحركة لا حركة النقلة واذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لا محالة قال واثبت البخت ايضاً سادساً وهو نطق عقلي وناموس لطبيعة الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جداً وزعم الرواقيون انه نظام لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم ان علل الاشياء ثلثة المشتري والطبيعة والبخت وقال

Digitized by Google

افلاطن ان في العالم طبيعة عامة تجمع الكل وفي كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحدّ الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون في الاشياء اي مبدأ التغيّر وهو قوة سارية في الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب ان يكون ساكناً والا تسلسل القول فيه الي ما لا نهاية له وحكي ارسطوطاليس في مقالة الالف الكبري من كتاب ما بعد الطبيعة ان افلاطن كان يختلف في حداثته الي اقراطولس فكتب عنه ما روي عن ارقطس ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعده الي سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر في طبائع المحسوسات وغيرها فظنّ افلاطن ان نظر سقراط في غير الاشياء المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع علي اشياء دائمة كلية اعني الاجناس والانواع فعند ذلك ما سمي افلاطن الاشياء الكلية صوراً لانها واحدة وراي ان المحسوسات لا تكون الا بمشاركة الصور اذ كانت الصور رسوماً ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقاً لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فاثبتها مثلاً عامة وقال افلاطن في كتاب النواميس ان اشياء لا ينبغي للانسان ان يجهلها منها ان له صانعاً وان صانعه يعلم افعاله وذكر ان الله تعالي انما يعرف بالسلب اي لا شبيه له ولا مثال وانه ابدع العالم من لا نظام الي نظام وان كل مركب فهو للانحلال وانه لم يسبق العالم زمان ولم يُبدَع عن شيء ثم ان الاوايل اختلفوا في الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد ام الابداع نسبة الي المبدِع ونسبة الي المبدَع وكذلك في الارادة انها المراد او المريد علي حسب

Digitized by Google

اختلاف متكلمي الاسلام في الخلق والمخلوق والارادة انها خلق ام مخلوقة ام صفة في الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هي غير المراد ولا غير المريد وكذلك الفعل لانهما لا صورة لهما ذاتية وانما يقومان بغيرهما فالارادة مرة مستبطنة في المريد ومرة ظاهرة في المراد وكذلك الفعل واما افلاطن وارسطوطاليس فلا يقبلان هذا القول وقالا ان صورة الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما ابسط من صورة المراد كالقاطع للشي هو الموثر واثره في الشي والمقطوع هو الموثر فيه القابل للاثر فالاثر ليس هو الموثر ولا الموثر فيه ولا انعكس حتي يكون الموثر هو الاثر والموثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدِع فاعلة وصورة المبدَع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فللفعل صورة واثر فصورته من جهة المبدع واثره من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع في حق الباري تعالي ليست زائدة علي ذاته حتي يقال صورة ارادة وصورة تاثير مفترقان بل هما حقيقة واحدة واما برميندس الاصغر فقد اجاز قولهم في الارادة ولم يجز في الفعل وقال ان الارادة تكون بلا توسط من الباري تعالي فجايز ما وضعه الله واما الفعل فيكون بتوسط منه وليس ما هو بلا توسط كالذي يكون بتوسط بل الفعل قط لن يتحقق الا بتوسط الارادة ولا ينعكس فاما الاولون مثل ثاليس وانبدقلس قالوا الارادة من جهة المبدِع هي المبدِع ومن جهة المبدَع هي المبدَع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هي المبدع ومن جهة الاثر هي المبدع ولا يجوز ان يقال انها من جهة الصورة هي المبدَع لان صورة الارادة عند المبدع قبل ان يبدع فغير جائز ان يكون ذات صورة الشي الفاعل هي المفعول بل من جهة اثر ذات الصورة هي المفعول ومذهب افلاطن وارسطوطاليس هذا بعينه وفي الفصل انغلاق

Digitized by Google

الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا انا ربما لم نجد لهم رأيا في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية اوردناها ليلا تشذّ مذاهبهم عن القسمة ولا يخلوا الكتاب عن تلك الفوائد فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم علي وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم بل الركن في الشعر ايراد المقدمات المخيّلة فحسب ثم قد يكون الوزن والقافية معينين في التخيّل فان كانت المقدمة التي يوردها في القياس الشعري مخيلة فقط تمحض القياس شعرياً وان انضم اليها قول اقناعي تركبت المقدمة من معنيين شعري واقناعي وان كان الضميم اليه قولاً يقيناً تركبت المقدمة من شعري وبرهاني ومنهم النساك ونسكهم وعبادتهم عقلية لا شرعية ويقتصر ذلك علي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدينة الفاضلة التي هي الجنّة الانسانية وربما وجدنا لبعضهم رأياً في بعض المسائل المذكورة عن المبدع والابداع وانه عالم وان اول ما ابدعه ما ذا وان المبادي كم هي وان المعاد كيف يكون وصاحب الراي موافق للاوايل المذكورين اوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان كانت كالمكررة ونبتدي بهم ونجعل فلوطرخيس مبدأ اخر

راي فلوطرخيس قيل انه اول من شهر بالفلسفة ونسبت اليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار الي ملطية واقام بها وقد يعدّ من الاساطين قال ان الباري تعالي لم يزل بالازلية التي هي ازلية الازليات وهو مبدِع فقط وكل مبدَع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته عنده اي كانت معلومة له والصور عنده بالنهاية اي المعلومات بالنهاية قال ولولم تكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا بقاء للمبدع ولولم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولي ولو كان كذلك

Digitized by Google

لارتفع الرجاء والخوف ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ولها الرجاء والخوف كان دليلاً علي انها لا تدثر ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلاً علي ان الصور ازلية في علمه تعالي قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال اما ان يقال الباري تعالي لا يعلم شيئًا البتة وهذا من المحال الشنيع اما ان يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذي لا يليق بكمال الجلال واما ان يقال يعلم جميع الصور والمعلومات وهذا هو الراي الصحيح ثم قال ان اصل المركبات هو الماء فاذا تخلخل صافياً وجد النار واذا تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء واذا تكاثف تكاثفًا مبسوطًا بالغًا صار ارضًا وحكي فلوطرخيس ان ايرقليطس زعم ان الاشياء انما انتظمت بالبخت وجوهر البخت هو نطق عقلي ينفذ في الجوهر الكلي

راي كسنوفانس كان يقول ان المبدع الاول هواية ازلية دائمة ديمومة القدم لا تدرك بنوع صفة منطقية ولا عقلية مبدع كل صفة وكل نعت نطقي وعقلي فاذا كان هذا هكذا فقولنا ان صورنا في هذا العالم المبدعة لم تكن عنده او كانت او كيف ابدع ولم ابدع محال فان العقل مبدَع والمبدَع مسبوق بالمبدِع والمسبوق لا يدرك السابق ابدًا فلا يجوز ان يصف المسبوق السابق بل يقول ان المبدع ابدع كيف ما احبّ وكيف ما شاء فهو هو ولا شي معه وهذه الكلمة اعني هو ولاشي بسيط لا مركب معه وهو مجمع كل ما يطلبه من العلم لانك اذا قلت ولاشي معه فقد نفيت عنه ازلية الصورة والهيولي وكل مبدع من صورة وهيولي وكل مبدع من صورة فقط ومن قال ان الصور ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع الصور

Digitized by Google

بل كل صورة انما ظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع ما يكون من القول وكان هرمس وعاذيمون يقول ليست اوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بحالٍ بل مثل بدعة الاشياء مثل الذي يفرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة الي الفعل حتي يوجد فيكمل فيحسّه ويدركه وليس شي معقول البتة والعالم دائم لا يزول ولا يفني فان المبدع لا يجوز ان يفعل فعلاً يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال

راي زينون الاكبر كان يقول ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناهٍ والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم تتجدد في كل حين ودهر فما كان منها مشاكلاً لنا ادركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه التجدد فقال ان الموجودات باقية داثرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة الاولي عند تجدد الاخري وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولي وقال ايضاً ان الشمش والقمر والكواكب يستمدّ القوة من جوهر السماء فاذا تغيّرت السماء تغيّرت النجوم ايضاً ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها في علم الباري تعالي والعلم يقتضي بقاؤها دائمًا وكذلك الحكمة تقتضي ذلك لان بقاؤها علي هذه الحال افضل والباري تعالي قادر علي ان يفني العوالم يوماً ما ان اراد وهذا الراي قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون دون الالهيين وحكي فلوطرخيس ان زينون كان يزعم ان الاصول هو الله تعالي والعنصر فقط فالله تعالي هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل حكمه قال اكثروا من الاخوان فان بقاء النفوس ببقاء الإخوان كما ان شفاء الابدان بالادوية وقيل راي

Digitized by Google

زينون فتي علي شاطي البحر محزونًا يتلهف علي الدنيا قال له يا فتي ما يلهفك علي الدنيا لو كنت في غاية الغني وانت راكب في لجّة البحر قد انكسرت السفينة واشرفت علي الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما في يدك قال نعم قال لو كنت ملكًا علي الدنيا واحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغني وانت الملك الان فتسلي الفتي وقال لتلميذه كن بما ياتي من الخير مسروراً وبما يجتنب من الشر محبوراً وقيل له اي الملوك افضل ملك اليونانيين ام ملك الفرس قال من ملك شهوته وغضبه وسئل بعد ان هرم ما حالك قال هو ذا اموت قليلاً قليلاً علي مهل وقيل له اذا متّ من يدفنك قال من يوذيه نتن جيفتي وسئل ما الذي يهرم قال الغضب والحسد وابلغ منها الغم وقال الفلك تحت تدبيري ونعي اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك عليّ انما ولدت ولداً يموت وما ولدت ولداً لا يموت وقال لا تخف موت البدن ولكن يجب عليك ان تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس والنفس الناطقة عندك لا تموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الي حد البهيمية وان كان جوهرها لا يبطل فقد ماتت من العيش العقلي وقال اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه حقه وقال محبّة المال وتد الشرّ لان سائر الافات يتعلق بها ومحبّة الشرف وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها وقال احسن مجاورة النعم فتنعم ولا تسي بها فتسي بك وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها جرحته واذا ادركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لا يقتني الا قوت يومه ان الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغني منه وسئل

Digitized by Google

باي شي تخالف الناس في هذا الزمان البهائم قال بالشرارة قال وما راينا العقل قط الا خادماً للجهل وفي رواية السجزي الا خادماً للجَدّ والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية علي العقل استخدمه الجهل واذا كان ما قسم للانسان من الخير والشرّ فوق تدبيره العقلي كان الجدّ مستخدماً للعقل ويعظم جدّ الانسان بالعقل وليس يعظم العقل بالجدّ ولهذا خيف علي صاحب الجدّ ما لم يخف علي صاحب العقل والجد اصمّ اخرس لا يفقه ولا ينقه وانما هو ريح تهبّ وبرق يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ اولي فانه عمم الحكم فقال ما راينا العقل قط وقد يعرض العقل ان يري ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر وقال زينون في الجرادة خلقة سبعة جبابرة راسها راس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر اسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية

راي ذيمقراطيس وشيعته فانه كان يقول في المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهي الاستقصات اوائل الموجودات كلها ومنها ابدعت الاشياء البسيطة كلها دفعة واحدة واما المركّبة فانها كانت دائمة داثرة الا ان ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم ان العالم بجملته باقٍ غير داثر لانه ذكر ان هذا العالم متّصل بذلك العالم الاعلي كما ان عناصر هذه الاشياء متّصلة بلطيف ارواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر في الظاهر فان صفوها من الروح البسيط الذي فيها فاذا كان كذلك فليس يدثر الا من جهة الحواس فاما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متّصل بالعوالم البسيطة وانما شنع عليه الحكماء من جهة قوله ان اول مبدع هو

Digitized by Google

العناصر وبعدها ابدعت البسائط الروحانية فهو يرتقي من الاسفل الي الاعلي ومن الاكدر الي الاصفي ومن شيعته قلموخوس الا انه خالفه في المبدع الاول وقال بقول سائر الحكماء غير انه قال ان المبدع الاول هو مبدع الصور فقط دون الهيولي فانها لم تزل مع المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولي لو كانت ازلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيّرت من حال الي حال ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلي لا يتغيّر وهذا الراي مما كان يعزي الي افلاطون الالهي والراي في نفسه مزيّف والعزوة اليه غير صحيحة ومما نقل من ذيمقراطيس وزينون الاكبر وفيثاغورس انهم كانوا يقولون ان الباري تعالي متحرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الي المذهبين وبيّنّا ان المراد باضافة الحركة والسكون اليه تعالي ونزيده شرحًا من احتجاج كل فريق علي صاحبه قال اصحاب السكون ان الحركة ابدًا لا تكون الا ضدّ السكون والحركة لا تكون الا بنوع زمان اما ماضٍ واما مستقبل والحركة لا تكون الا مكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية يكون الحركة المستقيمة والمنعرجة والمكانية تكون مع الزمان فلو كان الباري تعالي متحركًا لكان داخلًا في الدهر والزمان قال اصحاب الحركة ان حركته اعلي من جميع ما ذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان وابداعه ذلك هو الذي يعني بالحركة والله اعلم

راي فلاسفة اقاذاميا فانهم كانوا يقولون ان كل مركّب ينحلّ ولا يجوز ان يكون مركبًا من جوهرين متّفقين في جميع الجهات والا فليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلا محالة اذا انحلّ المركّب دخل كل جوهر فاتّصل بالاصل الذي منه كان فما كان منها بسيطًا روحانيًا لحق بعالمه الروحاني البسيط والعالم الروحاني باقٍ غير دائر وما كان منها جاسيًا غليظًا لحق بعالمه ايضًا وكل جاسي

Digitized by Google

اذا انحل فانما يرجع حتي يصل الي الطف من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شي اتحد باللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الي الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الاول هو اول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر اخر متوسط فلا محالة ان ذلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقي خالداً دهر الدهور وهذا الفصل قد نقل وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ وهولاء يسمون مشّائين اقاذاميا واما المشاؤون المطلق هم اهل لوقيين وكان افلاطون يلقّن الحكمة ماشياً تعظيماً لها وتابعه علي ذلك ارسطوطاليس فيسمي هو واصحابه المشائين واصحاب الرواق هم اهل الظلال وكان لافلاطون تعليمان احدهما تعليم كليس وهو الروحاني الذي لا يدرك بالبصر ولكن بالفكرة اللطيفة وتعليم كايس وهو الهيولانيات

راي هرقل الحكيم وانه كان يقول ان اول الاوائل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لانها ابدعت من ذلك النور الاول الحق وهو الله حقاً وهو اسم الله باليونانية انما يدل علي انه مبدع الكل وهذا الاسم عندهم شريف جداً وكان يقول ان بدو الخلق واول شي ابدع والذي هو اول لهذه العوالم هو المحبّة والمنازعة ووافق في هذا الراي انبذقلس حيث قال الاول الذي ابدع هو المحبّة والغلبة وقال هرقل السماء متحركة من ذاتها والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة فاجتمعت فصار البحر والذي حجرت الشمس ونفذت فيه حتي لم تذر فيه شياً من الرطوبة صار منه الحصي والحجارة والجبل وما لم ينفذ فيه الشمس اكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهوالتراب وكان يقول ان السماء في النشاة الاخري تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلاً حتي تحيط بالارض

Digitized by Google

وتلتهب فيصير متّصلاً بعضها ببعض حتي تكون كالدائرة حول الارض وانما هبط منها ما كان من اجزائها نارًا محضةً ويصعد ما كان نورًا محضاً فتبقي النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي احاط به النار الي الابد في عقاب السرمد وتصعد النفوس الشريفة الخالصة الطيبة الي العالم الذي يمحض نورًا وبهاء وحسنًا في ثواب السرمد وهناك الصور الحسان لذّات البصر والالحان الشجية لذّات السمع ولانها ابدعت بلا توسط مادة وتركب استقصات فهي جواهر شريفة روحانية نورانية وقال ان الباري يمسح تلك الانفس في كل دهر مسحة فيتجلي لها حتي تنظر الي نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينيذ يستلذّ عشقها وشوقها ومجدها فلا يزال ذلك دائمًا ابد الابد

راي ابيقورس خالف الاوائل في الاوائل قال المبادي اثنان الخلاء والصور واما الخلاء فمكان فارغ واما الصور فهي فوق المكان والخلاء ومنها ابدعت الموجودات وكل ما كوّن منها فانه ينحلّ اليها فمنها المبدأ واليها المعاد وربما يقول الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافاة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل مهمل في هذا العالم والحالات التي ترد علي الانفس في هذا العالم كلها من تلقايها علي قدر حركاتها وافاعيلها فان فعلت خيراً وحسنًا فيردّ عليها سرور وفرح وان فعلت شراً وقبيحاً فيردّ عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخري وكذي حزنها مع الانفس الاخري بقدر ما يظهر لها من افاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية علي هذا الراي

حكم سولون الشاعر وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط واجمعوا علي تقديمه والقول بفضائله قال سولون لتلميذه تزوّد من

Digitized by Google

الخير وانت مقبل خير لك من ان تتزوّد وانت مدبر وقال من فعل خيراً فليجتنب ما خالفه والا دعي شريرًا وقال ان امور الدنيا حق وقضاء فمن اسلف فليقض ومن قضي فقد وفي وقال اذا عرضت لك فكرة سواء فادفعها عن نفسك ولا ترجع باللائمة علي غيرك لكريم رايك بما احدث عليك وقال ان فعل الجاهل في خطاياه ان يذمّ غيره وفعل طالب الادب ان يذمّ نفسه وفعل الاديب ان لا يذمّ نفسه ولا غيره وقال اذا انصبّ الدهن واريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الارباح لا يكون الا فيما يباع ويشتري كذلك الخسران لا يكون الا في الموجودات فانف الغم والخسارة عنك فان لكل ثمناً وليس يجبي بالمجان وسئل ايما احمد في الصباء الحياء ام الخوف قال الحياء لان الحياء يدل علي العقل والخوف يدل علي المقة والشهوة وقال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن وساله رجل قال هل تري ان اتزوج او ادع قال اي الامرين فعلت ندمت عليه وسئل اي شي اصعب علي الانسان قال ان لا يعرف عيب نفسه وان يمسّك عما لا ينبغي ان يتكلم به وراي رجلًا عثر فقال له تعثر برجلك خير من تعثر بلسانك وسئل ما الكرم فقال النزاهة عن المساوي وقيل ما الحيوة قال التمسك بامر الله تعالي وسئل ما النوم فقال النوم موتة خفيفة والموت نومة طويلة وقال ليكن اختيارك من الاشياء جديدها ومن الاخوان اقدمهم وقال انفع العلم ما اصابته الفكرة واقلّه نفعاً ما قلته بلسانك وقال ينبغي ان يكون المرء حسن الشكل في صغره وعفيفًا عند ادراكه وعدلًا في شبابه وذا راي في كهولته وحافظًا للسنن عند الفناء حتي لا يلحقه الندامة وقال ينبغي للشابّ ان يستعدّ لشيخوخته مثل ما يستعدّ الانسان للشتاء من البرد الذي

Digitized by Google

يحجم عليه وقال يا بني احفظ الامانة تحفظك وصنها حتي تصان وقال جوعوا الي الحكمة واعطشوا الي عبادة الله قبل ان ياتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ولا تتّصلوا بالاشراف فتعدّوا فيهم ولا تعتمدوا الغني ان كنتم تلامذة الصدق ولا تهملوا من انفسكم في ايامكم ولياليكم ولا تستخفوا بالمساكين في جميع اوقاتكم وكتب اليه بعض الحكماء يستوصفه امر عالمي العقل والحسّ فقال اما عالم العقل فدار ثبات وثواب واما عالم الحس فدار بوار وغرور وسئيل ما فضل علمك علي علم غيرك قال معرفتي بان علمي قليل وقال اخلاق محمودة وجدتها في الناس الا انها انما توجد في قليل صديق يحبّ صديقه غائباً كمحبته حاضراً وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقرّ بعيوبه اذا ذكر وذاكر يوم نعيمه في يوم بؤسه ويوم بؤسه في يوم نعيمه وحافظاً لسانه عند غضبه

حكم اوميرس الشاعر وهو من القدماء الكبار الذي يجريه افلاطون وارسطوطاليس في اعلي المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الراي وجزالة اللفظ فمن ذلك قوله لا خير في كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة تحتها معانٍ شريفة لما في كثرة الرؤساء من الاختلاف الذي ياتي علي حكمة الرياسة بالابطال ويستدل بها في التوحيد ايضاً لما في كثرة الالهة من المخالفات التي تعكر علي حقيقة الالهية بالافساد وفي الجملة لو كان اهل بلد كلهم رؤساء ما كان رئيس البتة ولو كان اهل بلد كلهم رعية لما كان رعية البتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذ كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الي الاقتداء بالبهائم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون لانهم قد

Digitized by Google

روا انهم يموتون كما يموت البهائم فقال بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون بانهم لابسون بدنًا ميتًا ولا يحسّون ان في ذلك البدن نفسًا غير ميتة وقال من يعلم ان الحيوة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت علي الحيوة وقال العقل نحوان طبيعي وتجرّبي وهما مثل الماء والارض وكما ان النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخلصها ويفصلها ويعدّها للعمل ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فان خير امورة له قصر العمر وقال ان الانسان الخير افضل من جميع ما علي الارض والانسان الشرير اخسّ واوضع من جميع ما علي الارض وقال لن تنبل واحلم تعزّ ولا تكن معجبًا فتمقتهن واقهر شهوتك فان الفقير من انحطّ الي شهواته وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزوّد عنها الخسارة وقال الامراض ثلثة اشياء الزيادة والنقصان في الطبائع الاربع وما يهيّجه الاخران فشفاء الزائد والناقص في الطبائع الادوية وشفاء ما يهيّجه الاخران كلام الحكماء والاخوان وقال العمي خير من الجهل لان اصعب ما يخاف من العمي التهوّر في بئر ينهدّ منه الجسد والجهل يتوقع منه هلاك الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة وقال يرقليطس ان اوميرس الشاعر لما راي تضادّ الموجودات دون فلك القمر قال بالتيه هلك التضادّ من هذا العالم ومن الناس والسادة يعني النجوم واختلاف طبائعها واراد بذلك ان يبطل التضادّ والاختلاف حتي يكون هذا العالم المتحرك المنتقل داخلًا في العالم الساكن القائم الدائم ومن مذهبه ان بهرام واقع الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هي علة التوحّد والاجتماع وبهرام علة التفرّق والاختلاف والتوحّد ضدّ التفرق

Digitized by Google

فلذلك صارت الطبيعة ضداً تركّب وتنقّص وتوحّد وتفرّق وقال النحط شي اظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر هذه حكمه واما مقطعات اشعاره قال ينبغي للانسان ان يفهم الامور الانسانية ان الادب للانسان ذخر لا يسلب ارفع من عمرك ما يجريك ان امور العالم تعلمك العلم ان كنت ميتاً فلا تحقر عداوة من لا يموت كل ما يختار في وقته يفرح به ان الزمان يبيّن الحق وينيّره اذكر نفسك ابداً انك انسان ان كنت انساناً فافهم كيف تضبط غضبك اذا نالتك مضرّة فاعلم انك كنت اهلها اطلب رضا كل احد لا رضا نفسك فقط ان الضحك في غير وقته هو ابن عم البكاء ان الارض تلد كل شي ثم تستردّه ان الراي من الجبان جبان انتقم من الاعداء نقمة لا تضرّك كن مع حسن الجراة ولا تكن متهوّراً ان كنت ميتًا فلا تذهب مذهب من لا يموت ان اردت ان تحي فلا تعمل عملاً يوجب الموت ان الطبيعة كوّنت الاشياء بارادة الرب تعالي من لا يفعل شيئًا من الشرّ فهو الاهي امن بالله فانك توفق في امورك ان مساعدة الاشرار علي افعالهم كفر بالله ان المغلوب من قاتل الله والبخت اعرف الله واعقل الامور الانسانية اذا اراد الله خلاصك عبرت البحر علي البادية ان العقل الذي يناطق الله لشريف ان قوام السنة بالرئيس ان لفيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل ان السنة توجب كرامة الوالدين مثل كرامة الاله راي ان والديك الهة لك ان الاب من هو ربي لا من ولد ان الكلام في غير وقته يفسد العمر كله اذا حضر البخت تمت الامور ان سنن الطبيعة لا يتعلم ان اليد تغسل اليد والاصبع الاصبع وليكن فرحك بما تذخره لنفسك دون ما تذخره لغيرك يعني بالمذخر لنفسه

Digitized by Google

العلم والحكمة والمذخر لغيره المال والكرم يحمل ثلثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم خير امور العالم الحسي اوساطها وخير امور العالم العقلي افضلها وقيل ان وجود الشعر في امة يونان كان قبل الفلسفة وانما ابدعه اوميرس وثاليس كان بعده ثلثماية واثين وثمانين سنة واول فيلسوف كان منهم في سنة تسع ماية واحدي وخمسين من وفاة موسي عليه السلم وهذا ما خبر به كورفس في كتابه وذكر فرفوريوس ان ثاليس ظهر في سنة ثلث وعشرين وماية من ملك بختنصر

حكم بقراط واضع الطب الذي قال بفضله الاوائل والاواخر كان اكثر حكمته في الطب وشهرته به فبلغ خبره بهمن بن اسفنديار بن كشتاسف وكتب الي فيلاطس ملك قوة وهو بلد من بلاد اليونانيين يامر بتوجيه بقراط اليه ولمر له بقناطير من الذهب فابي ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ضناً بوطنه وقومه وكان لا ياخذ علي المعالجة اجرة من الفقراء واوساط الناس وقد شرط ان ياخذ من الاغنياء احد ثلثة اشياء طوقًا او اكليلاً او سواراً من ذهب فمن حكمه ان قال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه وقيل له اي العيش خير قال الامن مع الفقر خير من الغني مع الخوف وقال الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها اراء الرجال وتدبير الحكماء وقال يداوي كل عليل بعقاقير ارضه فان الطبيعة متطلعة الي هوايها ونازعة الي غذائيها ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم مني من كثر نومه ولانت طبيعته وندیت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال لو خُلِق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شي يضادها فيمرض ودخل علي عليل فقال له

Digitized by Google

انا وانت والعلة ثـلـثـة فان اعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا علي واحد غلبا وسيُل ما بال الانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدوا قال مثل ذلك مثل البيت اكثر ما يكون غباراً اذا كنس وحديث ابن الملك اذ عشق جارية من حظايا ابيه فنهك بدنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجسّ نبضه ونظر الي تفسرته فلم ير اثر علة فذاكره حديث العشق فراه يهشّ لذلك ويطرب فاستخبر الحال عن خاصّته فلم يكن عندها خبر وقالت ما خرج قط من الدار فقال بقراط للملك مُرْ رئيس الخصيان بطاعتي فامره بذلك فـقـال اخرج علي النساء فخرجن وبقراط واضع اصبعه علي نبض الفتي فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فصار الي الملك فـقـال ابن الملك قد عشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك ومن ذاك قال هو يحب حليلتي قال انزل عـنـها ولك عنها بدل فتحازن بقراط ووجم وقال هل رايت احداً كلف احداً طلاق امراته لا سيما الملك في عدله ونصفته يامرني بمفارقة حليلتي ومفارقتها مفارقة روحي قال الملك اني اوثر ولدي عليك واعوضك من هو احسن منها فامتنع حتي بلغ الامر الي التهديد بالسيف قال بقراط ان الملك لا يسمي عدلاً حتي ينصف من نـفسه ما ينتصف من غيره ارايت لو كانت العشيقة حظية الملك قال يا بقراط عقلك اتمّ من معرفـتك فـنـزل عنها لابنه وبري الفتي وقال بقراط ان تاكل ما تستمريُ وما لا تستمريُ فانه ياكلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والاخر ثقيل واضع فلما انصرف احدهما وهو الخـفـيـف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد

Digitized by Google

يعالج جملة علي خمسة اضرب ما في الراس بالغرغرة وما في المعدة بالقي وما في البدن باسهال البطن وما بين الجلدين بالعَرَق وما في العمق وداخل العِرق بارسال الدم وقال الصفرا بيتها المرارة وسلطانها في الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسودا بيتها الطحال وسلطانها في القلب والدم بيته القلب وسلطانه في الراس وقال لتلميذ له ليكن افضل وسيلتك الي الناس محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكي عن بقراط قوله المعروف العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضاء عسر وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلثة اقسام فاطلبوا في القسم الاول العقل الفاضل واعملوا في القسم الثاني بما احرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا في القسم الثالث من لا عقل له وانهزموا من الشرّ ما استطعتم وكان له ابن لا يقبل الادب فقالت امراته ان ابنك هو منك فادبه فقال لها هو مني طبعاً ومن غيري نفساً فما اصنع به وقال ما كان كثيراً فهو مضاداً للطبيعة فليكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماع والتعب قصداً وقال ان صحّة البدن اذا كان في الغاية كان اشدّ خطراً وقال ان الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الاصحاء ودفع المرض بما يضادّه وقال من سقي السمّ من الاطباء والقي الجنين ومنع الحبل واجترأ علي المريض فليس من شيعتي وله ايمان معروفة علي هذه الشرائط وكتبه كثيرة في الطب وقال في الطبيعة انها القوة التي تدبر جسم الانسان فتصوّره من النطفة الي تمام الخلقة خدمة للنفس في اتمام هيكلها ولا يزال هو المدبر له غذاء من الثدي وبعده مما به قوامه من الاغذية ولها ثلث قوي المولدة والمربية والحافظة ويخدم الثلث

Digitized by Google

اربع قوي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة

حكم ديمقراطيس وكان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل افلاطون وله اراء في الفلسفة وخصوصاً في مبادي الكون والفساد وكان ارسطوطاليس يوثر قوله علي قول استاذه افلاطون الالهي وما انصف قال ديمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبّه به المصوّرون بالاصباغ ولكن الجمال الباطن لا يشبّه به الا من هو له بالحقيقة وهو مخترعه ومنشأه وقال ليس ينبغي ان تعدّ نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد رايك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي ان يمتحن الناس في وقت ذلتهم بل في وقت عزّتهم وتملكهم وكما ان الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغي ان تاخذ في العلوم بعد ان تنقي نفسك عن العيوب وتعوّدها الفضائل فانك ان لم تفعل هذا لم تنتفع بشي من العلوم وقال من اعطي اخاه المال فقد اعطاه خزائنه ومن اعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لا ينبغي ان تعدّ النفع الذي فيه الضرر العظيم نفعاً ولا الضرر الذي فيه النفع العظيم ضرراً ولا الحيوة التي لا تحمد ان تعدّ حيوة وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرايحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف وقال ثمرة العزّة التواني وثمرة التواني الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال يجب علي الانسان ان يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من انواع الخبث وقال لا تطمع احداً ان يطأ عقبك اليوم فيطاوك غداً وقال لا تكن حلواً جداً لئلا تبلع ولا مرّاً جداً لئلا تلفظ وقال ذنب الكلب

Digitized by Google

يكسب له الطعام وفمه يكسب الضرب وكان باثينية نقاش غير حاذق فاتي ديمقراطيس وقال جصص بيتك فاصوّره قال صوّره اولاً حتي اجصصه وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لا يعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوي به وقيل له لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسدّ اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده علي شفتيه قيل له لا تعلم قال لا اقدر انما اراد به ان البواطن لا تندرج تحت الاختيار فاشار الي ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطرّ الحدوث كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه اكثر منه بسائر جوارحه فلهذا ما لم يستطع ان يتصرف في اصله لاستحالة ان يكون فاعل اصله ولهذا الكلام شرح اخر وهو انه اراد التمييز بين العقل والحس فان الادراك العقلي لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسي وهذا يدل علي ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيّز البدن وقد قيل ان الاختيار في الانسان مركب من انفعالين احدهما انفعال نقيصة والثاني انفعال تكامل وهو الي الانفعال الاول اميل بحكم الطبيعة والمزاج والاخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق فينشي الراي الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحبّ الحق ويكره الباطل فمتي وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الاخر ولولا يركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الي هذين الوجهين لتأتّي للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجح ولا هنية ولا تربص ولا استشارة ولا استخارة وهذا الراي الذي راه هذا الحكيم لم اجد احداً ابه له ولا عثر عليه او حكم به واومي اليه

Digitized by Google

حكم اوقليدس وهو اول من تكلم في الرياضيات وافرده علماً نافعاً في العلوم منقحاً للخاطر ملقحاً للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدنا له حكماً متفرقة فاوردناها علي سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك قوله الخط هندسة روحانية ظهرت بالة جسمانية وقال له رجل يتهدده اني لا آلوا جهداً في ان افقدك حياتك قال اوقليدس وانا لا آلوا جهداً في ان افقدك غضبك وقال كل امر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هي المقدّرة له فهو داخل في الافعال الانسانية وما لم تقدّره النفس الناطقة فهو داخل في الافعال البهيمية قال ومن اراد ان يكون محبوبه محبوبك وافقك علي ما يحب فاذا اتّفقتما علي محبوب واحد صرتما الي الاتفاق وقال افزع الي ما يشبه الراي العامّ التدبيري العقلي وانهم ما سواه وقال كل ما استطيع علي خلعه ولم يضطرّ الي لزومه المرء فلم الاقامة علي مكروهه وقال الامور جنسان احدهما يستطاع خلعه والمصير الي غيره والاخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف علي كل واحد منهما غير سائغ في الراي وقال ان كانت الكائنات من المضطرّة فما الاهتمام بالمضطرّ اذ لا بد منه وان كانت غير مضطرة فلم الهمّ فيما يجوز الانتقال عنه وقال الصواب اذا كان عامياً كان افضل لان الخاص يقع بالتحري وتلقا امر ما وقال العمل علي الانصاف ترك الاقامة علي المكروه وقال اذا لم يضطرك الي الاقامة عليه شي فان اقمت رجعت باللائمة عليك وقال الحزم هو العمل علي ان لا تثق بالامور التي في الامكان عسيرها ويسيرها وقال كل فائت وجدت في الامور منه عوضاً وامكنك اكتساب مثله فما الاسف علي فوته وان لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الاسف علي ما لا سبيل الي مثله ولا امكان

Digitized by Google

في دفعه وقال لما علم العاقل انه لا ثقة بشي من امر الدنيا القي منها ما منه بدّ واقتصر علي ما لا بدّ منه وعمل بما يوثق به بابلغ ما قدر عليه وقال اذا كان الامر ممكنًا فيه التصرف فوقع بحال ما تحب فاعتدّه ربحًا وان وقع بحال ما تكره فلا تحزن فانك قد عملت فيه علي غير ثقة بوقوعه علي ما تحب وقال لم ار احداً الا ذامًّا للدنيا وامورها اذ هي علي ما هي من التغيّر والتنقل فالمستكثر منها يلحقه ان يكون اشدّ اتّصالاً بما يذمّ وانما يذمّ الانسان ما يكره والمستقلّ منها مستقلّ مما يكره واذا استقلّ مما يكره كان ذلك اقرب الي ما يحب وقال اسوا الناس حالاً من لا يثق باحد لسوء ظنّه ولا يثق به احد لسوء فعله وقال الجشع بين شرّين والاعدام يخرجه الي التسفّه والجدّة تخرجه الي الاشر وقال لا تعن اخاك علي اخيك في خصومة فانهما يصطلحان علي قليل وتكتسب المذمّة

حكم بطلميوس وهو صاحب المجسطي الذي تكلم في هيئة الفلك واخرج علم الهندسة من القوة الي الفعل فمن حكمه ان قال ما احسن بالانسان ان يصبر عما يشتهي واحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي وقال الحكيم الذي اذا صدق صبر لا الذي اذا قذف كظم وقال لمن يغني الناس ويسأل اشبه بالملوك ممن يستغني بغيره ويسال وقال لان يستغني الانسان عن الملك اكرم له من ان يستغني به وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار وسمع جماعة من اصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه فهزّ رمحًا كان بين يديه ليعلموا انه بمسمع منهم وان يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ما احبّوا قال العلم في موطنه كالذهب في

Digitized by Google

معدنه لا يستنبط الا بالدؤوب والتعب والكدّ والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطلميوس دلالة القمر في الايام اقوي ودلالة الشمس والزهرة في الشهور اقوي ودلالة المشتري وزحل في السنين اقوي ومما ينقل عنه انه قال نحن كائنون في الزمن الذي ياتي بعد هذا رمز الي المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك الكون والوجود في ذلك العالم

حكماء اهل المظلّ وهم خروسبس وزينون قولهما الخالص ان الباري الاول واحد محض هو هو ان فقط ابدع العقل والنفس دفعة واحدة ثم ابدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدو ما ابدعهما ابدعهما جوهرين لا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكروا ان للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس متّحدة بالجرم الذي من النار والهواء والجرم الذي من النار والهواء متّحد بالجرم الذي من الماء والارض فالنفس تظهر افاعيلها في ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكاني وباصطلاحنا سمّيناه جسماً وافاعيل النفس فيها نيرة بهية ومن الجسم الي الجرم يتحدر النور والحسن والبهاء ولما ظهرت افاعيل النفس عندنا بمتوسطين كانت اظلم ولم يكن لها نور شديد وذكروا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية استصحبت الاجزاء النارية والهوائية وهي جسمها في ذلك العالم جسماً روحانياً نورانياً علوياً طاهراً مهذّباً من كل ثقل وكدر واما الجرم الذي من الماء والارض فيدثر ويفني لانه غير مشاكل للجسم السماوي لان ذلك الجسم خفيف لطيف لا وزن له ولا تلمس وانما يدرك من البصر فقط كما يدرك الاشياء الروحانية من العقل فالطف ما يدرك الحسّ البصري من الجواهر النفسانية والطف ما يدرك

Digitized by Google

من ابداع الباري تعالي الاثار التي عند العقل وذكروا ان النفس انما هي مستطيعة ما خلاها الباري تعالي ان تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة كالحيوان الذي اذا خلاه مدبّره اعني الانسان كان مستطيعاً في كل ما دعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم يقدر حينيئذ ان يكون مستطيعاً وذكروا ان دنس النفس واوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان من جهة الاجزاء واما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزوية والعقل الجزوي من العقل الكلي غلظت وصارت من حيّز الجرم لانها كلما سفلت اتّحدت بالجرم من حيز الماء والارض وهما ثقيلان يذهبان سفلاً وكلما اتصلت النفس الجزوية بالنفس الكلية والعقل الجزوي بالعقل الكلي ذهبت علواً لانها تتّحد بالجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيفان يذهبان علواً وهذان الجرمان مركّبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتّحاد شيئاً واحداً عند الحس البصري فاما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئًا واحداً فالجسم في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه اشدّ روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلاً ولا مجانساً والجرم مشاكل ومجانس لهذا العالم فصار الجرم اظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيبه وصار الجسم مستبطناً في الجرم لان هذا العالم غير مشاكل له وغير مجانس فاما في ذلك العالم فالجسم ظاهر علي الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذي من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء مستبطناً في الجسم كما كان الجسم مستبطناً في هذا العالم في الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقياً دائماً لا يجوز عليه الدثور والفناء ونذّته دائمة

Digitized by Google

لا تملّها النفوس ولا العقول ولا ينفد ذلك السرور والحبور ونقلوا عن افلاطون استاذهم لما كان الواحد لا بدء له صار نهاية كل متناهٍ وانما صار الواحد لا نهاية له لانه لا بدء له لا لانه لا نهاية له وقال ينبغي للمرء ان ينظر كل يوم الي وجهه في المرآة فان كان قبيحًا لم يفعل قبيحًا فيجمع بين قبيحين وان كان حسنًا لم يشنه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما موخرًا في نفسه قدّمه حظه او مقدماً في نفسه اخّره دهره فارض بما انت فيه اختياراً والا رضيت اضطرارًا

الحكماء الذين تلوهم في الزمان وخالفوهم في الراي مثل ارسطوطاليس ومن تابعه علي رايه مثل الاسكندر الرومي والشيخ اليوناني وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم علي راي ارسطوطاليس في المسائل التي تفرّدها عن القدماء ونحن نذكر من ارايه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التي شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتاخرون ونحصرها في ستة عشر مسئلة

راي ارسطوطاليس بن نيقوماخوس من اهل اسطاخرا وهو المقدّم المشهور والمعلّم الاول والحكيم المطلق عندهم وانما ولد في اول سنة من ملك اردشير بن دارا فلما اتت عليه سبعة عشر سنة اسلمه ابوه الي افلاطون فمكث عنده نيفاً وعشرين سنة وانما سمّوه المعلّم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الي الفعل وحكمها حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الي المعاني التي في الذهن نسبة النحو الي الكلام والعروض الي الشعر وهو واضع لا بمعني انه لم يكن المعاني مقوّمة بالمنطق قبله فقوّمها بل بمعني انه جرّد آلة عن المادة فقوّمها تقريبًا الي اذهان المتعلمين حتي يكون كالميزان عندهم

Digitized by Google

يرجعون اليه عند اشتباه الصوب بالخطاء والحق بالباطل الا انه اجمل القول اجمال المهّدين وفضّله المتاخرون تفضيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكتبه في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن اخترنا في نقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذي اعتمده مقدم المتاخرين ورئيسهم ابو علي بن سينا واوردنا نكتًا من كلامه في الالهيات واحلنا باقي مقالاته في المسائل علي نقل المتاخرين اذ لم يخالفوه في راي ولا نازعوه في حكم كالمقلّدين له المتهالكين عليه وليس الامر علي ما مالت اليه ظنونهم المسئلة الاولي في اثبات واجب الوجود الذي هو المحرّك الاول وقال في كتاب اثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال علي ثلثة اضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك قال انا وجدنا المتحركات علي اختلاف جهاتها واوضاعها ولا بد لكل متحرك من محرّك فاما ان المحرّك يكون متحركاً فيتسلسل القول فيه ولا ينحصل والا فيستند الي محرّك غير متحرك ولا يجوز ان يكون فيه شي ما بالقوة فانه يحتاج الي شي اخر يخرجه من القوة الي الفعل فالفعل اذا اقدم علي ما بالقوة وكل جائز وجوده ففي طبيعته معني ما بالقوة وهو الامكان والجواز فيحتاج الي واجب به يجب وكذلك كل متحرك فيحتاج الي محرّك فواجب الوجود بذاته ذات وجودها غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له في نفسه وذاته الامكان وذلك اذا اخذته بلا شرط واذا اخذته بشرط علّته فله الوجوب واذا اخذته بشرط لا علّته الامتناع المسئلة الثانية في ان واجب الوجود واحداً اخذ ارسطوطاليس يوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث ان العالم واحد ويقول ان الكثرة بعد

Digitized by Google

الاتفاق في الحد ليست هي كثرة العنصر واما ما هو بالانية الاولي فليس له عنصر لانه تمام قائم بالفعل لا يخالط القوة فاذاً المحرّك الاول واحد بالكلمة والعدد اي الاسم والذات قال فمحرك العالم واحد لان العالم واحد هذا نقل ثامسطيوس واخذ من نصر مذهبه يوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث انه واجب الوجود لذاته قال ولو كان كثيراً لحمل واجب الوجود عليه وعلي غيره بالتواطؤ فيشملهما جنساً وينفصل احدهما عن الاخر نوعاً فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق اجزاء المركب علي المركب سبقاً بالذات فلا يكون واجباً بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه واجب الوجود لذاته لا لشي عينه بل امر خارج عينه فكان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجباً بذاته هذا خلف المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته عقل من غيره او نم يعقل اما انه عقل فلانه مجرّد عن المادة منزّه عن اللوازم المادية فلا يحتجب ذاته عن ذاته واما انه عقل لذاته فلانه مجرّد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته بذاته او بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شي فهو يعقل العالم العقلي دفعة واحدة من غير احتياج الي انتقال وتردد من معقول الي معقول وانه ليس يعقل الاشياء علي انها امور خارجة عنه فيعقلها منه كحالنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته وليس كونه عاقلاً وعقلاً بسبب وجود الاشياء المعقولة حتي يكون وجودها قد جعله عقلاً بل الامر بالعكس اي عقله للاشياء جعلها موجودة وليس للاول شي يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود كمالاً وايضاً فانه لو كان يعقل الاشياء من

Digitized by Google

الاشياء لكان وجودها متقدماً علي وجوده ويكون جوهره في نفسه في قوامه وطباعه ان يقبل معقولات الاشياء فيكون في طباعه بالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه حتي يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعني وكان فيه عدمها فيكون الذي له في طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير اضافة الي غيره ان يكون عادماً للمعقولات ومن شانه ان يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطاً للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم يزل ولا يزال موجوداً بالفعل فيجب ان يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل لا من غيره قال واذا عقل ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأ وعقل كل ما يصدر عنه علي ترتيب الصدور عنه والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان ليس يعقل بالفعل فما الشي الكريم له وهو الكون الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فتكون الاشياء متقدمة عليه تتقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المرام والمطلب وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة اخري تؤدي قريباً من هذا المعني فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فاما ان يعقل ذاته او غيره فان كان يعقل شيئاً اخر فما هو في حدّ ذاته غير مضاف الي ما يعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لان يعقل بان يكون بعض الاحوال ان يعقل له افضل من ان لا يعقل وبان لا يعقل يكون له افضل من ان يعقل فانه لا يمكن القسم الاخر وهو ان يكون يعقل الشي الاخر افضل من الذي له في ذاته من حيث هو في ذاته شي يلزمه ان يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال المسئلة الرابعة في ان واجب الوجود لا يعتريه تغيّر وتاثّر من غيره بان يبدع او يعقل قال الباري تعالي عظيم الرتبة جداً غير

Digitized by Google

محتاج الي غيره ولا متغيّر بسبب من غيره سوا كان التغيّر زمانياً او كان تغيّراً بان ذاته يقبل من غيره اثراً وان كان دائماً في الزمان وانما لا يجوز له ان يتغيّر كيف ما كان لان انتقاله انما يكون الي الشرّ لا الي الخير لان كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته وكل شي يناله ويوصف به فهو دون نفسه ويكون ايضاً شيئاً مناسباً للحركة خصوصاً ان كانت بعدية زمانية وهذا معني قوله ان التغيّر الي الشي الذي هو شرّ وقد الزم علي كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل ابداً ذاته فانه يتعب ويكل ويتغيّر ويتاثر واجاب ثامسطيوس عن هذا بانه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يجب ذاته لا يتعب من ان يعقل ذاته قال ابو علي بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل او لذاته يجب بل لانه ليس مضادّاً لشي في جوهر العاقل فان التعب هو الذي يعرض لسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك اذا كانت الحركات التي يتوالي مضادة لمطلوب الطبيعة فاما الشي الملائم واللذيذ المحض ليس فيه منافاة بوجه فلم يجب ان يكون تكرّره متعباً

المسئلة الخامسة في ان واجب الوجود حي بذاته باقٍ بذاته اي كامل في ان يكون بالفعل مدركاً لكل شي نافذ الامر في كل شي وقال ان الحيوة التي عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك خسيس فاما هناك المشار اليه بلفظ الحيوة وهو كون العقل التامّ بالفعل الذي يتعقل من ذاته كل شي وهو باقي الدهر ازلي فهو حي بذاته باقٍ بذاته عالم بذاته وانما يرجع جميع صفاته الي ما ذكرنا من غير تكثّر ولا تغير في ذاته

المسئلة السادسة في انه لا يصدر عن الواحد الا واحد قال الصادر الاول هوالعقل الفعّال لان الحركات اذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك

Digitized by Google

فيجب ان يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات فلو كانت المتحركات والمحركات تنسب اليه لا علي ترتيب اول وثاني بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الي محرك محرك ومتحرك متحرك فتكثر ذاته وقد اقمنا البرهان علي انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد وهو العقل الفعال وله في ذاته وباعتبار ذاته امكان الوجود وباعتبار علّته وجوب الوجود فتكثر ذاته لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر في الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه المسئلة السابعة في عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مترتباً علي عدد المحركات فيكون الجواهر المفارقة كثيرة علي ترتيب اول وثاني فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهي القوة يحرك كما يحرك المشتهي والمعشوق ومحرك اخر مزاول للحركة فيكون صورة للجرم السماوي فالاول عقل مفارق والثاني نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك علي انها مشتهاة معشوقة والمحركات المزاولة تحرك علي انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الاكر وذلك شي لم يكن ظاهراً في زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لما دل الرصد عليها فالعقول المفارقة عشرة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال المسئلة الثامنة في ان الاول مبتهج بذاته قال ارسطوطاليس اللذة في المحسوسات هو الشعور بالملائم وفي المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته ملتذّ بها لانه يعقل ذاته علي كمال حقيقتها وشرفها وان جلّ عن ان ينسب اليه لذّة انفعالية بل يجب ان يسمّي ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذّ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون في قضاء

Digitized by Google

حاجات خارجة عمّا يناسب حقيقتنا التي نحن بها ناس وذلك لضعف عقولنا وقصورنا في المعقولات وانغماسنا في الطبيعة البدنية لكنّا نتوصل اليها علي سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتّصال بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة في زمان قليل جداً وهذه الحالة له ابداً وهو لنا غير ممكن لانا مدنيون ولا يمكننا ان نشمّ تلك البارقة الالهية الا خطفة وخلسةً المسئلة التاسعة في صدور نظام الكل وترتيبه عنه قال قد بيّنّا ان الجوهر علي ثلثة اضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك وقد بيّنّا القول في الواحد الغير المتحرك واما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولي والصورة او العنصر والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية واما العدم فيعدّ من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولي جوهر قابل للصورة والصورة معني ما يقترن بالجوهر فيصير به نوعاً كالجزء المقوّم له لا كالعرض الحالّ فيه والعدم ما يقابل الصورة فانا متي توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب ان يكون في الهيولي عدم الصورة والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاصّ مقابل للصورة الخاصة قال واول الصورة التي تسبق الي الهيولي هي الابعاد الثلثة فيصير جرماً ذا طول وعرض وعمق وهو الهيولي الثانية وليست بذات كيفية ثم تلحقها الكيفيات الاربعة التي هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة واليبوسة المنفعلتان فيصير الاركان والاستقصات الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض وهي الهيولي الثالثة ثم يتكوّن منها المركبات التي يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولي بعض قال وانما رتبنا هذا الترتيب في العقل والوهم خاصة دون الحسّ وذلك ان الهيولي عندنا لم تكن معرّاةً عن الصورة قط فلم يقدر في الوجود جوهراً مطلقاً قابلاً للابعاد ثم لحقها الابعاد ولا جسماً عارياً عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك وانما هو عند نظرنا فيما هو اقدم بالطبع

Digitized by Google

وابسط في الوهم والعقل ثم اثبت طبيعة خامسة وراء هذه الطبائع لا تقبل الكون والفساد ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغيّر وهي طبيعة السماء وليس يعني بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع بل معني ذلك ان طبائعها خارجة عن هذه ثم هي علي تركيبات يختصّ كل تركيب خاصّ بطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات احياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعني اخر وانما يحمل ذلك عليها وعلي الانسان بالاشتراك فترتب العالم كله علوية وسفلية علي نظام واحد وصار النظام في الكل محفوظاً بعناية المبدأ الاول علي احسن ترتيب واحكم قوام متوجهاً الي الخير وترتيب الموجودات كلها في طباع الكل علي نوع نوع ليس علي ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر ولا حالها كحال النبات ولا حال النبات كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعاً بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها الي بعض بل هناك مع الاختلاف اتّصال واضافة جامعة للكل يجمع الكل الي الاصل الاول الذي هو المبدأ لفيض الجود والنظام في الوجود علي ما يمكن في طباع الكل ان يترتب عنه قال وترتيب الطباع في الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد منهم مكاناً خاصّاً وقدر له عملاً خاصّاً ليس قد اطلق لهم ان يعملوا ما شاؤا واحبّوا فان ذلك يؤدي الي تشويش النظام فهم وان اختلفوا في مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض باشكالهم وصورهم منتسبون الي مبداء واحد صادرون عن رايه وامره مصرّفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجري الحال في العالم

Digitized by Google

بان يكون هناك اجزاء اول مفردة مقدمة لها افعال مخصوصة مثل السماوات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال واجزاء مركبة متاخّرة تجري اكثر امورها علي الاتّفاق المخلوط بالطبع والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ثم ينسب الكل الي عناية الباري جلت عظمته المسئلة العاشرة في ان النظام في الكل متوجّه الي الخير والشرّ واقع في القدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم علي احسن احكام واتقان لا لارادة وقصد الي امر في السافل حتي يقال انما ابدع العقل مثلاً لغرض في السافل حتي يفيض مثلاً علي السافل فيضاً بل لامر اعلي من ذلك وهو ان ذاته ابدع ما ابدع لذاته لا لعلّة ولا لغرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجّهت الي الخير لانها صادرة عن اصل الخير وكان المصير في كل حال الي راس واحد ثم ربما يقع شرّ وفساد من مصادمات في الاسباب السافلة دون العالية التي كلها خير مثل المطر الذي لم يخلق الا خيراً ونظاماً للعالم فيتّفق ان يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعاً بالعرض لا بالذات و بان لا يقع شرّ جزوي في العالم لا يقتضي الحكمة ان يوجد خير كلي فان فقدان المطر اصلاً شرّ كلي وتخريب بيت عجوز شرّ جزوي والعالم للنظام الكلي لا للجزوي فالشرّ اذاً واقع في القدر بالعرض وقال ان الهيولي قد لبست الصورة علي درجات ومراتب وانما يكون لكل مرتبة ما يحتمله في نفسها دون ان يكون في الفيض الاعلي امساك عن بعض وافاضة علي بعض فالدرجة الاولي احتمالها علي نحو افضل والثانية دون ذلك والذي عندنا من العناصر دون الجميع لان كل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما تحتمل ما يستطيع ان يلبس من الفيض علي النحو الذي هي

Digitized by Google

له ولذلك يقع العاهات و التشويهات في الابدان لما يلزم من صورة المادّة الناقصة التي لا تقبل الصورة علي كمالها الاول والثاني قال انا ان لم نجر الامور علي هذا المنهاج الجانا الضرورة الي ان نقع في محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية وغيرهم المسئلة الحادية عشر في كون الحركات سرمدية وان الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما يتاخّر لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقاً بعدم بل هو مسبوق بذات الفاعل فقط ولكن القدماء لما ارادوا ان يعبروا عن العلية افتقروا الي ذكر القبلية والقبلية في اللفظ تتناول الزمان وكذلك في المعني عند من لم يتدرّب واوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه تقدم زماني قال ونحن اثبتنا ان الحركات تحتاج الي محرك غير متحرك ثم نقول الحركات لا يخلوا اما ان تكون لم تزل او تكون قد حدثت بعد ان لم يكن وقد كان المحرك لها موجوداً بالفعل قادراً ليس يمانعه مانع من ان يكون عنه ولا حدث حادث في حال ما احدثها فرغّبه وحمله علي الفعل اذ كان جميع ما يحدث انما يحدث عنه وليس شي غيره يعوقه او يرغبه ولا يمكن ان يقال قد كان لا يقدر ان يكون عنه فقدر او لم يرد فاراد او لم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب ان يكون شي اخر غيره هو الذي احاله وان قلنا انه منعه مانع يلزم ان يكون السبب المانع اقوي والاستحالة والتغيّر عن المانع حركة اخري استدعت محركاً وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث في زمان حدوثه بعد جوازه في زمان قبله و بعده فانما ذلك السبب جزوي خاصّ اوجب حدوث تلك الحادثة التي لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العامّ ليس يخصص بزمان دون

Digitized by Google

زمان بل نسبته الي الزمان كلها نسبة واحدة فلا بدّ لكل حادث من سبب حادث ويتعالي عنه الواحد الحق الذي لا يجوز عليه التغيّر والاستحالة قال واذ لا بدّ من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبيّن ان المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب ان تعثر علي السبب الذي يغيّر من السكون الي الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدّم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك والزمان الذي هو عادّ الي الحركة ازلية سرمدية والحركات اما مستقيمة واما مستديرة والاتّصال لا يكون الا للمستديرة لان المستقيم ينقطع والاتّصال امر ضروري للاشياء الازلية فان الذي يسكن ليس بازلي والزمان متّصل لانه لا يمكن ان يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك ان تكون الحركة متّصلة وكانت المستديرة هي وحدها متّصلة فيجب ان تكون هي ازلية فيجب ان يكون محرك هذه الحركة المستديرة ايضاً ازلياً اذ لا يكون ما هو اخسّ علّة لما هو افضل ولا فائدة في محركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون متعطلة غير قادرة ان تحرك وتحيل المسئلة الثانية عشر في كيفية تركّب العناصر حكي فرفوريوس عنه انه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط ففعل الله تعالي واحد بسيط وكذلك فعله الاجتلاب الي الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه ايضاً بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون موجوداً من ذاته بمنزلة الوجود الاول الحق لكن من التشبّه بذلك الاول الحق وكل

Digitized by Google

حركة يكون اما مستقيمة او مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية والجوهر يتحرك في الاقطار الثلثة التي هي الطول والعرض والعمق علي خطوط مستقيمة حركةً متناهيةً فيصير بذلك جسمًا ويبقي عليه ان يتحرك بالاستدارة علي الجهة التي يمكن فيها حركة بلا نهاية ولا يسكن في وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة علي الاستدارة وذلك ان الدائر يحتاج الي شي ساكن في وسط منه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه علي الاستدارة وهو الفلك وسكن بعضه في الوسط قال وكل جسم يتحرك فيماسّ جسماً ساكنًا وفي طبيعته قبول التاثير منه احدث سخونة فيه واذا سخن لطف وانحلّ وجفّ فكانت طبيعة النار تلي الفلك المتحرك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فتكون حركته اقل فلا يتحرك باجمعه لكن جزو منه فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك له فهو بارد بسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحارّ الرطب وكذلك انحلّ قليلاً والجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئًا ولا قبل منه تاثيرًا فسكن وبرد وهو الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض وتختلط يتولد عنها اجسام مركبة وهي المركبات المحسوسات التي هي المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختصّ بكل نوع طبيعة خاصّة تقبل فيضًا خاصًا علي ما قدّره الباري جلّت قدرته المسئلة الثالثة عشر في الاثار العلوية قال ارسطوطاليس الذي يتصاعد من الاجسام السفلية الي الجوّ ينقسم قسمين احدهما ادخنة نارية باسخان الشمس وغيرها والثاني ابخرة مائية فتصعد الي

Digitized by Google

الجوّ وقد صحبتها اجزاء ارضية فتتكاثف وتجتمع بسبب ريح او غيرها فيصير ضباباً او سحاباً فيصادفها برودة فتعصر ماءً وثلجاً وبرداً فينزل الي مركز الماء ذلك لاستحالة الاركان بعضها الي بعض فكما ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا احتقنت في خلال السحاب واندفعت بمرة سُمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ما تكون الدهنية علي مادّتها اغلب فيشتعل فيصير شهاباً ثاقباً وهي الشهب منها ما يحترق في الهواء فيتحجر فينزل حديداً وحجراً ومنها ما يحترق ناراً فيدفعها دافع فينزل صاعقة ومن المشتعلات ما يبقي فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك فكان ذنباً له. وربما كان عريضاً فراي كانه لحية كوكب وربما وقع علي صقيل الظاهر من السحاب صور النيرات واضواوها كما يقع علي المراي والجدران الصقيلة فيري ذلك علي الوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفايها وكدورتها فيري هالة وقوس قزح وشموس وشهب والمجرّة وذكر اسباب كل واحد من هذه في كتابه المعروف بالاثار العلوية والسماء والعالم وغيرها المسئلة الرابعة عشر في النفس الانسانية الناطقة واتّصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة في جسم وله في اثباتها مآخذ منها الاستدلال علي وجودها بالحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصوّرات العلمية اما الاول فقال لا يشكّ ان الحيوان يتحرك الي جهات مختلفة حركة اختيارية اذ لو كانت حركاته طبيعية او قسرية لتحركت الي جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت الي جهات متضادّة علم ان

حركاته اختيارية والانسان مع انه مختار في حركاته كالحيوان الا انه يتحرك لمصالح عقلية يراها في عاقبة كل امر فلا يصدر عنه حركاته الا الي غرض وكمال وهو معرفته في عاقبة كل حال والحيوان ليست حركاته بطبعه علي هذا النهج فيجب ان يتميّز الانسان بنفس خاصّ كما تميّز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص واما الثاني وهو المعوّل عليه قال لا نشك انا نعقل ونتصوّر امرًا معقولًا صرفًا مثل المتصوّر من الانسان انه انسان كلي يعمّ جميع اشخاص النوع ومحلّ هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة في جسم او صورة لجسم فانه ان كان جسمًا فاما ان يكون محلّ الصورة المعقولة طرفًا منه لا ينقسم او جملته المنقسمة وبطل ان يكون طرفًا منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التي لا تميّز لها في الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية اخري والا تسلسل القول فيه فيكون النقط متشافعة ولكلٍ نهاية وذلك محال وان كان محلّ المعقول من الجسم شي منقسم فيجب ان ينقسم المعقول بانقسام محلّه ومن المعلومات ما لا ينقسم البتة فان ما ينقسم يجب ان يكون شيئًا كالشكل او المقدار والانسانية الكلية المتصوّرة في الذهن ليس كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فبيّن ان النفس ليست بجسم ولا قوة ولا صورة في جسم المسئلة الخامسة عشر في وجه اتّصالها بالبدن ووقت اتّصالها قال اذا تحقق انها ليست بجسم لم تتّصل بالبدن اتّصال انطباع فيه ولا حلول فيه بل اتّصلت به اتّصال تدبير وتصرّف وانما حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده قال لانها لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت اما متكثّرة بذواتها او متّحدة وبطل الاول فان المتكثر اما

Digitized by Google

ان يكون بالماهية والصورة وقد فرضناها متّفقة في النوع لا اختلاف فيها فلا تكثر ولا تمايز واما ان تكون متكثّرة من جهة النسبة الي العنصر والمادّة المتكثرة بالامكنة والازمنة وهذا محال ايضاً فانّا اذا فرضناها قبل البدن ماهية مجرّدة لا نسبة لها الي مادّة دون مادّة وهي من حيث انها ماهية لا اختلاف فيها وان الاشياء التي ذواتها معانٍ فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها واذا كانت مجرّدة فمحال ان يكون بينها مغايرة ومكاثرة ولعمري انها تبقي بعد البدن متكثرة فان الانفس قد وجد كل منها ذاتاً منفردة باختلاف موادّها التي كانت وباختلاف ازمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتّصال بالبدن فهي حادثة مع حدوث البدن يصيّره نوعاً كسايُر الفصول الذاتية وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض معيّنة له لم توجد تلك العوارض قبل اتّصالها بالبدن وبهذا الدليل فارق استاذه وفارق قدماؤه وانما وجد في اثناء كلامه ما يدلّ علي انه يعتقد ان النفس كانت موجودة قبل وجود الابدان فيحمل بعض مفسّري كلامه قوله ذلك علي انه اراد به الفيض والصور الموجودة بالقوة في واهب الصور كما يقال ان النار موجودة في الخشب او الانسان موجود في النطفة والنخلة موجودة في النواة والضياء موجود في الشمس ومنهم من اجراه علي ظاهره وحكم بالتمييز بين النفوس بالخواصّ التي لها وقال اختصّت كل نفس انسانية بخاصيّة لم يشاركها فيها غيرها فليست متّفقة بالنوع اعني النوع الاخير ومنهم من حكم بالتمييز بالعوارض التي هي مهيّئة نحوها وكما انها تتمايز بعد الاتّصال بالبدن بانها كانت متمايزة في المادة كذلك تتمايز بانها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والافعال واستعداد كل نفس لصنعة خاصّة وعلم خاصّ فتنهض هذه

Digitized by Google

فصولاً ذاتيةً او عوارض لازمة لوجودها المسئلة السادسة عشر في بقايها بعد البدن وسعادتها في العالم العقلي قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله تعالي ووصلت الي كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة يكون اما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارق البدن اتّصل بالروحانيين وانخرط في سلك الملائكة المقربين ويتمّ له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذّة فهي جسمانية فان تلك اللذّات لذّات نفسانية عقلية وهذه اللذّة الجسمانية تنتهي الي حدّ ويعرض للملتذّ سامة وكلال وضعف وقصور ان تعدي عن الحدّ المحدود بخلاف اللذّات العقلية فانها حيث ما ازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها وكذلك القول في الالام النفسانية فانها تقع بالضدّ ممّا ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرًا ولا نشرًا ولا انحلالًا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالاً لنظامه كما ذكره القدماء فهذه نكت كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة واكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ ابي علي بن سينا الذي يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الان ننقل كلمات حكمية لاصحاب ارسطوطاليس ومن نسج علي منواله بعده دون الاراء العلمية اذ لا خلاف بينهم في الاراء والعقائد ووجدت فصولاً وكلمات للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها علي الوجه وان كان في بعضها ما يدلّ علي ان رايه علي خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها في حدث العالم قال الاشياء المحمولة اعني الصور المتضادّة فليس يكون احدهما من صاحبه بل يجب ان يكون بعد صاحبه فيتعاقبان علي المادّة فقد بان ان الصور تبطل وتدثر فاذا دثر

Digitized by Google

معني وجب ان يكون له بدوًا لان الدثور غاية وهو احد الحاشيتين ما دلّ علي ان جايبًا جابه فقد صح آن الكون حادث لا من شي وان الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها وحمله اياها وهي ذات بدو وغاية يدلّ علي ان حامله ذو بدو وغاية وانه حادث لا من شي ويدلّ علي محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور اخر والاخر ما كان له اول فلو كانت الجواهر والصور لم يزالا فغير جائز استحالتهما لان الاستحالة دثور الصورة التي بها كان الشي وخروج الشي من حدّ الي حدّ ومن حال الي حال يوجب دثور الكيفية وتردد المستحيل في الكون والفساد يدلّ علي دثوره وحدوث احواله يدلّ علي ابتدايه وابتداء جزء يدلّ علي بدو كله وواجب ان قبل بعض ما في العالم الكون والفساد ان يكون كل العالم قابلًا له وكان له بدو يقبل الفساد واخر يستحيل الي كون فالبدو والغاية يدلّان الي مبدع وقد سأل بعض الدهرية ارسطوطاليس وقال اذا كان لم يزل ولا شي غيره ثم احدث العالم فلم احدثه فقال له لم غير جائزة عليه لان لم يقتضي علّة والعلّة محمولة فيما هي علة له من معلّ فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فتحيل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب ان يكون فاعلًا لم يزل لانه جواد لم يزل قال معني لم يزل ان لا اول وفعل يقتضي اوّلا واجتماع ان يكون ما لا اول له وذو اول في القول والذات محال متناقض قيل له فهل يبطل هذا العالم قال نعم قيل فاذا ابطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التي لا تحتمل الفساد لان هذه الصيغة تحتمل الفساد تم كلامه ويعزي هذا الفصل الي سقراطيس قاله لبقراطيس وهو بكلام القدماء اشبه ومما نقل عن ارسطوطاليس تحديده العناصر الاربعة قال الحارّ ما خلط بعض ذوات الجنس ببعض وفرق بين

Digitized by Google

بعض ذوات الجنس من بعض وقال البارد ما جمع بين ذوات الجنس وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتي صار جليداً اشتملت علي الاجناس المختلفة من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدّان الاولان يدلان علي الفعل والاخران يدلان علي الانفعال ونقل ارسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة ان مبادي الاشياء هي العناصر الاربعة وعن بعضهم ان المبدأ الاول هو ظلمة وهاوية وفسّروه بفضاء وخلاء وعماية وقد اثبت قوم من النصاري تلك الظلمة وسمّوها الظلمة الخارجة ومما خالف ارسطوطاليس استاذه افلاطن ان قال افلاطن من الناس من يكون طبعه مهيّئاً لشي لا يتعداه فخالفه وقال اذا كان الطبع سليماً صلح لكل شي وكان افلاطن يعتقد ان النفوس الانسانية انواع يتهيّأ كل نوع لشي ما لا يتعدّاه وارسطوطاليس يعتقد ان النفوس الانسانية نوع واحد واذا تهيّأ صنف لشي تهيّأ له كل النوع

حكم الاسكندر الرومي وهو ذو القرنين الملك وليس هو المذكور في القران بل هو ابن فيلفوس الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر سلمه ابوه الي ارسطوطاليس الحكيم المقيم بمدينة اينياس فاقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب حتي بلغ احسن المبالغ وكان من الفلسفة ما لم ينله سائر تلامذته فاستردّه والده حين استشعر من نفسه علّة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له واقبل اليه واستولت العلّة فتوفي منها واستقلّ الاسكندر باعباء الملك فمن حكمه انه سأله معلمه وهو في المكتب ان افضي اليك هذا الامر يوماً اين تضعني قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت وقيل له انك

Digitized by Google

تعظم مودّبك اكثر من تعظيمك والدك قال لان ابي كان سبب حياتي الفانية ومودبي سبب حياتي الباقية وفي رواية لان ابي كان سبب كوني ومودّبي سبب تجويد حياتي وفي رواية لان ابي كان سبب كوني ومودّبي كان سبب نطقي وقال ابو زكريا الصيمري لو قيل لي هذا لقلت لان ابي كان قضي وطرًا بالطبيعة التي اختلفت بالكون والفساد ومودّبي افادني العقل الذي به انطلقت الي ما ليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يومًا فلم يسأله احد حاجته فقال لاصحابه والله ما اعدّ هذا اليوم من ايام عمري في ملكي قيل ولم ايها الملك قال لان الملك لا يوجد التلذذ به الا بالجود علي السائل واغاثة الملهوف ومكافاة المحسن والا بانالة الراغب واسعاف الطالب وكتب اليه ارسطوطاليس في كلام طويل اجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شي بشكله حتي تزداد قوة وعزّة عن ضدّه حتي يتميّز لك بصورته وصن وعدك من الخلف فانه شين وشب وعيدك بالعفو فانه زين وكن عبدًا للحق فان عبد الحق حرّ وليكن وكدك الاحسان الي جميع الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها واظهر لاهلك انك منهم ولاصحابك انك بهم ولرعيتك انك لهم وتشاور الحكماء في ان يسجدوا له اجلالًا وتعظيمًا قال لا سجود لغير باري الكل بل يحق له السجود علي من كساه بهجة الفضائل واغلظ له رجل من اهل اثينية فقام اليه بعض قواده ليقابله بالواجب فقال له الاسكندر دعه لا تنحط الي دناءته ولكن ارفعه الي شرفك وقال من كنت تحبّ الحيوة لاجله فلا تستعظم الموت بسببه وقيل له ان روشنك امراتك ابنة دارا الملك وهي من اجمل النساء فلو قربتها الي نفسك قال اكره ان يقال غلب الاكسندر دارا وغلبت روشنك الاسكندر وقال من الواجب علي

اهل الحكمة ان يسرعوا الي قبول اعتذار المذنبين وان يبطيُوا عن العقوبة وقال سلطان العقل علي باطن العاقل اشدّ تحكّمًا من سلطان السيف علي ظاهر الاحمق وقال ليس الموت بألم للنفس بل للجسد وقال الذي يريد ان ينظر الي افعال الله مجرّدة فليعف عن الشهوات وقال ان نظم جميع ما في الارض شبيه بالنظم السماوي لانها امثال له بحق وقال العقل لا يألم في طلب معرفة الاشياء بل الجسد يألم ويسأم وقال النظر في المراة يري رسم الوجه وفي اقاويل الحكماء يري رسم النفس ووجدت في عضده صحيفة فيها قلّة الاسترسال الي الدنيا اسلم والاتكال علي القدر اروح وعند حسن الظنّ تقرّ العين ولا ينفع مما هو واقع التوقي واخذ يوماً تفاحة فقال ما الطف قبول هذه الهيولي الشخصية لصورتها وانفعالها لما توثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل النفس لها كل ذلك دليل علي ابداع مبدع الكل واله الكل ولو قبل الطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية و انفعالها لما توثر النفس الكلي فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل علي ابداع مبدع الكل وسأله اطوسايس الكلبي ان يعطيه ثلث حبّات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك فقال الكلبي اعطني ماية رطل من الذهب فقال ولا هذا مسئلة كلبي وقال بعضهم كنّا عند شبر المنجم اذ وصل الينا انهاء الملك واقامنا في جوف الليل وادخلنا بستانًا ليرينا النجوم فجعل شبر يشير اليها بيده ويسير حتي سقط في بئر فقال من تعاطي علم ما فوقه بلي يجهل ما تحته وقال السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه لانا اذا عرفناه اطلنا يومه واطرنا نومه وقال استقلل كثير ما تعطي

Digitized by Google

واستكثر قليل ما تاخذ فان قرّة عين الكريم فيما يعطي ومسرّة اللئيم فيما ياخذ ولا تجعل الشحيح امينًا ولا الكذاب صفيًا فانه لا عفة مع شحّ ولا امانة مع كذب وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة الراي واجالة الراي بتحصين الاسرار ولما توفي الاسكندر برومية المداين وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه الي الاسكندرية وكان قد عاش اثنين وثلثين سنة وملك اثني عشرة سنة وندبه جماعة من الحكماء الندبة فقال بليموس هذا يوم عظيم العبرة اقبل من شرّه ما كان مدبرًا وادبر من خيره ما كان مقبلًا فمن كان باكيًا علي من قد زال ملكه فليبكه وقال ميلاطوس خرجنا الي الدنيا جاهلين واقمنا فيها غافلين وفارقناها كارهين وقال زينون الاصغر يا غطيم الشان ما كنت الا ظلّ سحاب اضمحل فلما اضلّ فما نحسّ لملكك اثرًا ولا نعرف له خبرًا وقال افلاطن الثاني ايها الساعي المتعصب جمعت ماخذ لك وتوليت ما تولي عنك فلزمتك اوزاره وعاد علي غيرك مهناه وثماره وقال فوطس الا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارًا حتي وعظنا بنفسه اضطرارًا وقال مطور قد كنّا بالامس نقدر علي الاستماع ولا نقدر علي القول واليوم نقدر علي القول فهل نقدر علي الاستماع وقال ثاون انظروا الي حلم النائم كيف انقضي والي ظلّ الغمام كيف انجلي وقال سوس كم قد امات هذا الشخص ليلًا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوي الارض العريضة فلم يقنع حتي طوي منها في ذراعين وقال اخر ما سافر الاسكندر سفرًا بلا اعوان ولا الة ولا عدة الا سفره هذا وقال اخر ما ارغبنا فيما فارقت واعقلنا عما عاينت وقال اخر لم يوّدبنا بكلامه كما ادّبنا بسكوته وقال اخر من ير هذا الشخص فليتق وليعلم ان الديون هكذا قضاوها

Digitized by Google

وقال اخر قد كان بالامس طلعته علينا حيوة واليوم النظر اليه سقم وقال اخر قد كان يسأل عما قبله ولا يسأل عما بعده وقال اخر من شدّة حرصه علي الارتفاع انحطّ كله وقال اخر الان يضطرب الاقاليم لان مسكنها قد سكن

حكم ديوجانس الكلبي وكان حكيماً فاضلاً متقشفاً لا يقتني شيئًا ولا يأوي الي منزل وكان من قدرية الفلاسفة لما يوجد في مدارج كلامه من الميل الي القدر قال ليس الله علّة الشرور بل الله علّة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعلها بين خلقه فمن كسبها وتمسّك بها نالها لانه لا يدرك الخيرات الا بها سأله الاسكندر يومًا فقال باي شي يكتسب الثواب قال بافعال الخيرات وانك لتقدر ايها الملك ان تكتسب في يوم واحد ما لا يقدر الرعية ان تكتسبه في دهرها وسأله عصبة من اهل الجهل ما غذاوك قال ما عفتم يعني الحكمة قالوا فما عفت قال ما استطبتم يعني الجهل قالوا كم عبد لك قال اربابكم يعني الغضب والشهوة والاخلاق الردية الفاشيئة منهما قالوا فما اقبح صورتك قال لم املك الخلقة الذميمة فألام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها واما ما صار في ملكي واتي عليه تدبيري فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين ما في ملككم قالوا فما الذي في الملك من التزيين والتهجين قال اما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب بالحلم وقطع الحرص بالقنوع واماتة الحسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتي تصير مطيّة قد ارتاضت فتصرفت حيث صرفها فارسها في طلب العليات وهجر الدنيات ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيع العقل بضياع الادب واثارة الشهوة

Digitized by Google

باتّباع الهوي واضرام الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاماً وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الاكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلاء وراس السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلث غير متوقّع لضدّها وقيل له ما لك لا تغضب قال اما غضب الانسانية فقد اغضبه واما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية واستدعاه الملك الاسكندر الي مجلسه يوماً فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك منعك عني استغناك بسلطانك ومنعني عنك استغناءي بقناعتي وعاتبته دالسة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوماً فقال له ما تخافني قال انت خير ام شرير قال خير قال فما لحق بي من الخير معني بل يجب عليّ رجاوه وكان لاهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج احداً الا قتله فظهر عليهم عدو ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال اعلم بانك ميّت لا محالة فاجهد ان تكون حياً بعد موتك ليلا يكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما ان الاجسام تعظم في العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان في حال الغضب وسيئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفساً فارغة وراي غلاماً معه سراج فقال له تعلم من اين تجي هذه النار قال له الغلام ان اخبرتني الي اين تذهب اخبرتك من اين تجي وافحمه بعد ان لم يكن يقوي عليه احد وراي امراة قد حملها الماء فقال علي هذا المعني جري المثل دع الشر يغسله الشر وراي

Digitized by Google

امراة تحمل ناراً فقال نار علي نار وحامل شر من محمول وراي امراة متزيّنة في ملعب فقال لم تخرج لتري ولكن لتُري وراي نساء يتشاورن فقال علي هذا جري المثل هو ذا الثعبان يستقرض من الافاعي سمّاً وراي جارية تعلم الكتابة فقال يسقي هذا السهم سمّاً ليرمي به يوماً

حكم الشيخ اليوناني وله رموز وامثال منها قوله ان امّك رومٌ لكنها فقيرة رعناء وان اباك لحدَث لكنه جواد مقدر يعني بالامّ الهيولي وبالاب الصورة وبالروم انقيادها وبالفقر احتياجها الي الصورة وبالرعونة قلّة ثباتها علي ما تحصل عليه واما حداثة الصورة اي هي مشرقة لك بملابسة الهيولي واما جودها اي النقص لا يعتريها من قبل ذاتها فانها جواد لكن من قبل الهيولي فانها انما تقبل علي تقدير هذا ما فسر به رمزه ولغزه وحمل الامّ علي الهيولي صحيح مطابق للمعني وليس حمل الاب علي الصورة بذلك الوضوح بل حملها علي العقل الفعال الجواد الواهب للصور علي قدر استعدادات القوابل اظهر وقال لك نسبان نسب الي ابيك ونسب الي امّك انت باحدهما اشرف وبالاخر اوضع فانتسب في ظاهرك وباطنك الي من انت به اشرف وتبرّا في باطنك وظاهرك ممن انت به اوضع فان الولد الفشل يحبّ امّه اكثر مما يحبّ اباه وذلك دليل علي دخل العرق وفساد المحتد قيل اراد بذلك الهيولي والصورة او البدن والنفس او الهيولي والعقل الفعال وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك احدهما محقّ والاخر مبطل فاحذر ان تقضي بينهما بغير الحق فتهلك انت الخصمان احدهما العقل والثاني الطبيعة وقال كما ان البدن الخالي من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الادب يحسّ نقصها بالكلم

Digitized by Google

والافعال وقال الغائب المطلوب في طيّ الشاهد الحاضر وقال ابو سليمان السجزي مفهوم هذا الاطلاق ان كل ما هو عندنا بالحسّ بيّن فهو بالعقل لنا هناك الا ان الذي عندنا ظلّ ذلك ولان من شان الظلّ كما يريك الشي الذي هو ظلّه مرّة فاضلاً علي ما هو عليه ومرة ناقصاً عما هو به ومرة علي قدره عرض الحسبان والتوهّم وصارا مزاحمين لليقين والتحقيق فينبغي ان يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدي والوجود السرمدي اتمّ واظهر وابقي وابلغ فبالحق ما كان الغائب في طيّ الشاهد وبتصفّح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال الشيخ اليوناني النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت علي مركزها غير انها دائرة لا بعد لها ومركزها هو العقل وكذلك للعقل دائرة استدارت علي مركزها وهو الخير الاول المحض غير ان النفس والعقل ان كانا دائرتين لكن دائرة العقل لا تتحرك ابداً بل هي ساكنة دائمة شبيهة بمركزها واما دائرة النفس فانها تتحرك علي مركزها وهو العقل حركة الاستكمال وعلي ان دائرة العقل وان كانت دائرة شبيهة بمركزها لكنها تتحرك حركة الاشتياق لانها تشتاق الي مركزها وهو الخير الاول واما دائرة العالم السفلي فانها دائرة تدور حول النفس واليها تشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقاً الي النفس كشوق النفس الي العقل وشوق العقل الي الخير المحض الاول ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الي الشي الخارج منه ويحرص الي ان يصير اليه فيعانقه فلذلك يتحرك الجرم الاقصي الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع الاول تعالي صورة ولا حلية مثل صور الاشياء العالية ولا مثل صور الاشياء السافلة ولا قوة

Digitized by Google

له مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها بتوسط العقل وقال المبدع الحق ليس شيئًا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الفاضل الاوايل في قولهم مالك الاشياء كلها هو الاشياء كلها اذ هو علّة كونها بانّه فقط وعلّة شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شي ممّا ابدعه ولا يشبه شيئًا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشياء كلها واذا كان العقل واحداً من الاشياء فليس فيه عقل ولا صورة ولا حلية ابدع الاشياء بانّه فقط وبانه يعلمها ويحفظها ويدبّرها لا بصفة من الصفات وانما وصفناه بالحسنات والفضائل لانه علّتها وانه الذي جعلها في الصور فهو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو اول في المرتبة ومنها ما هو ثاني ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواسّ تختلف باماكنها علي ان القوي الحاسة فانها معاً لا يفترق بمفارقة الالة وقال المبدع ليس متناهٍ لا كانه جثة بسيطة وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل فلذلك صار محبوباً معشوقاً يشتاقه الصور العالية والسافلة وانما اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانه مبدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم علي حاله لا يتغيّر والعاشق يحرص علي ان يصير اليه ويكون معه وللمعشوق الاول عشّاق كثيرون وقد يفيض عليهم كلّهم من نوره من غير ان ينقص منه شي لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك واما المنطق الجزوي فانه لا يعرف الشي الا معرفة جزوية وشوق العقل الاول الي المبدع الاول اشدّ من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها

Digitized by Google

تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقاً الي الاول اذ العشق لا علةّ له فاما المنطق الذي يختصّ بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذي لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصوّرها وتحنّ اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت علي الحال التي هي الان عليها ولا ان يعرفها كنه معرفتها ولم صارت الارض في الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان الباري صيّرها كذلك وانما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل بروية وفكرة لا بانيّته فقط بل يفصل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج في ابداع الاشياء الي روية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلا قياس بل يبدع الاشياء ويعلم عللها قبل والروية والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما اشبه ذلك انما كانت اجزاء وهو الذي ابدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد

حكم ثاوفرسطيس كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار اصحابه واستخلفه علي كرسي حكمته بعد وفاته وكانت المتفسلفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقار فما يؤثر عنه انه قال الالهية لا تتحرك ومعناه لا تتغيّر ولا تتبدل لا في الذات ولا في شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس علي انهم مثل وشبه لما في السماء فهم الاباء والمدبّرون ولهم نفوس وعقول مميّزة وليس لها انفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الغناء فضيلة في

المنطق اشكلت علي النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها لحوناً واثارت بها شجوناً واصم في عرضها فنوناً وفنوناً وقال الغناء شي يخصّ النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما ان لذّة الماكول والمشروب شي يخصّ الجسم دون النفس وقال ان النفوس الي اللحون اذا كانت محجبة اشدّ اصغاء منها الي ما قد تبيّن لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان احدهما مطبوع والاخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون ان يرد عليه العقل المسموع فينبّهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء ما في قعر الارض وقال الحكمة غني النفس والمال غني البدن وطلب غني النفس اولي لانها اذا غنيت بقيت والبدن اذا غني ففي وغني النفس ممدود وغني المال محدود وقال ينبغي للعاقل ان يداري الزمان مداراة رجل لا يسبح اذا وقع في الماء الجاري وقال لا تغبطنّ بسلطان من غير عدل ولا بغني من غير حسن تدبير ولا ببلاغة في غير صدق منطق ولا بجود في غير اصابة موضع ولا بادب من غير اصابة راي ولا بحسن عمل في غير حسنة

شبه برقلس في قدم العالم ان القول في قدم العالم وازلية الحركات بعد اثبات الصانع والقول بالعلة الاولي انما ظهر بعد ارسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحاً وابدع هذه المقالة علي قياسات ظنّها حجّة وبرهاناً فنسج علي منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسي وثامسطيوس وفرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الي افلاطن في هذه المسئلة كتاباً واورد فيه هذه الشبهة والا فالقدماء انما ابدوا فيه ما نقلناه سالفاً الشبهة الاولي قال الباري تعالي جواد

Digitized by Google

بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم ان يكون وجود العالم قديماً لم يزل ولا يجوز ان يكون مرة جواداً ومرة غير جواد فانه يوجب التغيّر في ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل علي شي ولا مانع من شي الثانية قال ليس يخلوا الصانع من ان يكون لم يزل صانعاً بالفعل او لم يزل صانعاً بالقوة بان يقدر ان يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان كان الثاني فما بالقوة لا يخرج الي الفعل الا بمخرج ومخرج الشي من القوة الي الفعل غير ذات الشي فيجب ان يكون له مخرج من خارج موثر فيه فلذلك ينافي كونه صانعاً مطلقاً لا يتغير ولا يتاثر الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الي فعل وكل علّة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل الرابعة ان كان الزمان لا يكون موجوداً الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العادّ لحركات الفلك ثم لا جائز ان يقال متي وقبل الا حين يكون الزمان موجوداً ومتي وقبل ابدي فالزمان ابدي فحركات الفلك ابدية فالفلك ابدي الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر علي نقضه غيره فليس ينتقض ابداً وما لا ينتقض ابداً كان سرمداً السادسة لما كان الكائن لا يفسد الا بشي غريب يعرض له و لم يكن شي غير العالم خارجاً منه يجوز ان يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان

Digitized by Google

كل كائن فاسد السابعة قال ان الاشياء التي هي في المكان الطبيعي لا تتغيّر ولا تتكوّن ولا تفسد وانما تتغيّر وتتكوّن وتفسد اذا كانت في اماكن غريبة فتجاذب الي اماكنها كالنار التي في اجسادنا تحاول الانفصال الي مركزها فينحلّ الرباط فيفسد فاذاً الكون والفساد انما يتطرّق الي المركّبات لا الي البسائط التي هي الاركان في اماكنها ولكنها هي بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو ازلي الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك علي الاستدارة والطبائع تتحرك اما علي الوسط واما الي الوسط علي استقامة واذا كان كذلك كان التفاسد في العناصر انما هو لتضادّ حركاتها والحركة الدورية لا ضدّ لها فلم يقع فيها فساد قال وكليات العناصر انما تتحرك علي استدارة وان كانت الاجزاء منها تتحرك علي الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز ان يفسد العالم لم يجز ان يتكوّن وهذه الشبهات هي التي يمكن ان يقال فتنقض وفي كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكّمات وقد افردت لها كتاباً واوردت فيه شبهات ارسطوطاليس وهذه تقريرات ابي علي بن سينا ونقضتها علي قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهّد عذراً في ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين احدهما روحاني بسيط والاخر جسماني مركّب وكان اهل زمانه الذين يناطقونه جسمانيين وانما دعاه الي ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فنخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب علي الحكيم ان يظهر العلم علي طرق كثيرة يتصرّف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا علي قوله مساغاً ولا يصيبوا مقالاً ولا مطعناً لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم

Digitized by Google

وانه باقٍ لا يدثر وضع كتابًا في هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفي هذا الكتاب يقول لما اتّصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركّبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور داثرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللبّ و عالم الكدورة والقشر فاتّصل بعضه ببعض وكان اخر هذا العالم من بدوّ ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم داثرًا اذا كان متّصلًا بما ليس يدثر ومن وجه دثرت القشور وزالت الكدورة وكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضًا فان هذا العالم مركّب والعالم الاعلى بسيط وكل مركّب ينحلّ حتى يرجع الى البسيط الذي تركّب منه وكل بسيط باقٍ دائمًا غير مضمحل ولا متغيّر قال الذي يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذي اضاف اليه هذا القول الاول لا يخلوا من احد من امرين اما ان لم يقف على مرامه للعلة التي ذكرنا فيما سلف واما انه كان محسودًا عند اهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا اوليك اصحاب اوهام وخيالات فانه يقول في موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهي باقية لا تدثر ولا تضمحل وهي لازمة الدهر ماسكة له الا انها من اول واحد لا يوصف بصفة ولا يدرك بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها منه وتحته وهو الغاية والمنتهي التي ليس فوقها جوهر هو اعظم منها الا الاول الواحد وهو الاحد الذي قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هذه

Digitized by Google

المبادي وقال ايضاً الحق لا يحتاج الي ان يعرف ذاته لانه حق حقاً بلا حق وكل حق حقاً فهو تحته انما هو حق حقاً اذ حققه الموجب له الحق فالحق هو الجوهر الممدد الطباع الحيوة والبقاء وهو افاد هذا العالم بدأ وبقاء بعد دثور قشوره وزكّي البسيط الباطن من الدنس الذي كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطاً روحانياً بقي بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حدّ المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التي بلا نهاية وكان هذا واحداً منها وبقي جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له اهل يلبسه لانه غير جائز ان تكون الانفس الطاهرة التي لا تلبس الادناس والقشور مع الانفس الكثيرة القشور في عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه اغلب واما ما كان من الباري بلا متوسط او كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر علي شي من غير المتوسّطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشي عن الابداع الاول لانه حيث ما قلّت المتوسطات في الشي كان انور واقل قشوراً ودنساً وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر اصفي والاشياء ابقي ومما ينقل عن برقلس انه قال ان الباري عالم بالاشياء كلها اجناسها وانواعها واشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم اجناسها وانواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليّات دون الجزويات كما ذكرنا ومماينقل عنه في قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان لم يكن فابدعه الباري وفي الحالة التي لم يكن لم يخلو من حالات ثلث اما ان الباري لم يكن قادراً فصار قادراً وذلك محال لانه قادر لم يزل واما

Digitized by Google

انه لم يرد فاراد وذلك محال ايضاً لانه مريد لم يزل واما انه لم يفيض الحكمة وذلك محال ايضاً لان الوجود اشرف من العدم علي الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلث تشابها في الصفة الخاصة وهي القدم علي اصل المتكلم او كان القدم بالذات له دون غيره وان كانا معاً في الوجود والله الموفق

راي ثامسطيوس وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس وانما يعتمد شرحه اذ كان اهدي القوم الي اشاراته ورموزه وهو علي راي ارسطوطاليس في جميع ما ذكرنا من اثبات العلة الاولي واختار من المذاهب في المبادي قول من قال ان المبادي ثلثة الصورة والهيولي والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لا تقبل هذه الصورة اصلاً وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لا ان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وارضية الا ان الغالب علي الافلاك النارية كما ان الغالب علي المركّبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران مشتعلات حصلت تراكيبها علي وجه لا يتطرق اليها الانحلال لانها لا تقبل الكون والفساد والتغيّر والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الي ما ذكرنا ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رايه في ان العالم اجمع طبيعة واحدة عامّة وكل نوع من انواع النبات والحيوان مختصّ بطبيعة خاصّة وحدّوا الطبيعة العامّة انها مبدأ الحركة في الاشياء والسكون فيها علي الامر الاول من ذواتها وهي علة الحركة في المتحركات وعلة السكون في الساكنات زعموا ان الطبيعة هي التي تدبر الاشياء كلها في العالم حيوته و مواته تدبيراً طبيعياً وليست هي

Digitized by Google

حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الا حكمة وصواباً وعلي نظم صحيح و ترتيب محكم قال ثامسطيوس قال ارسطوطاليس في مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيواناً الا انها الهمت من سبب هو اكرم منها واومي الي ان السبب هو الله وقال ايضاً ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية علي الكون والفساد بكليتها وجزويتها يعني الفلك والنيرات وطبيعة يلحق جزوياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزويات الاشخاص وبالكليات الاسطقصات

راي الاسكندر الافروديسي وهو من كبار الحكماء رايًا وعلماً وكلامه امتن ومقالته ارصن وافق ارسطوطاليس في جميع ارايه وزاد عليه في الاحتجاج علي ان الباري عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزوياتها علي نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغيّر علمه بتغيّر المعلوم ولا يتكثر بتكثّره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره اصلاً بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطاً بما دونه وكان الزمان جارياً عليه لان الزمان هو العادّ للحركات او هو عدد الحركات ولما لم يكن يحيط بالفلك شي اخر ولا كان الزمان جارياً عليه لم يجز ان يفسد الفلك ويكوّن فلم يكن قابلاً للكون والفساد وما لم يقبل الكون والفساد كان قديماً ازلياً وقال في كتابه في النفس ان الصناعة تتقبل الطبيعة والطبيعة لا تتقبل الصناعة وقال للطبيعة لطف وقوة وان افعالها تفوق في البراعة واللطف كل اعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لا فعل للنفس دون مشاركة البدن حتي التصوّر بالعقل فانه مشترك

Digitized by Google

بينهما واومي الي انه لا يبقي للنفس بعد مفارقتها قوة اصلاً حتي القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذي يبقي مع النفس من جميع ما لها من القوي هي القوة العقلية فقط ولذّتها في ذلك العالم مقصورة علي اللذّات العقلية فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحسّ وتلتذّ بها والمتاخرون يثبتون بقاءها علي هيئات اخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعدّ بها لقبول هيئات الملكية في ذلك العالم

راي فرفوريوس وهو ايضاً علي راي ارسطوطاليس ووافقه في جميع ما ذهب اليه ويدّعي ان الذي يحكي عن افلاطن من القول بحدث العالم غير صحيح قال في رسالته الي انابانو اما ما فرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانياً فدعوي كاذبة وذلك ان افلاطن ليس راي ان للعالم ابتداء زمانياً لكن ابتداء علي جهة العلّة ويزعم ان علّة كونه ابتداؤه وقد راي ان المتوهّم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لا من شي وانه خرج من لا نظام الي نظام فقد اخطأ وغلط وذلك انه لا يصحّ دائماً ان كل عدم اقدم من الوجود فيما علّة وجوده شي اخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعني افلاطن ان الخالق اظهر العالم من العدم الي الوجود ان وجدانه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولي انها امر قابل للصور وهي كبيرة وصغيرة وهما في الموضوع والحدّ واحد ولم يبيّن العدم كما ذكره ارسطوطاليس الا انه قال الهيولي لا صورة له فقد علم ان عدم الصورة في الهيولي وقال ان المكوّنات كلها انما تكوّن بالصور علي سبيل التغيّر وتفسّد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس ان من الاصول الثلثة التي هي الهيولي

Digitized by Google

والصورة والعدم ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شي يكون ما يتكوّن ويحرك الاجسام وكل ما كان واحداً بسيطاً ففعله واحد بسيط وما كان كثيراً مركّباً فافعاله كثيرة مركّبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط وما في افعاله يفعلها بمتوسّط فمركّب وقال كل ما كان موجوداً فله فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان الباري تعالي موجوداً ففعله الخاصّ هو الاجتلاب الي الوجود ففعل فعلاً واحداً وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الي شبيه يعني الوجود ثم اما ان يقال كان المفعول معدوماً يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولي بعينها فيجب ان يسبق الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوماً يمكن ان يوجد بل اوجده عن لاشي وابدع وجوده من غير توهم شي سبقه وهو ما يقوله الموحّدون قال فاول فعل فعله هو الجوهر الا ان كونه جوهراً وقع بالحركة فوجب ان يكون بقاؤه جوهراً بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبّه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما علي خطّ مستقيم واما علي الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب ان يتحرك الجوهر في جميع الجهات التي يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر في جميع الجهات حركة مستقيمة علي جميع الخطوط وهي ثلثة الطول والعرض والعمق الا انه لم يكمن ان يتحرك علي هذه الخطوط بلا نهاية اذ ليس يمكن فيما هو بالفعل ان يكون بلا نهاية فيحرك الجوهر في هذه الاقطار الثلثة حركة متناهية علي خطوط مستقيمة وصار بذلك جسماً وبقي عليه ان يتحرك بالاستدارة علي الجهة التي يمكن فيه ان يتحرك بلا نهاية ولا يسكن

Digitized by Google

وقتاً من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة علي الاستدارة لان الدائر يحتاج الي شي ساكن في وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه علي الاستدارة وسكن بعضه في الوسط وقال كل جسم يتحرك فيماسّ جسماً ساكناً في طبيعته قبول التاثير منه حركة معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحلّ وخفّ فكانت النار تلي الفلك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته اقلّ فلا يتحرك لذلك باجمعه لكن جزو منه فيسخن دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك .فهو بارد لسكونه وحارّ حرارة يسيرة بمجاورة الهواء وكذلك انحلّ قليلاً واما الجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئًا ولا قبل منه تاثيرًا سكن وبرد وهذه هي الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض اختلطت وتولّد عنها اجسام مركّبة وهذه هي الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت والاتفاق والخبط بل لا يفعل الا ما له نظم وترتيب وحكمة وقد يفعل شيئًا من اجل شي كما يفعل البُرّ لغذاء الانسان ويهيّي اعضاؤه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة ارسطوطاليس في الطبيعة خمسة اقسام احدها العنصر والثاني الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة في الشي بمنزلة حركة النار الكائنة الموجودة فيها الي فوق والخامس الطبيعة العامّة للكل لان الجزويات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا في مركزها فمن الحكماء من صار الي انها فوق الكل وقال آخرون انها دون الفلك قالوا واما الدليل علي وجودها افعالها وقواها المنبثّة في العالم الموجبة للحركات

Digitized by Google

والافعال كذهاب النار والهواء الي فوق وذهاب الماء والارض الي تحت فنعلم يقيناً لو لا قوي فيها اوجبت تلك الحركات كانت مبدأ لها لم توجد فيها وكذلك ما يوجد في النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو

المتاخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب بن احسق الكندي وحنين بن اسحق ويحيي النحوي وابي الفرج المفسر وابي سليمن السجزي وابي سليمن محمد المقدسي وابي بكر ثابت بن قرة وابي تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل بن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسي وطلحة بن محمد النسفي وابي حامد احمد بن محمد الاسفزاري وعيسي بن علي الوزير وابي علي احمد بن مسكويه وابي زكريا يحي بن عدي التيمري وابي الحسن العامري وابي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم وانما علامة القوم ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس في جميع ما ذهب اليه وانفرد به سوي كلمات يسيرة ربما راوا فيها راي افلاطن والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادقّ عند الجماعة ونظره في الحقائق اغوص اخترت نقل طريقته من كتبه علي ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد في جوف الفرا

كلامه في المنطق قال ابو علي بن عبد الله بن سينا العلم اما تصوّر واما تصديق فالتصوّر هو العلم الاول وهو ان تدرك امراً سادجاً من غير ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصوّرنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك امراً وامكنك ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصديقنا بان للكل مبدأ وكل

Digitized by Google

واحد من القسمين منه ما هو اولي ومنه ما هو مكتسب فالتصوّر المكتسب انما يستحصل بالحدّ وما يجري مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحدّ والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه ما هو حقيقي ومنه ما هو دون الحقيقي ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ما هو باطل مشبّه بالحقيقي والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين هذه الاصناف الا ان تكون مويّدة من عند الله فلا بدّ اذاً للناظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضلّ في فكره وذلك هو الغرض في المنطق ثم ان كل واحد من الحدّ والقياس فمؤلّف من معاني معقولة بتاليف محدود فيكون لها مادة منها الّفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من احدي الجهتين وقد يعرض من جهتيهما معاً فالمنطق هو الذي يعرّف انه من اي الموادّ والصور يكون الحدّ الصحيح والقياس السديد الذي يوقع يقيناً ومن ايّها ما يوقع عقداً شبيهاً باليقين ومن ايّها ما يوقع ظناً غالباً و من ايّها ما يوقع مغالطة وجهلاً وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية بالفاظ مسموعة و الافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعاني التي في الذهن من حيث يتادّي بها الي غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعاني مسائل علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الي المعقولات علي مثل النحو بالنسبة الي الكلام والعروض الي الشعر فوجب علي المنطقي ان يتكلم في الالفاظ ايضاً من حيث تدلّ علي المعاني واللفظ يدلّ علي المعني من ثلثة اوجه احدها بالمطابقة والثاني بالتضمّن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الي مفرّد ومركّب فالمفرّد ما يدلّ

Digitized by Google

علي معني وجزو من اجزائه لا يدل علي جزو من اجزاء ذلك المعني بالذات اي حين هو جزو له والمركّب هو الذي يدلّ علي معني وله اجزاء منها يلتأم مسموعة ومن معانيها يلتأم معني الجملة والمفرد ينقسم الي كلي والي جزوي فالكلي هو الذي يدل علي كثيرين بمعني واحد متّفق ولا يمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزوي هو ما يمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلي ينقسم الي ذاتي وعرضي والذاتي هو الذي يقوم ماهية ما يقال عليه والعرضي هو الذي لا يقوم ماهيته سواء كان غير مفارق في الوجود والوهم وبين الوجود له ثم الذاتي ينقسم الي ما هو مقول في جواب ما هو وهو اللفظ المفرد الذي يتضمن جميع المعاني الذاتية التي يقوم الشي بها وفرق بين المقول في جواب ما هو وبين الداخل في جواب ما هو والي ما هو مقول في جواب اي شي هو وهو الذي يدلّ علي معني يتميز به اشياء مشتركة في معني واحد تميّزاً ذاتياً واما العرضي فقد يكون ملازماً في الوجود والوهم وبه يقع تميّز ايضاً لا ذاتياً وقد يكون مفارقاً وفرق بين العرضي والعرض الذي هو قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصّة والعرض العامّ فالجنس يرسم بانه المقول علي كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية في جواب ما هو والنوع يرسم بانه المقول علي كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعاً متوسطاً فهو المقول علي كثيرين مختلفين في جواب ما هو ويقال عليه قول اخر في جواب ما هو بالشركة وينتهي الارتقاء الي جنس لا جنس فوقه وان قدر فوق الجنس امر اعمّ منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الي نوع لا نوع تحته وان قدر دون

Digitized by Google

النوع صنف اخصّ فيكون المخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلي الذاتي الذي يقال به علي نوع تحت جنسه بانه اي شي هو ويرسم الخاصّة بانه هو الكلي الذاتي الدالّ علي نوع واحد في جواب اي شي هو لا بالذات ويرسم العرض العامّ بانه الكلي المفرد الغير الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض علي هذا و علي الذي هو قسيم الجوهر وقوع بمعنيين مختلفين في المركبات الشي اما عين موجودة واما صورة ماخوذة عنه في الذهن ولا يختلفان في النواحي والامم واما لفظة تدل علي الصورة التي في الذهن واما كتابة دالة علي اللفظ ويختلفان في الامم والكتابة دالة علي اللفظ واللفظ دال علي الصورة في الذهن وتلك الصورة دالة علي الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام اما اسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل علي معني من غير ان يدل علي زمان وجود ذلك المعني والكلمة لفظ مفرد يدلّ علي معني وعلي الزمان الذي فيه ذلك المعني لموضوع ما غير معيّن والاداة لفظ مفرد انما يدل علي معني يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم او كلمة واذا ركبت الالفاظ تركيبًا يودّي معني فحينئذ يسمي قولاً ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقي الي تركيب خاصّ وهو ان يكون بحيث يتطرق اليه التصديق او التكذيب فالقضية هي كل قول فيه نسبة بين شيئين بحيث يتبعه حكم صدق او كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس في كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن ان يدل علي كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هي منفصلة

Digitized by Google

والمتّصلة من الشرطية هي التي توجب او تسلب لزوم قضية لاخري من القضايا الشرطية و المنفصلة منها ما توجب او تسلب عناد قضية لاخري من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفي الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شي جزوي والمهملة قضية حملية موضوعها كلي ولكن لم يبيّن ان الحكم في كله او في بعضه ولا بد انه في البعض وشكّ انه في الكل فحكمه حكم الجزوي والمحصورة هي التي حكمها كلي والحكم عليه مبيّن بانه في كله او بعضه وقد تكون موجبة او سالبة والسور هو اللفظ الذي يدل علي مقدار الحصر ككل ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد في المعني والاضافة والقوة والفعل والجزو والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين في الايجاب والسلب تقابلاً يجب عنه لذاته ان يقتسما الصدق والكذب ويجب ان يراعي فيه الشرائط المذكورة القضية البسيطة هي التي موضوعها او محمولها اسم محصل والمعدولة هي التي موضوعها او محمولها غير محصل كقولنا زيد غير بصير العدمية هي التي محمولها اخسّ المتقابلين اي دلّ علي عدم شي من شانه ان يكون للشي او لنوعه او لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا هي حالة للمحمول بالقياس الي الموضوع يجب بها لا محالة ان يكون له دائماً في كل وقت في ايجاب او سلب او غير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلثة واجب ويدل علي دوام الوجود وممتنع ويدل

Digitized by Google

علي دوام العدم وممكن ويدل علي لا دوام وجود ولا عدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرّح بها يدل علي احد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرّح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن ان يكون حيواناً فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق علي معنيين احدهما ما ليس بممتنع وعلي هذا الشي اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن العامّي والثاني ما ليس بضروري في الحالين اعني الوجود والعدم وعلي هذا الشي اما واجب واما ممتنع واما ممكن وهو الممكن الخاصّي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتّفاقهما في معني الضرورية فان الواجب ضروري الوجود بحيث لو قدّر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري العدم بحيث لو قدّر وجوده لزم منه محال والممكن الخاصّي هو ما ليس ضروري الوجود والعدم والحمل الضروري علي اوجه ستة تشترك كلها في الدوام الاول ان يكون الحمل دائماً لم يزل ولا يزال والثاني ان يكون الحمل ما دام ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل ايجاب او سلب ضروري والثالث ان يكون الحمل ما دام ذات الموضوع موصوفة بالصفة التي جعلت موضوعة معها والرابع ان يكون الحمل موجوداً وليس ضرورة بلا هذا الشرط والخامس ان يكون الضرورة وقتاً ما معيّناً لا بدّ منه والسادس ان يكون الضرورة وقتاً ما غير معيّن ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طرداً وعكساً وقد لا تتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لا يوجد وليس يمكن بالمعني العامّ ان لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة واما مطلقة فالضرورية مثل

Digitized by Google

قولنا كل ب ا بالضرورة اي كل واحد واحد مما يوصف بانه ب دائماً او غير دائم فذلك الشي دائماً ما دامت عين ذاته موجودة يوصف بانه ا والممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب او سلب غير ضروري والمطلقة فيها رايان احدهما انها التي لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقاً والثاني ما يكون الحكم فيها موجوداً لا دائماً بل وقتاً ما وذلك الوقت اما ما دام الموضوع موصوفاً بما يوصف به او ما دام المحمول محكوماً به او في وقت معيّن ضروري او في وقت ضروري غير معيّن واما العكس فهو تصيير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والايجاب بحاله والصدق والكذب بحاله والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزوية لا تنعكس والموجبة الكلية تنعكس موجبة جزوية والموجبة الجزوية تنعكس مثل نفسها في القياس ومباديه واشكاله ونتايجه المقدمة قول يوجب شيئاً لشي او يسلب شيئاً عن شي جعلت جزو قياس والحدّ ما ينحلّ اليه المقدمة من جهة ما هي مقدمة والقياس هو قول مولّف من اقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول اخر غيرها اضطراراً واذا كان بيّناً لزومه يسمّي قياساً كاملاً واذا احتاج الي بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الي اقتراني والي استثناي والاقتراني ان يكون ما يلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولاً فيه بالفعل بوجه والاستثناي ان يكون ما يلزمه هو او نقيضه مقولاً فيه بالفعل والاقتراني انما يكون عن مقدمتين يشتركان في حدّ وتفترقان في حدّين فتكون الحدود ثلثة ومن شان المشترك فيه ان يزول عن الوسط ويربط ما بين الحدّين الاخرين فيكون ذلك هو اللازم ويسمّي نتيجة فالمكرّر يسمّي حدّاً

Digitized by Google

اوسط والباقيان طرفين والذي يريد ان يصير محمول للازم يسمّي الطرف الاكبر والذي يريد ان يكون موضوع اللازم يسمّي الطرف الاصغر والمقدمة التي فيها الطرف الاكبر يسمّي الكبري والتي فيها الطرف الاصغر يسمّي الصغري وتاليف الصغري والكبري يسمّي قرينة وهيئة الاقران تسمّي شكلاً والقرينة التي يلزم عنها لذاتها قول اخر يسمّي قياساً واللازم ما دام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمّي مطلوباً واذا لزم يسمّي نتيجة والحدّ الوسط ان كان محمولاً في مقدمة وموضوعاً في الاخري يسمّي ذلك الاقتران شكلاً اولاً وان كان محمولاً فيهما يسمّي شكلاً ثانياً وان كان موضوعاً فيهما يسمّي شكلاً ثالثاً ويشترك الاشكال كلها في انه لا قياس عن جزويين ويشترك ما خلا الكائنة عن الممكنات في انه لا قياس عن سالبتين ولا عن صغري سالبة كبراها جزوية والنتيجة تتبع اخسّ المقدمتين في الكم والكيف وشريطة الشكل الاول ان يكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثاني ان يكون الكبري فيه كلية واحدي المقدمتين مخالفة للاخري في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين او مطلقتين الاطلاق الذي لا ينعكس علي نفسه كليها وشريطة الشكل الثالث ان يكون الصغري موجبة لا بدّ من كلية في كل شكل وليرجع في المختلطات الي تصانيفه واما القياسات الشرطية وقضاياها اعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفي الاتّصال والانفصال فانه كما ان الدلالة علي وجود الحمل ايجاب في الحمل كذلك الدلالة علي وجود الاتّصال ايجاب في المتّصل والدلالة علي وجود الانفصال ايجاب في المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب ورفعه وكذلك يجري فيها الحصر والاهمال وقد

Digitized by Google

تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتّصلات ان يجعل مقدم احدهما تالي الاخر فيشتركان في التالي او يشتركان في المقدم وذلك علي قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية يحصل من اجتماع المقدم والتالي الذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون في جزو تامّ بل يكون في جزو غير تامّ وهو جزو تالٍ او مقدم والاستثنائية مولّفة من مقدمتين احداهما شرطية والاخري وضع او رفع لاحد جزويها ويجوز ان يكون حملية وشرطية ويسمّي المستثنَاة والمستثناة من قياس شرطية متّصل اما ان يكون من المقدم فيجب ان يكون عين المقدم لينتج عين التالي وان كان من التالي فيجب ان يكون نقيضه لينتج نقيض المقدّم واستثناء نقيض المقدم وعين التالي لا ينتج شيئًا واما اذا كانت الشرطية منفصلة فان كانت ذات جزوين فقط موجبتين فايهما استثنيت عينه انتج نقيض الباقي وايهما استثنيت نقيضه انتج عين الباقي واما القياسيات المركبة ما اذا حُللت الي افرادها كان ما ينتج كل واحد منها شيئًا اخر الا ان نقائج بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها تستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزويها وعكس جزويها ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقد ينتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة والدور ان تاخذ النتيجة وعكس احدي المقدمتين فينتج المقدمة الثانية وانما يمكن اذا كانت الحدود في المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو ان تاخذ مقابلة النتيجة بالضد او النقيض وتضيف الي احدي المقدمتين فينتج مقابلة النتيجة الاخري احتياًلا في الجدل وقياس الخلف هو الذي يبيّن فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون

Digitized by Google

بالحقيقة مركباً من قياس اقتراني وقياس استثنايي والمصادرة علي المطلوب الاول هو ان يجعل المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما يبيّن في قياسات وحيث ما كان ابعد كان من القبول اقرب والاستقراء هو حكم علي كلي لوجود ذلك الحكم في جزويات ذلك الكلي اما كلها واما اكثرها واما التمثيل هو الحكم علي شي معيّن لوجود ذلك الحكم في شي اخر معيّن او اشياء علي ان ذلك الحكم كلي علي المتشابه فيكون محكوماً عليه في المطلوب ومنقول منه الحكم وهو المثال ومعني متشابه فيه هو الجامع وحكم الراي مقدمة محمودة كلية في ان كذا كائن او غير كائن وصواب ام خطا الدليل قياس اضماري حدّه الاوسط شي اذا وجد للاصغر تبعه وجود شي اخر للاصغر دائماً كيف كان ذلك التبع والقياس الفراسي شبه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه في مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان المحسوسات هي امور اوقع التصديق بها الحسّ المجربات امور اوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس المقبولات اراء اوقع التصديق بها قول من يوثق بصدقه فيما يقول اما لامر سماوي يختص به او لراي وفكر قوي تميّز به الوهميات اراء اوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحسّ الذائعات اراء مشهورة محمودة اوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات اراء يقع التصديق بها لا علي الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها اميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدّق بها بل ليخيّل شيئاً علي انه شي اخر علي سبيل المحاكاة الاوليات هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب اوجب التصديق بها

البرهان قياس مولف من يقينيات لانتاج يقيني واليقينيات اما اوليات وماجمع منها واما تجربيات واما محسوسات وبرهان لم هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي الذهن جميعاً وبرهان انّ هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقاً هو تعرّف حال الشي في الوجود او العدم مطلقاً وهل مقيّداً وهو تعرّف وجود الشي علي حال ما او ليس ما يعرّف التصور وهو اما بحسب الاسم اي ما المراد باسم كذا وهذا يتقدم كل مطلب واما بحسب الذات اي ما الشي في وجوده وهو يعرّف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرّف العلة بجواب هل وهو اما علة التصديق فقط واما علة نفس الوجود واي فهو بالقوة داخل في الهل المركب المقيّد وانما يطلب التميّز اما بالصفات الذاتية واما بالخواص والامور التي يلتأم منها امر البراهين ثلثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب ان تكون صادقة يقينية ذاتية وينتهي الي مقدمات اولية مقولة علي الكل كلية وقد تكون ضرورية الا علي الامور المتغيّرة التي هي في الاكثر علي حكم ما فتكون اكثرية وتكون عللاً لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحمل الذاتي يقال علي وجهين احدهما ان يكون المحمول ماخوذاً في حدّ الموضوع والثاني ان يكون الموضوع ماخوذاً في حدّ المحمول · المقدمة الاولية علي وجهين احدهما ان التصديق بها حاصل في اول العقل والثاني من جهة ان الايجاب والسلب لا يقال علي ما هو اعمّ من الموضوع قولاً كلياً المناسب هو ان لا تكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هي التي توضع في العلوم فيبرهن

Digitized by Google

علي اعراضها الذاتية المسائل هي القضايا الخاصّة يعلم علم المشكوك فيها المطلوب برهاناً والبرهان يعطي اليقين الدائم وليس في شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان ايضاً علي الحدّ لانه لا بدّ حينئذ من حدّ وسط مساوٍ للطرفين لان الحدّ والمحدود متساويان وذلك الاوسط لا يخلوا اما ان يكون حدّاً اخر او رسماً وخاصة فاما الحدّ الاخر فان السوال في اكتسابه ثابت فان اكتسب بحدّ ثالث فالامر ذاهب الي غير نهاية وان اكتسب بالحدّ الاول فذلك دور وان اكتسب بوجه اخر غير البرهان فلم لا يكتسب به هذا الحدّ وعلي انه لا يجوز ان يكون لشي واحد حدّان تامّان علي ما يوضح بعد وان كانت الواسطة غير حدّ فكيف صار ما ليس بحدّ اعرف وجوداً للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحدّ وايضاً فان الحدّ لا يكتسب بالقسمة فان القسمة تضع اقساماً ولا تحمل من الاقسام شيئاً بعينه الا ان يوضع وضعاً من غير ان يكون للقسمة فيه مدخل واما استثناء نقيض قسم ليبقي القسم الداخل في الحدّ فهو ابانة الشي بما هو مثل له لو اخفي منه فانك اذا قلت لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذاً ناطق لم يكن احدث في الاستثناء شيئاً اعرف من النتيجة وايضاً فان الحدّ لا يكتسب من حدّ الضدّ فليس لكل محدود ضدّ ولا ايضاً حدّ احد الضدين اولي بذلك من حدّ الضد الاخر والاستقراء لا يفيد علماً كلياً فكيف يفيد الحدّ لكن الحدّ يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الي الاشخاص التي لا تنقسم وتنظر من اي جنس هي من العشرة فتاخذ جميع المحمولات المقومة لها التي في ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف ايها الاول وايها الثاني فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا

Digitized by Google

منها شيئًا مساوياً للمحدود من وجهين احدهما المساواة في الحمل والثاني المساواة في المعني وهو ان يكون دالاً علي كمال حقيقة ذاته لا يشذّ منه شي فان كثيراً مما تميّز بالذات يكون قد اخلّ ببعض الاجناس او ببعض الفصول فيكون مساوياً في الحمل ولا يكون مساوياً في المعني وبالعكس ولا يلتفت في الحدّ الي ان يكون وجيزاً بل ينبغي ان يضع الجنس القريب باسمه او بحدّه ثم ياتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحدّ عنوان الذات وبيان له فيجب ان يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينيئذ يعرض ان يتميّز ايضاً المحدود ولا حدّ بالحقيقة لما لا وجود له وانما ذلك قول يشرح الاسم فالحدّ اذاً قول دالّ علي الماهية والقسمة معينة في الحدّ خصوصاً اذا كانت بالذاتيات ولا يجوز تعريف الشي بما هو اخفي منه ولا بما هو مثله في الجلاء والخفاء ولا بما لا يعرف الشي الا به في الاجناس العشرة الجوهر هو كل ما وجود ذاته ليس في موضوع اي في محلّ قريب قد قام بنفسه دونه بالفعل ولا بتقويمه الكم هو الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزّي وهو اما ان يكون متّصلاً اذ يوجد لاجزايه بالقوة حدّ مشترك يتلاقي عنده ويتّحد به كالنقطة للخط واما ان يكون منفصلاً لا يوجد لاجزايه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتّصل قد يكون ذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذي يوجد لاجزايه اتّصال وثبات وامكان ان يشار الي كل واحد منها انه اين هو من الاخر فمن ذلك ما يقبل القسمة في جهة واحدة وهو الخطّ ومنه ما يقبل في جهتين متقاطعتين علي قوايم وهو السطح ومنه ما يقبل في ثلث جهات قائم بعضها علي بعض

Digitized by Google

وهو الجسم والمكان ايضاً ذو وضع لانه السطح الباطن من الحاوي واما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد اجزاوه معًا وان كان له اتّصال اذ ماضية ومستقبلة يتّحدان بطرف الآن واما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعني الذي وجوده بالقياس الي شي اخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الي البنوة لا كالاب فان له وجوداً يخصّه كالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارّة في جسم لا يوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الي خارج ولا نسبة واقعة في اجزايه ولا بالجملة اعتبارًا يكون به ذا جزو مثل البياض والسواد وهو اما ان يكون مختصًّا بالكم من جهة ما هو كم كالتربيع بالسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما ان لا يكون مختصًّا به وغير المختصّ به اما ان يكون محسوسًا ينفعل عنه الحواسّ ويوجد بانفعال الممتزجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب وحلاوة العسل يسمّي كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة فلا يسمّي كيفية بل انفعالات لسرعة استبدالها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه ما لا يكون محسوسًا فاما ان يكون استعدادات انما يتصوّر في النفس بالقياس الي كمالات فان كان استعداداً للمقاومة وابا الانفعال سمّي قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان كان استعداداً لسرعة الاذعان والانفعال سمّي لا قوة طبيعية مثل الممراضية واللين واما ان يكون في انفسها كمالات لا يتصوّر انها استعدادات لكمالات اخري وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتاً يسمّي ملكة مثل العلم والصحّة وما كان سريع الزوال سمّي حالاً مثل غضب الحليم ومرض المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان

Digitized by Google

المصحاح قد لا يكون صحيحاً والممراض قد يكون صحيحاً ومن جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر في مكانه الذي يكون فيه ككون زيد في السوق ومتي وهو كون الجوهر في الزمان الذي يكون فيه مثل كون هذا الامر امس والوضع وهو كون الجسم بحيث يكون لاجزايه بعضها الي بعض نسبة في الانحراف والموازاة والجهات واجزاء المكان ان كان في مكان مثل القيام والقعود وهو في المعني غير الوضع المذكور في باب الكم والملك ولست أُحصّله ويشبه ان يكون كون الجوهر في جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الي امر موجود منه في غيره غير قارّ الذات بل لا يزال يتجدّد وينصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الي حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطّع والتسخّن والعلل اربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجّار للكرسي ويقال علة للمادة ومايحتاج ان يكون حتي يقبل ماهية الشي مثل الخشب ويقال علة للصورة في كل شي فانه ما لم يقترن الصورة بالمادة لم يتكوّن ويقال علة للغاية والشي الذي نحوه ولاجله الشي مثل الكنّ للبيت وكل واحدة من هذه اما قريبة واما بعيدة واما بالقوة واما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصّة واما عامّة والعلل الاربع قد تقع حدوداً وسطي في البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية واما العلّة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدلّ علي ضرورتهما علّة بالفعل في تفسير الفاظ يحتاج اليها المنطقي الظنّ الحقّ هو راي في شي انه كذا ويمكن ان لا يكون كذا العلم اعتقاد بان الشي كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا بواسطة توجبه والشي كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصوّر الماهية بتحديد العقل

Digitized by Google

اعتقاد بان الشي كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا طبعاً بلا واسطة كاعتقاد المبادي الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصوّر الماهية بذاته بلا تحديدها كتصوّر المبادي الاول للحدّ والذهن قوة للنفس معدّة نحو اكتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الي اصابة الحدّ الاوسط اذا وضع المطلوب او اصابة الحدّ الاكبر اذا اصيب الوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الي مجهول والحسّ انما يدرك الجزويات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يؤدّيه الحسّ علي شخصيته اما الخيال فيحفظ الصورة واما الذكر فيحفظ المعني الماخوذ واذا تكرّر الحسّ كان ذكراً واذا تكرّر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الي المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها افعال ارادية بغير روية والحكمة خروج نفس الانسان الي كماله الممكن في جزوي العلم والعمل اما في جانب العلم فان يكون متصوّراً للموجودات كما هي ومصدّقاً للقضايا كما هي واما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذي يسمّي العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات مجرّدة والحسّ والخيال والذكر ينال الجزويات فالحسّ يعرض علي الخيال اموراً مختلطة والخيال علي العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعاني معونة في صواحبها في قسمي التصوّر والتصديق

في الالهيات يجب ان نحصر المسائل التي تختصّ بهذا العلم في عشر مسائل الاولي منها في موضوع هذا العلم وجملة ما ينظر فيه والتنبيه علي الوجود ان لكل علم موضوعاً ينظر فيه فيبحث عن احواله وموضوع العلم الالهي الوجود المطلق ولواحقه التي له لذاته ومبادية وينتهي في

Digitized by Google

التفصيل الي حيث يبتدي منه سائر العلوم وفيه بيان مباديها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو اقسام الوجود وهو الواحد والكثير ولواحقهما والعلة والمعلول والقديم والحادث والتامّ والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه ان يكون انقسام الوجود الي المقولات انقساماً بالفصول وانقسامه الي الوحدة والكثرة واخواتها انقساماً بالاعراض والوجود يشمل الكل شمولاً بالتشكيك لا بالتواطؤ ولهذا لم يصلح ان يكون جنساً فانه في بعضها اولي واول وفي بعضها لا اولي ولا اول وهو اشهر من ان يحدّ او يرسم ولا يمكن ان يشرح بغير الاسم لانه مبدأ اول لكل شي فلا شرح له بل صورته تقوم في النفس بلا توسّط شي وينقسم نوعاً من القسمة الي واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض علي القسمين عرضاً حملياً الواحد والكثير كان الواحد اولي بالواجب والكثير اولي بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتامّ والناقص والفعل والقوة والغني والفقر كان احسن الاسماء اولي بالواجب بذاته ولما لم يتطرّق اليه الكثرة بوجه فلم يتطرّق اليه التقسيم بل يتوجّه الي الممكن بذاته فانقسم الي جوهر وعرض وقد عرّفناهما برسميهما واما نسبة احدهما الي الاخر فهو ان الجوهر محلّ مستغنٍ في قوامه عن المحلّ فيه والعرض حال فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات لم يكن في موضوع ولا قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشي في المحلّ ويكون مع ذلك جوهراً لا في موضوع اذا كان المحلّ القريب الذي هو فيه متقوّماً به ليس متقوّماً بذاته

Digitized by Google

ثم مقوّماً له ونسمّيه صورة وهو الفرق بينها وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلوا اما ان لا يكون في محلّ اصلاً او يكون في محلّ لا يستغني في القوام عنه ذلك المحلّ فان كان في محلّ بهذه الصفة فانّا نسمّيه صورة مادّية وان لم يكن في محلّ اصلاً فاما ان يكون محلاً بنفسه لا تركيب فيه او لا يكون فان كان محلاً بنفسه فانا نسمّيه الهيولي المطلقة وان لم يكن فاما ان يكون مركّباً مثل اجسامنا المركبة من مادّة وصورة جسمية واما ان لا يكون وما ليس بمركّب فلا يخلوا اما ان يكون له تعلّق ما بالاجسام او لم يكن له تعلّق فما له تعلّق نسمّيه نفساً وما ليس له تعلّق فنسمّيه عقلاً واما اقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متعذّر المسئلة الثانية في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركّب منه وان المادّة الجسمانية لا تتعري عن الصورة وان الصورة متقدمة علي المادّة في مرتبة الوجود اعلم ان الجسم الموجود ليس جسماً بان فيه ابعاداً ثلثة بالفعل فانه ليس يجب ان يكون في كل جسم نقط او خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرّة لا قطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح ان يفرض فيه ابعاد ثلثة كل واحد منهما قائم علي الاخر ولا يمكن ان يكون فوق ثلثة فالذي يُفرض فيه اولاً هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحدّ المشترك هو العمق وهذا المعني منه صورة الجسمية واما الابعاد المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم وهي لواحق لا مقدمات ولا يجب ان يثبت شي منها له بل مع كل تشكيل يتجدّد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه وربّما اتّفق في بعض الاجسام ان تكون لازمة

Digitized by Google

له لا تفارق ملازمة اشكالها وكما ان الشكل لاحق فكذلك ما يتجدّد بالشكل وكما ان الشكل لا يدخل في تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين او داخلة فيها والابعاد المتجددة موضوعة لصناعة التعاليميين او داخلة فيها ثم الصورة الجسمية طبيعة وراء الاتّصال يلزمها الاتّصال وهي بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتّصال والانفصال امر وراء الاتّصال والانفصال فان القابل يبقي بطريان احدهما والاتّصال لا يبقي بعد طريان الانفصال وظاهر ان هاهنا جوهراً غير الصورة الجسمية هي الهيولي التي يعرض لها الانفصال والاتّصال معًا وهي تقارن الصورة الجسمية فهي التي تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسمًا واحدًا بما يقوّمها وذلك هو الهيولي والمادّة ولا يجوز ان تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين احدهما انّا لو قدّرناها مجرّدة لا وضع لها ولا حيّز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما ان يكون صادفتها دفعة اعني المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا علي تدرّج او تحرك اليها المقدار والاتّصال علي تدرّج فان حلّ فيها دفعة ففي اتّصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث انضاف اليها فيكون لا محالة صادفها وهو في الحيّز الذي هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيّزًا وقد فرض غير متحيّز البتة وهذا خلف ولا يجوز ان يكون التحيّز قد حصل له دفعة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه في حيّز مخصوص وان حلّ فيها المقدار والاتّصال علي انبساط وتدريج وكل ما من شانه ان ينبسط فله جهات وكل ما له جهات فهو ذو وضع وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعيّن ان المادّة لن تتعرّي عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل

والدليل الثاني انّا لو قدّرنا للمادّة وجوداً خاصّاً متقوّماً غير ذي كم ولا جزو باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ما هو متقوّم بانه لا جزو له ولا كم يعرض ان يبطل عنه ما يتقوّم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادّة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة اخري بها تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شي مشترك هو القابل للامرين من شانه ان يصير مرّة ليس في قوته ان ينقسم ومرّة في قوته ان ينقسم فليفرض الان هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صارا شيئًا واحداً بان خلعا صورة الاثنينية فلا يخلوا اما ان اتّحدا وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد وان اتّحدوا واحدهما معدوم والاخر موجود فالمعدوم كيف يتّحد بالموجود وان عدما جميعاً بالاتّحاد وحدث شي ثالث فهما غير متّحدين بل فاسدين وبينهما وبين الثالثة مادّة مشتركة وكلامنا في نفس المادّة لا في شي ذي مادّة فالمادّة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز ان يقال ان الصورة بنفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محلّه والصورة وان كانت لا تفارق الهيولي فليست تتقوم بالهيولي بل بالعلة المفيدة لها الهيولي وكيف يتصور تقوّم الصورة بالهيولي وقد اثبت انها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذي يتقوم به الشي وبين الذي لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوّم الصورة امر مباين لها مفيد وما يقوّم الهيولي امر ملاقٍ وهو الصورة فاول الموجودات في استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذي يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم الهيولي وهي وان كانت سبباً للجسم فانها ليست بسبب

Digitized by Google

يعطي الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محلّ لنيل الوجود والجسم وجودها وزيادة وجود الصورة فيه التي هي اكمل منها ثم العرض اولي بالوجود فان اولي الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب في الوجود ايضاً المسئلة الثالثة في اقسام العلل واحوالها وفي القوة والفعل واثبات الكيفيات في الكمية وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بيّنا في المنطق ان العلل اربع فتحقيق وجودها هاهنا ان نقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استمرّ له وجوده في نفسه ثم حصل منه وجود شي اخر ويقوم به ثم لا يخلوا ذلك اما ان يكون كالجزو لما هو معلول له وهذا علي وجهين اما ان يكون جزوًا ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودًا بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجوداً ولا يلزم من وجوده وحده ان يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما ان يكون جزواً يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتاليف للسرير وان لم يكن كالجزو لما هو معلول له فاما ان يكون مبايناً او ملاقياً لذات المعلول والملاقي فاما ان يُنعت به المعلول واما ان ينعت بالمعلول وهذان هما في حكم الصورة والهيولي وان كان مبايناً فاما ان يكون الذي منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل واما ان لا يكون منه الوجود بل لاجله الوجود وهو الغاية والغاية تتاخر في حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في الشيئية وفرق بين الشيئية والوجود في الاعيان فان المعني له وجود في الاعيان ووجود في النفس وامر مشترك وذلك المشترك هو الشيئية والغاية بما هو شي فانها تتقدم وهي علة العلل في انها علل وبما هي موجودة في الاعيان قد تتاخر واذا

Digitized by Google

لم تكن العلة هي بعينها الغاية كان الفاعل متاخراً في الشيئية عن الغاية ويشبه ان يكون الحاصل عند التمييز هو ان الفاعل الاول والمحرك الاول في كل شي هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هي الغاية بعينها استغني عن تحريك الغاية فكان نفس ما هو فاعل نفس ماهو محرّك من غير توسّط واما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان واما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل ابداً مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشي بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة لوجود الشي فقط وقد تكون علة لوجوده ولدوام وجوده فانه انما احتاج الي الفاعل لوجوده وفي حال وجوده لا لعدمه السابق وفي حال عدمه فيكون الموجِد انما يكون موجداً للموجود والموجود هو الذي يوصف بانه موجَد وكما انه في حال ما هو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال في كل حال فكل موجَد محتاج الي موجِد مقيم لوجوده لولاه لعدم واما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغيّر في اخر من حيث انه اخر وهو اما في المنفعل وهي القوة الانفعالية واما في الفاعل وهي القوة الفعلية وقوة المنفعل قد تكون محدودة نحو شي واحد كقوة الماء علي قبول الشكل دون قوة الحفظ وفي الشمع قوة عليهما جميعاً وفي الهيولي قوة الجميع ولكن بتوسط شي دون شي وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شي واحد كقوة النار علي الاحراق فقط وقد يكون علي اشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون في الشي قوة علي شي ولكن بتوسّط شي دون شي والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفعلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك في غيرها مما يستوي فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التي يقابلها الفعل فان

Digitized by Google

هذه تبقي موجودة عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيه اما الذي بالارادة والاختيار فظاهر واما الذي ليس بالاختيار فلا يخلوا اما ان يصدر عن ذاته بما هو ذاته او عن قوة في ذاته او عن شي مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب ان يشاركه سائر الاجسام واذ تميّز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلمعني في ذاته زائد علي الجسمية وان صدر عن شي مباين فلا يخلوا اما ان يكون جسماً او غير جسم فان كان جسماً فالفعل منه بقسر لا محالة وقد فرض بلا قسرٍ هذا خلف وان لم يكن جسماً فتاثر الجسم عن ذلك المفارق اما ان يكون بكونه جسماً او لقوة فيه ولا يجوز ان يكون بكونه جسماً فتعيّن انه يكون لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذي نسمّيه القوة الطبيعية وهي التي يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيّزات الي اماكنها والتشكيلات الطبيعية واذا خُلّيت وطباعها لم يجز ان يحدث منها زوايا مختلفة بل لا زاوية فيجب ان يكون كرّة واذا صحّ وجود الكرّة صحّ وجود الدائرة المسئلة الرابعة في المتقدم والمتاخر والقديم والحادث واثبات المادّة لكل متكوّن التقدّم قد يقال بالطبع وهو ان يوجد الشي وليس الاخر بموجود ولا يوجد الاخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال في الزمان كتقدّم الاب علي الابن ويقال في المرتبة وهو الاقرب الي المبدأ الذي عيّن كالمتقدم في الصف الاول ان يكون اقرب الي الامام ويقال في الكمال والشرف كتقدم العالم علي الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقاً لوجود قبل المعلول وهما بما هما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصيّة التقدم والتاخر ولا خاصيّة المعي ولكن بما هما متضايفان وعلة

Digitized by Google

ومعلول وان احدهما لم يستفد الوجود من الاخر والاخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدماً والمستفيد متاخراً بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صحّ فقد كانت العلة ارتفعت اولاً لعلة اخري حتي ارتفع المعلول واعلم ان الشي كما يكون محدثاً بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثاً بحسب الذات فان الشي اذا كان له في ذاته ان لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحقّ العدم لولا علّته والذي بالذات يجب وجوده قبل الذي من غير الذات فيكون لكل معلول في ذاته اولاً انه ليس ثم عن العلّة وثانياً انه ايس فيكون كل معلول محدثاً اي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلاً في جميع الزمان موجوداً مستفيداً لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لان وجوده من بعد لا وجوده بعديّة بالذات وليس حدوثه انما هو في آن من الزمان فقط بل هو محدَث في الدهر كله ولا يمكن ان يكون حادث بعد ما لم يكن في زمان الا وقد تقدّمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما ان يكون معني معدوماً او معني موجوداً ومحال ان يكون معدوماً فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذاً معني موجود وكل معني موجود فاما قائم لا في موضوع او قام في موضوع وكل ما هو قائم لا في موضوع فله وجود خاصّ لا يجب ان يكون به مضافاً وامكان الوجود انما هو ما هو بالاضافة الي ما هو امكان وجود له فهو اذاً معني في موضوع وعارض لموضوع ونحن نسمّيه قوة الوجود ويسمّي حامل قوة الوجود الذي فيه قوة وجود الشي موضوعاً وهيولي ومادة وغير ذلك فاذاً كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدّمه

Digitized by Google

الزمان المسئلة الخامسة في الكلي والواحد ولواحقهما قال المعني الكلي بما هو طبيعة ومعني كالانسان بما هو انسان شي وبما هو واحد او كثير خاصّ او عام شي بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو في الذهن او في الخارج واذا قد عرفت ذلك فقد يقال كلي للانسانية بلا شرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في الاشياء وهو المحمول علي كل واحد لا علي انه واحد بالذات ولا علي انه كثير وقد يقال كلي للانسانية بشرط انها مقولة علي كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجوداً بالفعل في الاشياء فبيّن ظاهر ان الانسان الذي اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص اخر حتي يكون ذلك بعينه في شخص زيد وعمرو فلا كلي عامّ في الوجود بل الكلي العام بالفعل انما هو في العقل وهو الصورة التي في العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهة التي قيل انه واحد ومنه ما لا ينقسم في الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه ما لا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الي النفس ومنه ما لا ينقسم في العدد ومنه ما لا ينقسم في الحد والواحد بالعدد اما ان يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحد بالتركيب والاجتماع واما ان لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتّصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد علي الاطلاق والكثير يكون علي الاطلاق وهو العدد الذي بازاء الواحد مما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذي يترتب بازايه القليل فاقلّ العدد اثنان واما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتّحاد في الكيفية والمساواة هو اتّحاد في الكمية والمجانسة اتّحاد في الجنس والمشاكلة اتّحاد في النوع

Digitized by Google

والموازاة اتحاد في وضع الاجزاء والمطابقة اتحاد في الاطراف والهو هو حال بين اثنين جعلا اثنين في الوضع يصير بها بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل المسئلة السادسة في تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة في ذاته بوجه وانه خير محض وحق محض وانه واحد من وجوه شتي ولا يجوز ان يكون اثنان واجبي الوجود وفي اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضروري الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه ثم ان واجب الوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذي وجوده لذاته لا لشي اخر والثاني هوالذي وجوده لشي اخر اي شي كان ولوضع ذلك الشي صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين اثنين ولا يجوز ان يكون شي واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معاً فانه ان رفع ذلك الغير لم يخل اما ان يبقي وجوب وجوده او لم يبق فان بقي فلا يكون واجباً بغيره وان لم يبق فلا يكون واجباً بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ما وهي اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشي فاعتبار الذات وحدها اما ان يكون مقتضياً لوجوب الوجود وقد ابطلناه واما ان يكون مقتضياً لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره واما ان يكون مقتضياً لامكان الوجود وهو الباقي وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده علي عدمه ولا يكون بين هذه الحالة والاولي فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لا

يجوز ان يكون لذاته مبادي تجتمع فيتقوّم منها واجب الوجود لا اجزاء كمية ولا اجزاء حد سوا كانت كالمادة والصورة او كانت علي وجه اخر بان تكون اجزاء القول الشارح لمعني اسمه يدل كل واحد منها علي شي هو في الوج و غير الاخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزوٍ منه ليس هو ذات الاخر ولا ذات المجتمع وقد وضح ان الاجزاء بالذات اقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة للاجزاء ثم للكل ولا يكون شي منها بواجب الوجود وليس يمكننا ان نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزء فهو اما متاخر واما معاً فقد اتّضح ان واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة في جسم ولا صورة في جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة في مادة معقولة ولا قسمة له لا في الكم ولا في المبادي ولا في القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه فلا جهة وجهة وايضاً فان قدّر بان يكون واجباً من جهة ممكناً من جهة كان امكانه متعلقاً بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقاً فينبغي ان يتفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتاخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شي ويتمّ به وجود كل شي والشرّ لا ذات له بل هو اما عدم جوهر او عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذي لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائماً بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيراً محضاً لان ذاته يحتمل العدم وواجب

Digitized by Google

الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شي خصوصية وجوده الذي يثبت له فلا احقّ اذاً من واجب الوجود وقد يقال حق ايضاً فيما يكون الاعتقاد لوجوده صادقاً فلا احق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد لوجوده صادقاً ومع صدقه دائماً ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز ان يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له بعينه اما ان يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضي ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذاً تامّ في وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادي المقومة له ولا باجزاء الحدّ وواحد من جهة ان لكل شي وحدة محضة وبها كمال حقيقته الذاتية وواحد من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذاً ان يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركاً فيه علي ان يكون جنساً او عارضاً ويقع الفصل بشي اخر اذ يلزم التركيب في ذات كل واحد منهما بل ولا تظنّ انه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين اللذين يحتاجان الي فصل وفصل حتي يتقررا في وجودهما لان تلك الطبائع معلولة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود وهاهنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التي لا يحتاج الي فصل في ان يكون حيواناً بل في ان يكون موجوداً ولا يظنّ ان واجبي الوجود لا يشتركان في شي ما كيف وهما مشتركان في وجوب الوجود ومشتركان في البراءة عن الموضوع فان

Digitized by Google

كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة اللفظ والاسم بل في معني واحد هي معاني ذلك الاسم وان كان بالتواطؤ فقد حصل معني عامّ عموم لازم او عموم جنس وقد بيّنّا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين علي سبيل اللوازم التي تعرض من خارج واللوازم معلولة واما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا ببرهان ان وهو الاستدلال بالممكن علي الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سوا كانت متناهية او غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلوا اما ان كانت واجبة بذاتها او ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوّم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود الي مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجاً عنها او داخلاً فيها فان كان داخلاً فيها ويكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتعيّن ان المفيد يجب ان يكون خارجا عنهاً وذلك هو المطلوب المسئلة السابعة في ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة في ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل يقال علي كل مجرّد من المادة واذا كان مجرّداً بذاته فهو عقل لذاته وواجب الوجود مجرّد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له ان هويته المجردة لذاته فهو معقول لذاته وبما يعتبر له ان ذاته له هوية مجرّدة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلاً ومعقولاً لا يوجب ان يكون اثنين في الذات ولا اثنين في الاعتبار فانه ليس تحصيل الامرين الا انه له ماهية مجرّدة وانه ماهية مجرّدة ذاته

Digitized by Google

له وهاهنا تقديم وتاخير في ترتيب المعاني في عقولنا والغرض المحصّل هو شي واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس الذات واذا عقلنا شيئاً فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخر لان ذلك يودّي الي التسلسل ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة برية عن الموادّ وانحا النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم ذلك بكنهه الا لواجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملايم وخير فهو محبوب معشوق وكلما كان الادراك اشدّ اكتناهاً والمدرك اجمل ذاتاً فحبّ القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان اشدّ واكثر فهو افضل مدرِك لافضل مدرَك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره او لم يعشق وانت تعلم ان ادراك العقل للمعقول اقوي من ادراك الحس للمحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقي ويتّحد به ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره ولا كذلك الحسّ واللذّة التي لذا بان نعقل فوق الذي بان نحسّ لكنه قد يعرض ان يكون القوة الدرّاكة لا تستلذّ بالملايم لعوارض كالممرور يستمرّ العسل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقوّمة بما يعقل او عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدأ كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدأ له وهو مبدأ للموجودات التامّة باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها اولاً وبتوسط ذلك اشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلاً لهذه المتغيّرات مع تغيّرها حتي يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية علي حدة ولا واحد من الصورتين يبقي مع الثانية فيكون واجب الوجود متغيّر الذات بل

Digitized by Google

واجب الوجود انما يعقل كل شي علي نحوٍ فعلي كلي ومع ذلك فلا يغرب عنه شي شخصي فلا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض واما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدأ كل موجود عقل اوائل الموجودات وما يتولّد عنها ولا شي من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبًا بسببه فتكون الاسباب بمصادماتها تتادّي الي ان يوجد عنها الامور الجزوية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما يتادّي اليه وما بينها من الازمنة وما لها من العودات فيكون مدركًا للامور الجزوية من حيث هي كلية اعني من حيث لها صفات وان تخصّصت بها شخصاً فبالاضافة الي زمان متشخّص او حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود في الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأ له وابداع وايجاد ولا يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التي تحدث فينا تصير سببًا للصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصور الصناعية دون آلاتٍ واسباب لكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضي لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التي له هي كون ذاته عاقلة للكل عقلاً هو مبدأ الكل لا ماخوذاً عن الكل ومبدأ بذاته لا متوقفاً علي غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه علمه و قدرته وارادته فالصفات منها ما هو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد اي مسلوب عنه القسمة بالكم او القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل و عاقل ومعقول

Digitized by Google

اي مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلائقها مع اعتبار اضافة ما وهو اول اي مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الي الكل وهو مريد اي واجب الوجود مع عقليته اي سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد اي هو بهذه الصفة بزيادة سلب اي لا يتحوا عرضاً لذاته فصفاته اما اضافية محضة واما سلبية محضة واما مولفة من اضافة وسلب وذلك لا يوجب تكثراً في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز ان يوجد عنه يجب ان يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لا يوجد اذا تخصص بالوجود احتاج الي مرجّح لجانب الوجود والمرجّح اذا كان علي الحال الذي كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شي فيه ولا مباين عنه يقتضي الترجيح في هذا الوقت دون وقت قبله او بعده وكان الامر علي ما كان لم يكن مرجّحاً اذ كان التعطّل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شي وذلك لا يخلوا اما ان يعرض في ذاته وذلك يوجب التغيّر وقد قدّمنا ان واجب الوجود لا يتغيّر ولا يتكثّر واما ان يعرض مبايناً عن ذاته والكلام في ذلك المباين كالكلام في سائر الافعال قال والعقل الصريح الذي لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهي كما كانت وكان لا يوجد عنها شي فيما قبل وهي الآن كذلك فالآن لا يوجد عنها شي فاذا صار الآن يوجد منها شي فقد حدث امر لا محالة من قصد او ارادة او طبع او قدرة او تمكّن او غرض ولان الممكن ان يوجد وان لا يوجد لا يخرج الي الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجح فلا بد من حادث موجب للترجيح في هذه الذات والا كانت نسبتها الي ذلك الممكن علي ما كان

Digitized by Google

قبل ولم تحدث لها نسبة اخري فيكون الامر بحاله ويكون الامكان امكاناً صرفاً بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث امر ولا بد من ان يحدث في ذاته او مباينًا وقد بيّنّا استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب النسبة الموقعة لوجود كل حادث في ذاته او مباين عن ذاته ولا نسبة اصلاً فليلزم ان لا يحدث شي اصلاً وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه سبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمان بل سبقاً ذاتياً من حيث انه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الي الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدَع مسبوق بالمبدِع فقط لا بالزمان المسئلة الثامنة في ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والاجرام العلوية وان المحرِّك القريب للسماويات نفس والمبدأ الابعد عقل وحال تكوّن الاستقصات عن العلل اذا صحّ ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوماً معاً فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسوال في لزومهما ثابت حتي يكونا من ذاته فيكون ذاته منقسماً بالمعني وقد منعناه وبيّنّا فساده فتبيّن ان اول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته وحدة لا في مادة وقد بيّنّا ان كل ذات لا في مادة فهو عقل وانت تعلم ان في الموجودات اجساماً وكل جسم ممكن الوجود في حيّز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لا سبيل الي ان يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحري ان يكون عنها المبدَعات الثانية والثالثة وغيرها بسبب اثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود

Digitized by Google

بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة لوجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة اضافية ليست في اول وجوده وداخلة في مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن ان يوجد منها الا وحدة ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط فما كان يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه بما يعقل الاول وجود عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهي النفس وبطبيعة امكان الوجود الخاصّية له المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الاعلي المندرجة في جملة ذات الفلك الاعلي بنوعه وهو الامر المشارك للقوة فيما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما يختص بذاته علي جهتيه الكرة الاولي بجزويها اعني المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة او مشاركتها كما ان امكان الوجود يخرج الي الفعل بالفعل الذي يحاذي صورة الفلك وكذلك الحال في عقل عقل وفلك فلك الي ان ينتهي الي العقل الفعّال الذي يدبّر انفسنا وليس يجب ان يذهب هذا المعني الي غير النهاية حتي يكون تحت كل مفارق مفارقاً فانه ان لزم كثرة عن العقول فنسبت الي المعاني التي فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتي يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فتلزم كثرته هذه المعلولات ولا هذه العقول متّفقة الانواع حتي يكون مقتضي معانيها متّفقاً ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذي في المعلول الاول فليس يجوز ان يكون مبدأها واحداً هو المعلول الاول ولا ايضاً يجوز ان يكون كل جرم متقدم منها علة للمتاخّر لان

Digitized by Google

الجرم بما هو جرم مركّب من مادة وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لها طبيعة عدمية والعدم ليس مبدأ للوجود فلا يجوز ان يكون جرم مبدأ لجرم ولا يجوز ان يكون مبدأها قوة نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهراً مفارقاً والا كان عقلاً وانفس الافلاك انما يصدر عنها افعالها في اجسام اخري بواسطة أجسامها في مشاركتها وقد بيّنّا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدأ لجسم ولا يكون متوسّطاً بين نفس ونفس ولو ان نفساً مبدأ لنفس بغير توسّط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكية كذلك فلا تفعل نفساً ولا تفعل جسماً فان النفس متقدّمة علي الجسم في المرتبة والكمال فتعيّن ان الافلاك مبادي غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك في مبدأ واحد وهو الذي نسمّيه المعلول الاول والعقل المجرّد ويختصّ كل فلك بمبدأ خاصّ فيه ويلزم دائماً عقل عن عقل حتي يتكوّن الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن ان تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثّر الاسباب فكل عقل هو اعلي في المرتبة فانه لمعني فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل اخر دونه وبما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته واما نفس الفلك فمن حيث ان يعقل ذاته الواجب بغيره ويستبقي الجرم بتوسّط النفس الفلكية فان كل صورة هي علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما ان الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السماوية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب

Digitized by Google

ان تكون مباديها متغيّرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سبباً لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلف فيها وجب ان يكون اختلاف صورها مما تعيّن فيه اختلاف في احوال الافلاك واتّفاق مادتها مما تعيّن فيه اتّفاق في احوال الافلاك فالافلاك لما اتّفقت في طبيعة اقتضي الحركة المستديرة كما تبيّن كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت في انواع الحركات كان مقتضاها تهيّؤ المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة بل اخرها الذي يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة الحركات السماوية شي فيه رسم صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان في ذلك العقل رسم الصور علي جهة الفعل ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السماوية فيكون اذا خصّص هذا الشي تاثير من التاثيرات السماوية بلا واسطة جسم عنصري او بواسطة تجعله علي استعداد خاصّ بعد العامّ الذي كان في جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت في تلك المادة وانت تعلم ان الواحد لا يخصّص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون امر يكون له الا ان يكون هناك مخصّصات مختلفة وهي معدّات المادة والمعدّ هو الذي يحدث عنه في المستعدّ امر ما يصير مناسبته لشي بعينه اولي من مناسبته لشي اخر ويكون هذا الاعداد مرجّحاً لوجود ما هو اولي منه من الاوائل الواهبة للصور ولو كانت المادة علي التهيّؤ الاول تشابهت نسبتها الي الضدّين فلا يجب ان يختص بصورة دون صورة قال والاشبه ان يقال ان المادة التي تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السماوية اما عن اربعة اجرام او عدة منحصرة في اربع او عن جرم واحد وله تكون نسب مختلفة انقساماً من الاسباب

منحصرة في اربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فميله الي الفوق وما هو الثقيل المطلق فميله الي الاسفل وما هو الخفيف والثقيل بالاضافة فبينهما واما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السماوية وسنذكر اقسامها وتوابعها واما وجود النفس الانسانية التي تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد فانها كثيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معاني متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متّفقة النوع والحقائق حتي يصدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم ان يكون فيه مادّة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقتضي كل معني شيًا غير ما يقتضيه الاخر في النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الاخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول الاول بتوسط علّة او علل اخري واسباب من المزجة والمواد وهي غاية ما ينتهي اليها الابداع ونبتدي القول في الحركات واسبابها ولوازمها اعلم ان الحركة لا تكون طبيعة للجسم والجسم علي حالته الطبيعية وكل حركة بالطبع فلحالة مفارقة للطبع غير طبيعته اذ لو كان شي من الحركات مقتضي طبيعة الشي لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعية اما في الكيف واما في الكم واما في المكان واما في الوضع واما مقولة اخري والعلة في تجدد حركة بعد حركة تجدّد الحال الغير الطبيعية وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية الي حال طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز ان يكون فيها

Digitized by Google

بعينها قصد الي تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعة ليست تفعل باختيار بل علي سبيل تسخير وان كانت الطبيعة تحرك علي الاستدارة فهي تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع غير طبيعي هربًا طبيعيًا عنه وكل هرب طبيعي عن شي فمحال ان يكون هو بعينه قصداً طبيعيًا اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شي الا وتقصده فليست اذاً طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيًا بالطبع وانما تحرك بتوسّط الميل الذي فيه ونقول ان الحركة معني متجدّد النسب وكل شطر منه مختصّ بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معني ثابت البتة وحده ولو كان فيجب ان يلحقه ضرب من تبدّل الاحوال والثابت من جهة ما هو ثابت لا يكون عنه الا ثابت فان الارادة العقلية الواحدة لا يوجب البتة حركة فانها مجردة عن جميع اصناف التغيّر والقوة العقلية حاضرة المعقول دائماً ولا يفرض فيها الانتقال من معقول الي معقول الا مشاركًا الي التخيّل والحسّ فلا بد للحركة من مبدأ قريب والحركة المستديرة مبدأها القريب نفس في الفلك يتجدّد تصوراتها وارادتها وهي كمال جسم الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلاً محضاً لا يتغيّر ولا ينتقل ولا يخالط ما بالقوة بل نسبتها الي الفلك نسبة النفس الحيوانية التي لنا الينا الا ان لها ان تعقل بوجه ما تعقلاً مشوباً بالمادة وبالجملة اوهامها او ما يشبه الاوهام صادقة وتخيّلاتها حقيقية كالعقل العلمي فينا والمحرّك الاول لها غير مادّية اصلًا وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوة التي للنفس متناهية لكنها بما يعقل الاول فيسيح عليه نوره دائماً صارت قوتها غير متناهية وكانت

الحركات المستديرة ايضاً غير متناهية والاجرام السماوية لما لم يبق في جواهرها امر ما بالقوة اعني في كمها وكيفها تركب صورتها في مادتها علي وجه ولا يقبل التحليل ولكن عرض لها في وضعها واينها ما بالقوة اذ ليس شي من اجزاء مدار الفلك او كوكب اولي بان يكون ملاقياً له او لجزوه من جزو اخر فمتي كان في جزو الفعل فهو في جزو اخر بالقوة والتشبه بالحيز الاقصي يوجب البقاء علي اكمل كمال ولم يكن هذا ممكناً للجرم السماوي بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدأها الشوق الي التشبّه بالحيّز الاقصي في البقاء علي الكمال ومبدأ الشوق هو ما يعقل منه فنفس الشوق الي التشبّه بالاول من حيث هو بالفعل تصدر عنه الحركة الفلكية صدور الشي عن التصوّر الموجب له وان كان غير مقصود في ذاته بالقصد الاول لان ذلك تصوّر لما بالفعل فيحدث عنه طلب لما بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصوّر تصوّرات جزوية علي سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك التصوّرات الحركات المنتقل بها في الاوضاع وهي كانها عبادة ملكية او فلكية وليس من شرط الحركة الارادية ان تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو امر يسهل منها تاثير تحرك له الاعضاء فتارة يتحرك علي النحو الذي به يوصل الي الغرض وتارة علي نحو اخر متشابه واذا بلغ الالتذاذ ينعقل المبدأ الاول وبما يدرك منه علي نحو عقلي او نفساني شغل ذلك عن كل شي ولكن ينبعث منه ما هو ادون منه مرتبة وهو الشوق الي الاشبه به بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة

Digitized by Google

عقلية غير متناهية وتميّز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت ان المحرّك الاول بجملة السماء واحد ولكل كرّة من كرات السماء محرك قريب يخصّه ومتشوّق معشوق يخصّه فاول المفارقات الخاصّة محرك الكرة الاولي وهي علي قول من تقدم بطلميوس كرة الثوابت وعلي قول بطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التي يلي الاولي ولكل واحد مبدأ خاصّ وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك في دوام الحركة وفي الاستدارة ولا يجوز ان يكون شي منها لاجل الكائنات السافلة لا قصد حركة لا قصد جهة حركة ولا تقدير سرعة وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك ان كل قصد فيجوز ان يكون انقص وجوداً من المقصود لان كل ما لاجله شي اخر فهو اتمّ وجوداً من الاخر ولا يجوز ان يستفاد الوجود الاكمل من الشي الاخسّ فلا يجوز ان يكون البتة الي معلول قصد صادق والا كان القصد معطياً ومفيداً لوجود ما هو اكمل وانما يقصد بالواجب شي يكون القصد مهيّياً له ومفيد وجوده شي اخر وكل قصد ليس عبثاً فانه يفيد كمالاً ما لقاصد لو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال ومحال ان يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلّة كمالاً لم يكن فالعالي اذاً لا يريد امراً لاجل السافل وانما يريد لما هو اعلي منه وهو التشبّه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الغرض تشبّهاً بجسم من الاجسام السماوية وان كان تشبّه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفاً له واسرع في كثير من المواضع ولا يجوز ان يكون الغرض شيئاً يوصل اليه بالحركة بل شيئاً مبايناً غير جواهر الافلاك من موادّها وانفسها وبقي ان يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبّه بجوهر عقلي مفارق يخصّه

Digitized by Google

ويختلف الحركات واحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنّا لا نعرف كيفيتها وكميتها وتكون العلة الاولي متشوّق الجميع بالاشتراك وهذا معني قول القدماء ان للكل محركاً واحداً معشوقاً ولكل كرة محرّكاً يخصّها ومعشوقاً يخصّها فيكون اذاً لكل فلك نفس محركة تعقل الخير ولها بسبب الجسم تخيّل اي تصور الجزويات وارادة لها ثم يلزمها حركات ما دونها لزوماً بالقصد الاول حتي ينتهي الي حركة الفلك الذي يلينا ومدبرها العقل الفعال ويلزم الحركات السماوية حركات العناصر علي مثال تناسب حركات الافلاك وتعدّ تلك الحركات موادّها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها علي قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبيّن لك اسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها في الطبيعيات المسئلة التاسعة في العناية الازلية وبيان دخول الشرّ في القضاء قال العناية هي كون الاول عالمًا لذاته بما عليه الوجود في نظام الخير وعلة لذاته بالخير والكمال بحسب الامكان وراضياً به علي النحو المذكور فيعقل نظام الخير علي الوجه الابلغ في الامكان فيفيض منه ما يعقله نظاماً وخيراً علي الوجه الابلغ الذي يعقله فيضاناً علي اتمّ تادّية الي النظام بحسب الامكان فهذا هو معني العناية والخير يدخل في القضاء الالهي دخولاً بالذات لا بالعرض والشرّ بالعكس منه وهو علي وجوه فيقال شرّ لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلق ويقال شرّ لمثل الالم والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزناء وبالجملة الشرّ بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضي طباع الشي من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشرّ بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقّه والشرّ بالذات ليس بامر حاصل الا ان يخبر عن لفظه ولو كان له

Digitized by Google

حصول ما لكان الشرّ العامّ وهذا الشرّ يقابله الوجود علي كماله الاقصي ان يكون بالفعل وليس فيه ما بالقوة اصلاً فلا يلحقه شرّ واما الشرّ بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما في طباعه امر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها لامر يعرض لها في نفسها واول وجودها هيئة من الهيات المانعة لاستعدادها الخاصّ للكمال الذي توجهت اليه فتجعله اردي مزاجاً واعصي جوهراً لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوّهت الخلقة وانتقضت البنية لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لم يقبل واما الامر الطاري من خارج فاحد شيئين اما مانع للكمل واما مضادّ ما حقّ الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال جبال شاهقة يمنع تاثير الشمس في الثمار علي الكمال ومثال الثاني حِسّ البرد للنبات المصيب لكماله وفي وقته حقي يفسد الاستعداد الخاصّ ويقال شرّ للافعال المذمومة ويقال شرّ لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزناء ومثال الثاني الحقد والحسد ويقال شر للالام والغموم ويقال شرّ لنقصان كل شي عن كماله والضابط لكله اما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا توهمت موجودة فاما ان تمنع ان يكون الا خيراً علي الاطلاق او شرّاً علي الاطلاق او خيراً من وجه وهذا القسم اما ان يتساوي فيه الخير والشرّ او الغالب فيه احدهما واما الخير المطلق الذي لا شر فيه فقد وجد في الطباع والخلقة واما الشرّ المطلق الذي لا خير فيه او الغالب فيه او المساوي فلا وجود له اصلاً فبقي ما الغالب في وجوده الخير وليس يخلوا عن شرّ فالاحري به ان يوجد فان لا كونه اعظم شرّاً من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود ليلا يفوت الخير الكلي لوجود الشرّ الجزوي وايضاً فلو امتنع وجود ذلك القدر من الشرّ

امتنع وجود اسبابه التي تودّي الي الشرّ بالعرض فكان فيه اعظم خللٍ في نظام الخير الكلي بل وان لم يلتفت الي ذلك وصيّرنا التفاتنا الي ما ينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة في احوالها وكان الوجود المُبرّأ من الشرّ من كل وجه قد حصل وبقي نمط من الوجود انما يكون علي سبيل ان لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشرّ مثل النار فان الكون انما يتمّ بان يكون فيه نار ولن يتصوّر حصولها الا علي وجه يحرق ويسخن ولم يكن بدّ من المصادمات الحادثة ان تصادف النار ثوب فقير ناسك فيحترق والامر الدائم الاكثري حصول الخير من النار فاما الدائم فلان انواعاً كثيرة لا يستحفظ علي الدوام الا بوجود النار واما الاكثر فان اكثر اشخاص الانواع في كنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شرّية اقلية فاريدت الخيرات الكائنة عن مثل هذه الاشياء ارادة اولية علي الوجه الذي يصلح ان يقال ان الله تعالي يريد الاشياء ويريد الشرّ ايضاً علي الوجه الذي بالعرض فالخير مقتضي بالذات والشرّ مقتضي بالعرض وكل بقدر فالحاصل ان الكل انما رتبت فيه القوي الفعالة والمنفعلة السماوية والارضية الطبيعية والنفسانية بحيث يودّي الي النظام الكلي مع استحالته ان تكون هي علي ما هي ولا يودّي الي شرور فيلزم من احوال العالم بعضها بالقياس الي بعض ان يحدث في نفس صورة اعتقاد ردي او كفر او شر اخر ويحدث في بدن صورة قبيحة مشوّهة لولم يكن كذلك لم يكن النظام الكلي يُثبَت فلم يعبأ ولم يلتفت الي اللوازم الفاسدة التي تعرض بالضرورة وقيل خلقت هولاء للجنة ولا ابالي وخلقت هاولاء للنار ولا ابالي وكل مسيّر لما خلق له

المسئلة العاشرة في المعاد واثباته

سعادات دائمة للنفوس واشارة الي النبوة وكيفية الوحي والالهام ولنقدم علي الخوض فيها اصولاً ثلثة الاصل الاول ان لكل قوة نفسانية لذّة وخيراً يخصّها واذي وشرًا يخصّها وحيث ما كان المدرك اشدّ ادراكاً وافضل ذاتاً والمدرك اكمل موجوداً واشرف ذاتاً وادوم ثباتاً فاللذّة ابلغ واوفر الاصل الثاني انه قد يكون الخروج الي الفعل في كمال ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصوّر كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم يفزع نحوه فيكون حال المدرك حال الاصمّ والاعمي المتيقنين برطوبة اللحن وملاحة الوجه من غير شعور وتصوّر وادراك الاصل الثالث ان الكمال والامر الملائم قد تيسّر للقوة الدرّاكة وهناك مانع او شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضدّه وتكون القوة المميّزة بضدّ ما هو كمالها فلا يحسّ به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الي واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذّة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاصّ بها ان يصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور علي الكل مبتدئًا من المبدأ او سالكًا الي الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعاً ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتي يستوفي نفسها هيئة الوجود كله فيصير عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كله مشاهداً لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق ومتّحداً به ومتنقشاً بمثاله ومنخرطاً في سلكه وصائراً من جوهره فهذا الكمال لا يقايس بسائر الكمالات وجوداً ودواماً ولذّةً وسعادة بل هذه اللذة اعلي من اللذات الحسّية واعلي من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة بينها في

Digitized by Google

الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتمّ له الا باصلاح الجزو العملي من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير تقدّم روية وذلك باستعمال التوسط بين الخلقين المتضادّين لا بان يفعل افعال المتوسط بل بان يحصل ملكة التوسّط فيحصل في القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفي القوة الناطقة هيئة الاستعلاء ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا للقوي الحيوانية فاذا قويت حدثت في النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شانها ان تجعلها قوي العلاقة مع البدن والانصراف اليه واما ملكة التوسّط فهي من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبري ثم للنفوس مراتب في اكتساب ما بين هاتين القوتين اعني العلمية والعملية والتقصير فيهما فلم ينبغي ان يحصل عند نفس الانسان من تصوّر المعقولات والتخلّق بالاخلاق الحسنة حتي تجاوز الحدّ الذي في مثله يقع في الشقاوة الابدية واي تصوّر وخلق يوجب له الشقاء المؤبّد واي تصوّر وخلق يوجب له الشقاء الموقت قال فليس يمكنني ان انصّ عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت وجهك بالمداد

قال واظنّ ذلك ان يتصوّر نفس الانسان المبادي المفارقة تصوّراً حقيقياً وتصدّق بها تصديقاً يقيناً لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الغائبة للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزوية التي لا تتناهي ويتقرّر عنده هيئة الكل و نسب اجزايه بعضها الي بعض والنظام الاخذ من المبدأ الاول الي اقصي الموجودات الواقعة في ترتيبه و يتصوّر العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل

Digitized by Google

اي وجود يخصّها واية وحدة تخصّها وانه كيف يعرف حتي لا يلحقها تكثّر وتغيّر بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصاراً ازداد للسعادة استعداداً وكانه ليس يتبرّأ الانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون اكدّ العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الي ما هناك يصدّه عن الالتفات الي ما خلفه جملة ثم ان النفوس والقوي السادجة التي لم تكتسب هذا الشوق ولا تصوّرت هذه التصوّرات فان كانت بقيت علي سادجيتها واستقرّت فيها هيأت صحيحة اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضدّ من ذلك او حصلت اوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رايًا مكتسبًا الي كمال حالها فصدّها عن ذلك عائق مضادّ فقد شقي الشقاء الابدي وهولاء اما مقصّرون في السعي لتحصيل الكمال الانساني واما معاندون متعصّبون لاراء فاسدة مضادة للاراء الحقيقية والجاحدون اسوء حالاً والنفوس البُلة ادني من الخلاص من فطانة تبرّا لكن النفوس اذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة علي مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معني جاذب الي الجهة التي فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة ولا عدم كمال فتشقي تلك الشقاوة بل جميع هياتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الي الاجسام ولا بدّ لها من تخيّل ولا بدّ للتخيّل من اجسام قال فلا بدّ لها من اجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيّلة فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من احوال القبر و البعث والخيرات الاخروية و تكون الانفس الردية ايضاً تشاهد العقاب المصّور لهم في الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسّية بل تزداد تاثيراً كما تشاهد في المنام وهذه هي السعادة والشقاوة

Digitized by Google

بالقياس الي الانفس الخسيسة واما الانفس المقدّسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتّصل بكمالها بالذات وتنغمس في اللذّة الحقيقية ولو كان بقي فيها اثر من ذلك اعتقادي او خلقي تاذّت به وتخلّفت عن درجة عليين الي ان ينفسخ قال والدرجة الاعلي فيما ذكرناه لمن له النبوة اذ في قواه النفسانية خصائص ثلث نذكرها في الطبيعيات فيها يسمع كلام الله ويري ملائكته المقرّبين وقد تحوّلت علي صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتي ترقّت في الصعود الي العقل الاول ونزلت في الانحطاط الي المادّة وهي الاخسّ كذلك ابتدأت من الاخسّ حتي بلغت النفس الناطقة وترقّت الي درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الي اجتماع ومشركة في ضروريات حاجاته مكفّياً في اخر من نوعه يكون ذلك الاخر ايضاً مكفّياً به ولا يتمّ تلك الشركة الا بمعاملة ومعاوضة يجريان بينهما يفزع كل واحد منهما صاحبه عن مهمّ لو تولاه بنفسه لازدحم علي الواحد كثير ولا بدّ في المعاملة من سنة وعدل ولا بدّ من سانٍ معدّل ولا بدّ من ان يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلا بدّ من ان يكون انساناً ولا يجوز ان يترك الناس وارآؤهم في ذلك فيختلفون ويري كل واحد منهم ما له عدلاً وما عليه جوراً وظلماً فالحاجة الي هذا الانسان في ان يبقي نوع الانسان اشدّ من الحاجة الي انبات الشعر علي الاشفار والحاجبين فلا يجوز ان تكون العناية الاولي تقتضي امثال تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي اثبتها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان يكون ما يعمله في نظام الامر الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز ان لا يوجد وما هو متعلّق بوجوده

Digitized by Google

مبني علي وجوده فلا بدّ اذاً من نبي هو انسان متميّز من بين سائر الناس بايات تدلّ علي انها من عند ربّه يدعوهم الي التوحيد ويمنعهم من الشرك ويسنّ لهم الشرائع والاحكام ويحثّهم علي مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغّبهم في الاخرة وثوابها ويضرب للسعادة والشقاوة امثالاً تسكن اليها نفوسهم واما الحق فلا يلوح لهم الا امراً مجملاً وهو ان ذلك شي لا عين راته ولا اذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكّر المعبود بالتكرير والمذكّرات اما حركات واما اعدام حركات يفضي الي حركات فالحركات كالصلوات وما في معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه وان لم يكن لهم هذه المذكرات تناسيوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن وينفعهم ايضاً ذلك في المعاد منفعة عظيمة فان السعادة في الاخرة بتنزيه النفس عن الاخلاق الردية والملكات الفاسدة فيتقرر لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن وتحصل لها ملكة التسلط عليه فلا ينفعل عنه ويستفيد به ملكة الالتفات الي جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد للتخلّص الي السعادة بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد انها فريضة من عند الله تعالي وكان مع اعتقاده ذلك يلزمه في كل فعل ان يتذكّر الله ويعرض عن غيره لكان جديراً ان يفوز من هذه الزكا بحظّ فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند الله وبارسال الله وواجب في الحكمة الالهية ارساله وان جميع ما سنّه فانما هو وجب من عند الله ان سنّه فانه متميّز عن سائر الناس بخصائص تالهه واجب الطاعة بايات ومعجزات دلّت علي صدقه وسياتي شرح ذلك في الطبيعيات لكنك تحدس مما سلف اذاً ان الله كيف رتّب

Digitized by Google

النظام في الموجودات وكيف سخّر الهيولي مطيعة للنفوس بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية اشدّ مناسبة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعّال كان تاثيرها في الهيولي اشدّ واغرب وقد تصفوا النفس صفاء شديداً لاستعداد للاتّصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم ما لا يصل اليه من هو في نوعه بالفكر والقياس فبالقوة الاولي يتصرّف في الاجرام بالتقليب والاحالة من حال الي حال وبالقوة الثانية يخبر عن غيب ويكلّمه ملك فيكون بالانبياء وحيًا وبالاولياء الهاماً ونحن نبتدي القول في الطبيعيات المنقولة عن ابي علي ابن سينا

في الطبيعيات قال ابو علي ابن سينا ان للعلم الطبيعي موضوعًا ينظر فيه وفي لواحقه كسائر العلوم وموضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة في التغيّر وبما هي موصوفة بانحاء الحركات والسكونات واما مبادي هذا العلم فمثل تركّب الاجسام عن المادة والصورة والقول في حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الي الثاني فقد ذكرناها في العلم الالهي والذي يختصّ من ذلك التركّب بالعلم الطبيعي هو ان تعلم ان الاجسام الطبيعية منها اجسام مركّبة من اجسام اما متشابهة الصورة كالسرير واما مختلفها كبدن الانسان ومنها اجسام مفرّدة والاجسام المركّبة لها اجزاء موجودة بالفعل متناهية وهي تلك الاجسام المفردة التي منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس لها في الحال جزو بالفعل وفي قوتها ان تتجزّي اجزاء غير متناهية كل واحد منها اصغر من الاخر والتجزّي اما بتفريق الاتّصال واما باختصاص العرض ببعض منه واما بالتوهّم واذا لم يكن احد هذه الثلثة فالجسم المفرّد لا جزو له بالفعل قال ومن اثبت

Digitized by Google

الجسم مركّبًا من اجزاء لا تتجزّي بالفعل فبطلانه بان كل جزوٍ مسّ جزواً فقد شغله بالمسّ وكل ما شغل شيئًا بالمسّ فاما ان يدع فراغاً عن شغله بجهة او لا يدع فان ترك فراغاً فقد تجزّي الممسوس وان لم يترك فراغاً فلا يتاتي ان يماسّه اخر غير مماسّ الاول وقد ماسّه اخر هذا خلف وكذلك في جزؤ موضوع علي جزؤ متّصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظلّ والشمس دلائل علي ان الجزو الذي لا يتجزّي محال وجوده فنتكلّم بعد هذه المقدمة في مسائل هذا العلم ونحصرها في مقالات المقالة الاولي في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلاء والتناهي والجهات والتماسّ والالتحام والاتّصال والتتالي اما الحركة فيقال علي تبدّل حال قارّة في الجسم يسيرًا يسيرًا علي سبيل اتّجاه نحو شي والوصول اليه هو بالقوة وبالفعل فيجب من هذا ان تكون الحركة مفارقة الحال ويجب ان يقبل الحال التنقّص والتزيّد ويكون باقيًا غير متشابه الحال في نفسه وذلك مثل البياض والسواد والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبرالحجم وصغره فالجسم اذا كان في مكان فتحرّك فقد حصل فيه كمال وفعل اول به يتوصّل الي كمال وفعل ثاني هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال اول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ولا يكون وجودها الا في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التي تحصل بالفعل حصولًا قارًّا مستكملًا وقد ظهر انها في كل امر تقبل التنقّص والتزيّد وليس شي من الجواهر كذلك فاذًا لا شي من الحركات في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو امر يكون دفعة واما

Digitized by Google

الكمية فلانها تقبل التزيّد والتنقّص فمخليق ان يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف واما الكيفية فما يقبل منها التنقّص والتزيّد والاشتداد كالتبيّض والتسوّد فيوجد فيه الحركة واما المضاف فابداً عارض لمقولة من البواقي في قبول التنقّص والتزيّد فاذا اضيف اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة واما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متي فان وجوده للجسم بتوسّط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتي متي واما الوضع فان فيه حركة علي راينا خاصّة كحركة الجسم المستدير علي نفسه اذ لو توهّم المكان المطيف به معدوماً لما امتنع كونه متحرّكاً ولو قدّر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصي الذي ليس وراه جسم والوضع يقبل التنقّص والاشتداد فيقال انصب وانكس واما الملك فان تبدّل الحال فيه تبدل اولاً في الاين فاذاً الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة او العزيمة او الالة فكانت الحركة في قوة الفاعل او عزيمته او آلته اولاً وفي الفعل بالعرض علي ان الحركة ان كانت خروجاً عن هيئة فهي عن هيئة قارّة وليس شي من الافعال كذلك فاذاً لا حركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشي بحيث لا يجوز ان يكون علي ما هو عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة فيما من شانه ان توجد فيه وهذا العدم له معني ما ويمكن ان يرسم وفرق بين عدم القرنين في الانسان وهو السلب المطلق عقداً وقولاً وبين عدم المشي له فهو حالة مقابلة للمشي عند ارتفاع علة المشي وله وجود ما بنحو من الانحا وله علة بنحو والمشي علة بالعرض لذلك العدم فالعدم معلول بالعرض فموجود

Digitized by Google

بالعرض ثم اعلم ان كل حركة توجد في الجسم فانما توجد لعلة محرّكة اذ لو تحرّك بذاته وبما هو جسم لكان كل جسم متحرّكاً فيجب ان يكون المحرّك معني زائداً علي هيولي الجسمية وصورتها ولا يخلوا اما ان يكون ذلك المعني في الجسم واما ان لا يكون فان كان المحرّك مفارقًا فلا بد لتحريكه من معني في الجسم قابل لجهة التحريك والتغيّر ثم المتحرّك لمعني في ذاته يسمّي متحرّكاً لذاته وذلك اما ان تكون العلة الموجودة فيه يصحّ عنه ان يحرك تارة ولا تحرّك اخري فيسمّي متحرّكاً بالاختيار واما ان لا يصحّ فيسمي متحرّكاً بالطبع والمتحرّك بالطبع لا يجوز ان يتحرّك وهو علي حالته الطبيعية لان كل ما اقتضاه طبيعة الشي لذاته ليس يمكن ان يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعيّن في الجسم فانما يمكن ان يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعة انما تقتضي الحركة للعود الي حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع ان يتحرّك فيكون مقدار الحركة علي مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي ان تكون مستقيمة ان كانت في المكان لانها لا تكون الا لميل طبيعي وكل ميل طبيعي فعلي اقرب المسافة وكل ما هو علي اقرب المسافة فهو علي خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فان كل حركة طبيعية فانها تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز ان يكون فيه قصد طبيعي بالعود الي ما فارقه بالهرب اذ لا اختيار لها وقد تحقّق العود فهي اذاً غير طبيعية فهي اذاً عن اختيار او ارادة ولو كانت عن قسر فلا بدّ ان ترجع الي الطبع او الاختيار واما الحركات في انفسها فيتطرّق اليها الشدّة والضعف فيتطرّق اليها السرعة والبطو لا بتخلل سكنات وهي قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت في مقولة واحدة او في

Digitized by Google

جنس واحد من الاجناس التي تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الي جهة واحدة في نوع واحد وفي زمان مساوٍ مثل تبيّض بالتبيض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرّك واحد بالشخص في زمان واحد ووحدتها بوجود الاتّصال فيها والحركات المتّفقة في النوع لا تتضادّ واما تطابق الحركات فيعني بها التي لا يجوز ان يقال لبعضها اسرع من بعض او ابطأ او مساوٍ والاسرع هو الذي يقطع شيئًا مساويًا لما يقطعه الاخر في زمان اقصر وضدّه الابطا والمساوي معلوم وقد يكون التطابق بالقوة وقد يكون بالفعل وقد يكون بالتخيّل واما تضادّ الحركات فان الضدّين هما اللذان موضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل ان يجتمعا فيه وبينهما غاية الخلاف فتضادّ الحركات ليس لتضادّ المتحرّكين ولا بالزمان ولا لتضادّ ما يتحرك فيه بل تضادّهما هو بتضادّ الاطراف والجهات فعلي هذا لا تضادّ بين الحركة المستقيمة والحركة المستديرة المكانية لانهما لا يتضادان في الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه متّصل واحد فالتضادّ في الحركة المكانية المستقيمة يتصوّر فالهابطة ضدّ الصاعدة والمتيامنة ضدّ المتياسرة واما التقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بيّنّا ان ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شانه ان يتحرك ويختصّ ذلك بالمكان الذي يتاتي فيه الحركة والسكون في المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا السكون استكمالاً لها واذا عرفت ما ذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان نقول كل حركة تفرض في مسافة علي مقدار من السرعة واخري معها علي مقدارها وابتدأتا معاً

Digitized by Google

فانهما يقطعان المساقة معاً وان ابتدأ احدهما ولم يبتدي الاخر ولكن تركا الحركة معاً فان احدهما يقطع دون ما يقطع الاول وان ابتدأ معه بطيٌ واتّفقا في الاخذ والترك وجد البطيُ قد قطع اقلّ والسريع اكثر وكان بين اخذ السريع الاول وتركه امكان قطع مسافة معيّنة بسرعة معيّنة واقلّ منها ببطوٍ معيّن وبين اخذ السريع الثاني وتركه امكان اقلّ من ذلك بتلك السرعة المعيّنة يكون هذا الامكان طابق جزواً من الاول ولم يطابق جزواً متقضياً وكان من شان هذا الامكان التقضّي لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتّفقات في السرعة اي وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان امكان اقلّ من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعيّنان وكان ذا مقدار مطابق للحركة فاذاً هاهنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ما طابق للحركات فهو متّصل ويقتضي الاتّصال متجدّده وهو الذي نسمّيه الزمان ثم هو لا بد و ان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدّرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصوّر الا في موضوع فليس الزمان محدثاً حدوثاً زمانياً بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه وانما حدوثه حدوث ابداع لا يسبقه الا مبدِعه وكذلك ما يتعلّق به الزمان ويطابقه فالزمان متّصل يتهيأ ان ينقسم بالتوهّم فاذا قسم ثبت منه آنات وانقسم الي الماضي والمستقبل وكونهما فيه ككون اقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان واقسام الزمان ما فُصّل منه بالتوهّم كالساعات والايام والشهور والاعوام واما المكان فيقال مكان لشي يكون

Digitized by Google

محيطاً بالجسم ويقال لشي يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاوٍ للمتمكّن مفارق له عند الحركة ومساوٍ له وليس في المتمكّن وكل هيولي وصورة فهو في المتمكّن فليس المكان اذاً بهيولي وصورة ولا الابعاد التي يدعي انها مجرّدة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكّن لا مع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع جواز خلوها كما يظنّه مثبتوا الخلاء و نقول في نفي الخلاء ان فرض خلا خالي فليس هو لاشيئاً محضاً بل هو ذات ما له كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء اخر اقلّ منه او اكثر ويقبل التجزّي في ذاته والمعدوم واللاشي ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لاشي فهو ذو كم وكل كم فاما متّصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحدّ المشترك بين اجزائه وقد تقدّر في الخلاء حدّ مشترك فهو اذاً متّصل الاجزاء منحازها في جهات فهو اذاً كم ذو وضع قابل للابعاد الثلثة كالجسم الذي يطابقه وكانه جسم تعليمي مفارق للمادة فنقول الخلاء المقدّر اما ان يكون موضوعاً لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزوين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار في التوهّم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقي متقدّراً بنفسه فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حلّه وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذاً جسم فهو ملاء وايضاً فان الخلاء يقبل الاتّصال والانفصال وكل شي يقبل الاتّصال والانفصال فهو ذو مادّة ونقول ان التمانع في محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة لان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الاخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد فطباع الابعاد ياتي التداخل ويوجب المقاومة او التنحّي وايضاً فان بعداً لو دخل بعداً فاما ان

Digitized by Google

يكونا جميعاً موجودين او معدومين او احدهما موجوداً والاخر معدوماً فان وجدا جميعاً فهما ازيد من الواحد وكل ما هو عظيم وهو ازيد فهو اعظم وان عدما جميعاً او وجد احدهما وعدم الاخر فليس مداخلة فاذا قيل جسم في خلاء فيكون بعداً في بعد وذلك محال ويقول في نفي النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذا وضع وترتيب فهو متناهٍ اذ لو كان غير متناهٍ فاما ان يكون غير متناهٍ من الاطراف كلها او غير متناهٍ من طرف فان كان غير متناهٍ من طرف امكن ان يفصل منه من الطرف المتناهي جزو بالتوهّم فيوجد ذلك المقدار مع ذلك الجزو شيئًا علي حدة وبانفراده شيئًا علي حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين في التوهّم فلا يخلوا اما ان يكونا بحيث يمتدّان معاً متطابقين في الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال واما ان لا يمتدّ بل يقصر عنه فيكون متناهياً والفصل ايضاً كان متناهياً فيكون المجموع متناهياً فالاصل متناهٍ واما اذا كان غير متناهٍ من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض ذا مقطع يتلاقي عليه الاجزاء ويكون طرفاً ونهاية ويكون الكلام في الاجزاء والجزوين كالكلام في الاول وبهذا يتاتي البرهان علي ان العدد المترتب لذات الموجود بالفعل متناهٍ وان ما لا يتناهي بهذا الوجه هو الذي اذا وجد وفرض انه يحتمل زيادة ونقصاناً وجب ان يلزم ذلك محال واما اذا كانت اجزاء لا تتناهي وليست معاً وكانت في الماضي والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحداً قبل اخر او بعده لا معاً او كانت ذات عدد غير مرتب في الوضع ولا الطبع فلا مانع عن وجوده معاً وذلك ان ما لا ترتيب له في الوضع او الطبع فلن يحتمل الانطباق وما لا وجود له معاً ففيه ابعد ويقول في اثبات القوي الجسمانية

Digitized by Google

ونفي التناهي عن القوي الغير الجسمانية قال الاشياء التي يمتنع فيها وجود الغير المتناهي بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهي اي بالقوة وكذلك الحركات لا تتناهي بالقوة لا القوة التي تخرج الي الفعل بل بمعني ان الاعداد يتاتي ان تتزايد فلا يقف عند نهاية اخيرة واعلم ان القوي تختلف في الزيادة والنقصان بالاضافة الي شدّة ظهور الفعل عنها او الي عدّة ما يظهر عنها او الي مدّة بقاء الفعل وبينها فرقان بعيد فان كل ما يكون زائداً بنوع الشدّة يكون ناقصاً بنوع المدّة وكل قوة حركتها اشدّ فمدة حركتها اقصر وعدّة حركتها اكثر ولا يجوز ان يكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدّة لان ما يظهر من الاحوال القابلة لها لا يخلوا اما ان يقبل الزيادة علي ما ظهر فيكون متناهية عليه زيادة في ماخذه واما ان لا يقبل فهو النهاية في الشدة فتلك قوة جسمانية متحيّزة ومتناهية واما الكلام في الجهات فمن المعلوم انّا لو فرضنا خلاء فقط او ابعاداً او جسماً غير متناهٍ فلا يمكن ان يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وسفل ويمين ويسار وقدام وخلف فالجهات انما تتصوّر في اجسام متناهية فتكون الجهات ايضاً متناهية ولذلك يتحقق اليها اشارة ولذاتها اختصاص وانفراد عن جهة اخري واذا كانت الاجسام كرّية فيكون تحدّد الجهات علي سبيل المحيط والمحاط والتضادّ فيها علي سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدّد محيطاً كفي لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فثبت غاية البعد منه وغاية القرب منه من غير حاجة الي جسم اخر واما ان فرض محاطاً لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد بجسم اخر لا خلاء وذلك لا ينتهي لا محالة الي محيط ويجب ان

Digitized by Google

يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا يتاخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب ان يكون الجسم الذي يتحدد الجهات اليه جسماً متقدّماً عليها ويكون احدي الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق ويقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وسائر الجهات لا تكون واجبة في الاجسام بما هي اجسام بل بما هي حيوانات فيتميّز فيها جهة القدام الذي اليه الحركة الاختيارية واليمين الذي منه مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذي اليه اول حركة النشو ومقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق و السفل محدودان بطرف البعد الذي الاولي ان يسمّي طولاً واليمين واليسار بما الاولي ان يسمّي عرضاً والقدام والخلف بما الاولي ان يسمّي عمقاً

المقالة الثانية في الامور الطبيعية للاجسام وغير الطبيعية

ومن المعلوم ان الاجسام تنقسم الي بسيطة ومركّبة وان لكل جسم حيزاً ما ضرورة فلا يخلوا اما ان يكون كل حيز له طبيعياً او منافياً لطبيعته او لا طبيعياً ولا منافياً او بعضه طبيعياً وبعضه منافياً ويبطل ان يكون كل حيز له طبيعياً لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان له خارجاً عن طبعه او التوجّه الي كل مكان له ملائماً لطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف وبطل ان يكون كل حيّز منافياً لطبعه لانه يلزم منه ان لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرّك ايضاً وكيف يسكن او يتحرّك بالطبع وكل مكان منافي لطبعه وبطل ان يكون كل مكان لا طبيعياً ولا منافياً لانا اذا اعتبرنا الجسم علي حالته وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لا بدّ له من حيّز يختصّ به ويتحيّز اليه وذلك هو حيّزه الطبيعي فلا يزول عنه الا بقسر قاسر وتعيّن القسم الرابع ان بعض الاحياز له

Digitized by Google

طبيعي وبعضه غير طبيعي وكذلك يقول في الشكل ان لكل جسم شكلًا ما بالضرورة لتناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت القواسر في التوهّم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان في نفسه متشابه الاجزاء فلا بدّ ان يكون شكله كرّيًا لان فعل الطبيعة في المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل في جزو زاوية وفي جزو خطًا مستقيمًا او منحنيًا فينبغي ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرّيًا واما المركّبات فقد يكون اشكالها غير كرّية لاختلاف اجزائها فالاجسام السماوية كلها كرّية واذا تشابهت اجزاوها وقواها كان حيزها الطبيعي وجهتها واحدة فلا يتصوّر ارضان في وسطين في عالمين ولا ناران في افقين بل لا يتصوّر عالمان لانه قد ثبت ان العالم باسره كرّي الشكل فلو قدرنا كرّيّان احدهما بجنب الاخر كان بينهما خلاء ولا يتّصلان الا بجزو واحد لا ينقسم وقد تقدّم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض بل من حيث هو جسم في حيز فهو اما ان يكون متحرّكًا واما ان يكون ساكنًا وذلك ما نعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطًا كانت اجزاوه متشابهة واجزاء ما يلاقيه واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولي بان يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيٌ منها له طبيعيًا فلا يمتنع ان يكون علي غير ذلك الوضع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع او الاين بالقوة وكل جسم لا ميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة في طباعه حركة ما اما لكله واما لاجزائه حتي يكون متحرّكًا في الوضع بحركة الاجزاء واذا صحّ ان كل قابل تحريك ففيه مبدأ ميل ثم لا يخلوا اما

Digitized by Google

ان يكون علي الاستقامة او علي الاستدارة والاجسام السماوية لا تقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهي متحركة علي الاستدارة وقد بيّنّا استناد حركاتها الي مباديها واما الكيف فيقول اولًا ان الاجسام السماوية ليست موادّها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادّة الواحدة منها لا يصلح ان يتصوّر بصورة الاخري ولو امكن ذلك كذلك لقبلت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر. فان مادّتها مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الي حارّ يابس كالنار والي حارٍ رطب كالهواء والي بارد رطب كالماء والي بارد يابس كالارض وهذه اعراض فيها لا صور ويقبل الاستحالة بعضها الي بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الاثار من الاجسام السماوية اما الكيفيات فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحارّ هو الذي يغيّر جسمًا اخر بالتحليل والخلخلة بحيث يولم الحاسّ منه والبارد هو الذي يغيّر جسمًا بالتعقيد والتكثير بحيث يولم الحاسّ منه واما الرطوبة واليبوسة منفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتتمايز بهذه القوي الاربع ولا يوجد شيٌ منها عديمًا لواحدة من هذه وليست هذه صورًا مقوّمة للاجسام لكنها اذا تركت وطباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهر منها في اجرامها حرّ او برد او رطوبة او يبس كما انها اذا تركت بطباعها ولم يمنعها مانع ظهر منها اما سكون او ميل او حركة فلذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارّة بالطبع والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق

Digitized by Google

الطبيعية عليها باي وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير وبينها مادّة مشتركة والاعتبار في ذلك بالمشاهدة فانّا نري الماء العذب انعقد حجراً جلمداً والحجر يكلس فيعود رماداً وتدام الحيلة حتي تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحواً يغلظ دفعة فيستحيل اكثره او كله ماء وبرداً وثلجاً وتضع الجمد في كوز صفر وتجد من الماء المجتمع علي سطحه كالقطر ولا يمكن ان يكون ذلك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسّه الجمد وكان فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارًّا والكوز مملوّا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسّه الجمد وقد يدفن القدح في جمد محفور حفراً مهندماً ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع في الماء الحارّ الذي يغلي مدّة واستدّ رأسه لم يجتمع شي وليس ذلك الا لان الهواء الخارج او الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادّة مشتركة وقد يستحيل الهواء ناراً وهو ما نشاهد من آلات حاقنة مع تحريك شديد علي صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل في الخشب وغيره وليس ذلك علي طريق الانجذاب لان النار لا تتحرك الا علي الاستقامة الي العلو ولا علي طريق الكمون اذ من المستحيل ان يكون في ذلك الخشب من النار الكامنة ما له ذلك القدر الذي في الجمرة ولا يحرق والكمون اجمع لها والمنتشر اضعف تاثيراً من المشتعل فتعيّن انه هواء اشتعل ناراً فبين النار والهواء مادّة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر فلها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض في الهيولي والكبر والصغر اعراض في الكميات وقد نشاهد ذلك اذا اغلي الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ في الدنّ حتي

Digitized by Google

يتصعد عند الغليان وكذلك القمقمة الصيّاحة وهي اذا كانت مسدودة الراس مملوة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصدّعت ولا سبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولا جايز ان يقال ان النار طلبت جهة الفوق بطبعها فانه كان ينبغي ان ترفع الاناء ويطيّرة لا ان يكسرة واذا كان الاناء صلبًا خفيفاً كان رفعه اسهل من كسرة فتعيّن ان السبب انبساط الماء في جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الي الجوانب فينفتق الموضع الذي كان اضعف وله امثلة اخري تدلّ علي ان المقدار يزيد وينقص ويقول ان العناصر قابلة للتاثيرات السماوية اما اثارًا محسوسة مثل نضج الفواكه ومدّ البحار واظهرها الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الي فوق بتوسّط الحرارة والشمس ليست بحارّة ولا متحركة الي فوق وانما تاثيراتها معدّات للمادة في قبول الصورة من واهب الصورة وقد يكون للقوي الفلكية تاثيرات خارجة من العنصريات والا فكيف يبرد الافيون اقوي مما يبرد الماء والجزو البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس في عيون العشي والنبات بادني تسخين ما لا يفعله النار بتسخين يكون فوقه فتبيّن ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغيّر والتاثير وتبيّن ما لها بالعنصر والجوهر المقالة الثالثة في المركّبات والاثار العلوية قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لا توجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط ويشبه ان يكون النار ابسطها في موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها واما الارض فلان نفوذ قوي ما يحيط بها في كليتها باسرها كالقليل وعسي ان يكون باطنها القريب من المركز يقرب من البساطة ثم الارض

Digitized by Google

علي طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضه ماء وبعضه طين جفّفه الشمس وهو البرّ والسبب في ان الماء غير محيط بالارض ان الارض ينقلب ماء فتحصل وهدة والماء يستحيل ارضًا فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيّال كالماء والهواء حتي ينصبّ بعض اجزايه الي بعض ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة يلي الارض فيها مائية من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتحمّي فيتعدّي الحرارة الي ما يجاورها وطبقة لا يخلوا عن رطوبة بخارية ولكن اقلّ حرارة وطبقة هي هواء صرف صافي وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الي الهواء وتقصد مركز النار فيكون كالمنتشر في السطح الاعلي من الهواء الي ان يتصدع فيحترق واما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشفّ الذي لا لون له وان راي لون النار فهي بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طُوَّعها والكائنات الفاسدات تتولّد من تاثيرها والفلك وان لم يكن حارًّا ولا باردًا فانه ينبعث منه في الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوي تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المراي ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو اقرب الي العلو اسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفّ به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه الحرارة بخر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية واثار شيئًا بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار اقلّ مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حارًّا رطبًا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت

Digitized by Google

كانت حارّة يابسة والحارّ الرطب اقرب الي طبيعة الهواء والحارّ اليابس اقرب الي طبيعة النار والبخار لا يجاوز مركز الهواء بل اذا وافي منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدّي حيّز الهواء حتي يوافي تخوم النار واذا احتبسا فيهما حدثت كائنات اخر فالدخان اذا وافي حيّز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سعي فيه الاشتعال فراي كانه كوكب يقذف به وربّما احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظًا ممتدّاً وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك وكان ذنبًا له وربما كان عريضاً فراي كانه لحية كوكب وربما حميت الادخنة في برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شي من الدخان في تضاعيف الغيم وبرد صار ريحًا وسط الغيم فتحرك عنه بشدّة يحصل منه صوت يسمّي الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارًا مضيئة يسمّي البرق وان كان المشتعل كثيفًا ثقيلاً محرقًا اندفع بمصادمات الغيم الي جهة الارض فيسمّي صاعقة ولكنها نار لطيفة تنفذ في الثياب والاشياء الرخوة ويتصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتي يذيب الذهب في الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق السير ولا يخلوا برق عن رعد لانهما جميعًا عن الحركة ولكن البصر احدّ فقد يري البرق ولا ينتهي الصوت الي السمع وقد يري متقدمًا ويسمع متاخّرًا واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جداً ويتراكم ويكثر مدّته في اقصي الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحاباً والقاطر مطراً ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعاً وينزل

Digitized by Google

كما يوافيه برد الليلة سريعًا قبل ان يتراكم سحابًا وهذا هو الطّل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فنزل وكان ثلجًا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي اعني مادة الطّل فنزل وكان صقيعًا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان بردًا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الي داخله فتكاثف داخله واستحال ماء واجمده شدّة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطرًا ثم ربما وقع علي صقيل الظاهر من السحاب صور النّيرات واضواءها كما يقع في المراي والجدران الصقيلة فيري ذلك علي احوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النّير وقربها وبعدها من الراي وصفائها وكدورتها واستوايها ورشّها وكثرتها وقلّتها فيري هالة وقوس قزح وشموس وشُهُب فالهالة تحدث عن انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنّير الي النّير حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفي النير فيري دائرة كانه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير وما في داخلها ينفذ عنه البصر الي النير ويريه غالبًا علي اجزاء الرشّ يجعلها كانها غير موجودة وكان الغالب هناك هواء شفاف واما القوس فان الغمام يكون في خلاف جهة النّير فينعكس الزوايا عن الرشّ الي النير لا بين الناظر والنير بل الناظر اقرب الي النير منه الي المراة فتقع الدائرة التي هي كالمنطقة ابعد من الناظر الي النير فان كانت الشمس علي الافق كان الخط المارّ بالناظر علي بسيط الافق وهو المحور فيوجب ان يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فنري القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض

Digitized by Google

الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة اقلّ من نصف دائرة واما تحصيل الالوان علي الجهة الشافية فانه لم يستبن لي بعد والسحب ربما تفرقت وذابت فصارت ضباباً وربما اندفعت بعد التلطّف الي اسفل فصارت رياحاً وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الي جهة وربما هاج لانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الي اخري واكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالي فانعطفت رياحاً والسموم ما كان منها محترقاً واما الابخرة داخل الارض فتميل الي جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمدّ فيخرج عيوناً وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم ينفذ في مجاري مستخصفة فاجتمعت واندفعت بمرّة فزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط اعالي وهدة في باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولّد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتاثير الكواكب حظّ وذلك بحسب اختلاف المواضع والازمان والموادّ فمن الجواهر ما هو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب زيبقاً ونفطاً وانطراقها لحيوة رطوبتها ولعصيانها الجمود التامّ ومنها ما لا يقبل ذلك وقد يتكون من العناصر اكوان ايضاً بسبب القوي الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجاً اكثر اعتدالاً من المعادن فيحصل في المركّب قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولّدة وهذه القوي متمايزة بخصائصها

المقالة الرابعة في النفوس

وقواها اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلثة اقسام احدها النباتية وهي

الكمال الاول لجسم طبيعي الي من جهة ما يتولد ويربوا ويغتذي والغذاء جسم من شانه ان يتشبه بطبيعة الجسم الذي قيل انه غذاوه ويزيد فيه مقدار ما يتحلل او اكثر او اقلّ والثاني النفس الحيوانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزويات ويتحرك بالارادة والثالث النفس الانسانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالراي من جهة ما يدرك الامور الكلية وللنفس النباتية قوي ثلث وهي الغاذية القوة التي تحيل جسماً اخر الي مشاكلة الجسم الذي هي فيه فيلصقه به ما بدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المشبه زيادة في اقطاره طولاً وعرضاً وعمقاً بقدر الواجب ليبلغ به كماله في النشو والقوة المولدة وهي التي تاخذ من الجسم الذي هي فيه جزء وهو شبيه له بالقوة فيفعل فيه باستمداد اجسام اخر تتشبه به من التخليق والتمزيج ما يصير شبيهاً به بالفعل فللنفس النباتية ثلث قوي وللنفس الحيونية قوتان محركة ومدركة والمحركة علي قسمين اما محركة بانها باعثة واما محركة بانها فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية الشوقية وهي القوة التي اذا ارتسمت في التخيّل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التي تدركها علي التحريك ولها شعبتان شعبة تسمي شهوانية وهي قوة تبعث علي تحريك يقرب به من الاشياء المتخيّلة ضرورية او نافعة طلباً للذة وشعبة تسمّي غضبيةً وهي قوة تبعث علي تحريك تدفع به الشي المتخيل ضارًّا او مفسداً طلباً للغلبة واما القوة علي انها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شانها ان تشج

Digitized by Google

العضلات فتجذب الاوتار والرباطات الي جهة المبدأ او ترخيها او تمدّدها طولاً فتصير الاوتار والرباطات الي خلاف جهة المبدأ واما القوة المدركة فتنقسم قسمين احدهما قوة تدرك من خارج وهي الحواسّ الخمس او الثمانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوّفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادّية في الاجسام الشفافة بالفعل الي سطوح الاجسام الصقيلة ومنها السمع وهي قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادّي اليه بتموّج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطاً بعنف يحدث منه تموّج فاعل للصوت يتادي الي الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماسّ امواج تلك الحركة العصبة فيسمع ومنها الشمّ وهي قوة مرتبة في زايدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يودي اليه من الهواء المستنشق من الرايحة المخالطة لبخار الريح والمنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش علي جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسّة المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه فتخيله ومنها اللمس وهي قوة منبثّة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ما تماسّه ويوثر فيه بالمضادة ويغيّره في المزاج او الهيئة ويشبه ان تكون هذه القوة لا نوعًا بل جنسًا لاربع قوي منبثّة معًا في الجلد كله الواحدة حاكمة في التضادّ الذي بين الحارّ والبارد والثانية حاكمة في التضادّ الذي بين الصلب واللين والثالثة حاكمة في التضادّ الذي بين الرطب واليابس والرابعة حاكمة في التضادّ الذي بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها معًا في آلة واحدة

Digitized by Google

توهّم تاحّدها في الذات والمحسوسات كلها تتادي الي آلات الحس وتنطبع فيها فتدركها القوة الحاسّة والقسم الثاني قوي تدرك من باطن فمنها ما يدرك صور المحسوسات ومنها ما يدرك معاني المحسوسات والفرق بين القسمين هو ان الصورة هو الشي الذي تدركه النفس الناطقة والحسّ الظاهر معاً ولكن الحسّ يدركه اولاً ويودّيه الي النفس مثل ادراك الشاة صورة الذيب واما المعني فهو الشي الذي تدركه النفس من المحسوس من غير ان يدركه الحسّ اولاً مثل ادراك الشاة المعني المضادّ في الذيب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة ما يدرك ويفعل ومنها ما يدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين ان الفعل فيها هو ان تركّب الصور والمعاني المدركة بعضها مع بعض ويفصّل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل ايضاً فيما ادرك والادراك لا مع الفعل هو ان تكون الصورة او المعني ترتسم في القوة فقط من غير ان يكون لها فعل وتصرّف فيه ومن المدركات الباطنة ما يدرك اولاً ومنها ما يدرك ثانياً والفرق بين القسمين ان الادراك الاول هو ان يكون حصول الصورة علي نحو ما من الحصول قد وقع للشي من نفسه والادراك الثاني هو ان يكون حصولها من جهة شيٍّ اخر ادّي اليها ثم من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحسّ المشترك وهي قوة مرتبة في التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة في الحواسّ الخمس متادّية اليه ثم الخيال والمصوّرة وهي قوة مرتبة في التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ما قبله الحسّ المشترك من الحواس ويبقي فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التي تسمي متخيّلة بالقياس الي النفس الحيوانية وتسمّي مفكرة بالقياس الي النفس

Digitized by Google

الانسانية فهي قوة مرتبة في التجويق الاوسط من الدماغ عند الدودة من شانها ان تركّب بعض ما في الخيال مع بعض وتفصّل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزوية كالقوة الحاكمة بان الذيب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف الموخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الي الوهمية كنسبة الخيال الي الحسّ المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوي الحيوانية واما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها ايضاً الي قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحدة من القوتين تسمّي عقلاً باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرّك لبدن الانسان الي الافاعيل الجزوية الخاصّة بالروية علي مقتضي اراء تخصّها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الي القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس الي القوة المتخيّلة والمتوهّمة واعتبار بالقياس الي نفسها وقياسها الي النزوعية ان يحدث منها فيها هئات تخصّ الانسان بتهيّأ بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وقياسها الي المتخيّلة والمتوهّمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الي نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظري يتولد الاراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهذه القوي هي التي يجب ان تتسلّط علي سائر قوي البدن علي حسب ما توجبه احكام القوة العاقلة حتي لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن

Digitized by Google

هيئات انقيادية مستفادة من الامور الطبيعية وهي التي تسمّي اخلاقاً رذيلة بل تحدث في القوي البدنية هيئات انقيادية لها وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شانها ان تنطبع بالصور الكلية المجرّدة عن المادّة فان كانت مجرّدة بذاتها فذاك وان لم تكن فانها تصيّرها مجرّدة بتجريدها اياها حتي لا يبقي فيها من علائق المادّة شي ثم لها الي هذه الصور نسب وذلك ان الشي الذي من شانه ان يقبل شيئاً قد يكون بالقوة قابلاً له وقد يكون بالفعل والقوة علي ثلثة اوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل علي الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع فعل ما كقوة الطفل بعد ما تعلّم بسائط الحروف وقوة تسمّي ملكة وهي قوة لهذا الاستعداد اذا تمّ بالآلة ويكون له ان يفعل متي شاء بلا حاجة الي اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الي الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمّي عقلاً هيولانياً واذا حصل فيها من المعقولات الاولي التي يتوصل بها الي المعقولات الثانية تسمّي عقلاً بالفعل واذا حصلت فيها المعقولات الثانية المكتسبة وصارت مخرونة له بالفعل متي شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمّي عقلاً مستفاداً وان كانت مخرونة تسمّي عقلاً بالملكة وهاهنا ينتهي النوع الانسانية ويتشبّه بالمبادي الاولي بالوجود كله وللناس مراتب في هذا الاستعداد فقد يكون عقلاً شديد الاستعداد حتي لا يحتاج في ان يتّصل بالعقل الفعّال الي كثير شي من تجربة وتعليم حتي كانه يعرف كل شي من نفسه لا تقليداً بل بترتيب يشتمل علي حدود وسطي فيه اما دفعة في زمان واحد واما دفعات في ازمنة شتي وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس

Digitized by Google

فيفيض عليها منه جميع المعقولات او ما يحتاج اليه في تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلي المتخيّلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيّلة بامثلة محسوسة او كلمات مسموعة فيعبر عن الصورة بملك في صورة رجل وعن الكلام بوحي في صورة عبارة المقالة الخامسة في ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بآلات وقد يكون بذاتها لا بآلات وانها واحدة وقواها كثيرة وانها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن اما البرهان علي ان النفس ليس بجسم هو انا نحسّ من ذواتنا ادراكاً معقولاً مجرّداً عن الموادّ وعوارضها اعني الكم والاين والوضع اما لان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم بالوجود مطلقاً واما لان العقل جرّده عن العوارض كالانسان مطلقاً فيجب ان ينظر في ذات هذه الصور المجرّدة كيف هي في تجرّدها اما بالقياس الي الشي الماخوذ عنه ام بالقياس الي مجرّد الاخذ ولا يشك انها بالقياس الي الماخوذ عنه ليست مجرّدة فبقي انها مجرّدة عن الوضع والاين عند وجودها في العقل والجسم ذو وضع واين وما لا وضع له لا يحلّ ما له وضع واين وهذه الطريقة اقوي الطرق فان الشي المعقول الواحد الذات المتجرّد عن المادّة لا يخلوا اما ان يكون له نسبة الي بعض الاجزاء دون البعض فيحلّ في جهة دون جهة حتي يكون متيامناً او متياسراً بالنسبة الي المحلّ او تكون نسبته الي الكل نسبة واحدة او لا يكون لها نسبة اليه ولا له الي جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة الجسم او في جزء من اجزايه وان تحققت النسبة صار الشي المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع

Digitized by Google

هذا خلف وبه تبيّن ان الصور المنطبعة في المادّة لا تكون الا اشباحاً لامور جزوية منقسمة ولكل جزو منها نسبة بالفعل او بالقوة الي جزو منها وايضاً فان الشي المتكثّر في اجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بما هي وحدة كيف ترتسم في منقسم وايضاً من شان القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحداً واحداً من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولي من الاخر وقد صحّ لنا ان الشي الذي يقوي علي امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محلّه جسماً ولا قوة في جسم ومن الدليل القاطع علي ان محلّ المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم لا يحلّ المنقسم والمعقول غير منقسم فلا يحلّ المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرّد لا منقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحلّ منقسماً فانا لو قسمنا المحلّ فلم يخل اما ان يبطل الحالّ فيه وهذا كذب او لا يبطل ولا يخلوا اما ان بقي حالاً في بعضه كما كان حالاً في كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل واما ان ينقسم بانقسام محلّه وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحالّ فيه فلا يخلوا اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول او العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزوين هو بعينه الكل في المعني وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء الحدّ من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزو من الجسم يقبل القسمة ايضاً فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وايضاً فانه ان وقع الجنس في

Digitized by Google

جانب والفصل في جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل في جانب وهو محال ثم ليس احد الجزوين اولي لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضًا ليس كل معقول يمكن ان يقسم الي معقولات ابسط فان هاهنا معقولات هي ابسط المعقولات ومبادي التركيبات في سائر المعقولات ليس لها اجناس ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعني فلا يتوهّم فيها اجزاء متشابهة فتبيّن بهذه الجملة ان محلّ المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم فهو اذا جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرّف وعلاقته من جهة العلم الحواس الباطنة المذكورة وعلاقته من جهة العمل القوي الحيوانية المذكورة فيتصرّف في البدن وله فعل خاصّ يستغني به عن البدن وقواه فان من شان هذا الجوهر ان يعقل ذاته ويعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشي لا يكون الا بحصول صورته فيه وما يقدر آلة من قلب او دماغ لا يخلوا اما ان تكون صورته بعينها حاصلة للعقل حاضرة واما ان صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل ان يكون صورة الالة حاضرة بعينها فانها في نفسها حاصلة ابدًا فيجب ان يكون ادراك العقل لها حاصلًا ابدًا وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال وباطل ان يكون الصورة غير الالة بالعدد فانها اما ان تحلّ في نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدلّ ذلك علي انها قائمة بنفسها وليست في الجسم واما بمشاركة الجسم حتي تكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة العقلية وفي الجسم الذي هو الالة فيودّي الي اجتماع صورتين

Digitized by Google

متماثلين في جسم واحد وهو محال والمغايرة بين اشياء تدخل في حدّ واحد اما لاختلاف الموادّ او لاختلاف ما بين الكلي والجزوي وليس هذان الوجهان فثبت انه لا يجوز ان يدرك المدرك آلة هي آلته في الادراك ولا يختصّ ذلك بالعقل فان الحسّ انما يحسّ شيئًا خارجًا ولا يحسّ ذاته ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال ولا يتخيّل ذاته ولا فعله ولا آلته ولهذا ان القوي الدرّاكة بانطباع الصور في الآلات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية الشاقّة الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوي للسمع وكذلك عند ادراك القوي لا يقوي علي ادراك الضعيف والامر في القوة العقلية بالعكس فان ادامتها للفعل وتصوّرها الامور الاقوي يكسبها قوة وسهولة قبول وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة العقل بالخيال علي ان القوي الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في اشياء منها ان يورد عليها الحسّ جزويات الامور فيحدث لها امور اربعة احدها انتزاع النفس الكليات المفرّدة عن الجزويات علي سبيل تجريد لمعانيها عن المادّة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيه و المتباين به والذاتي وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادي التصوّر وذلك بمعاونة استعمال الخيال والوهم والثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفرّدة علي مثل سلب وايجاب فما كان التاليف منها بسلب وايجاب ذاتيًا بيّنًا بنفسه اخذه وما كان ليس كذلك تركه الي ان يصادف الواسطة والثالث تحصيل المقدمات التجربية بان يوجد بالحس محمول لازم الحكم لموضوع او تالي لازم لمقدم فيحصل له اعتقاد مستفاد من حسّ و قياس ما والرابع الاخبار التي يقع بها التصديق لشدّة التواتر فالنفس الانسانية

Digitized by Google

تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادي للتصوّر والتصديق واما اذا استكملت النفس وقويت فانها تتفرّد بافاعيلها علي الاطلاق وتكون القوي الحسّية والخيالية وغيرها صارفة لها عن فعلها وربما يصير الوسائط والاسباب عوائق قال الدليل علي ان النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متّفقة في النوع والمعني فان وجدت قبل البدن فاما ان تكون متكثّرة الذوات او تكون ذاتاً واحدة ومحال ان يكون متكثّرة الذوات فان تكثّرها اما ان يكون من جهة الماهية والصورة واما ان يكون من جهة النسبة الي العنصر والمادّة وبطل الاول لان صورتها واحدة وهي متّفقة في النوع والماهية لا تقبل اختلافاً ذاتياً وبطل الثاني لان البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال ان تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت فيهما نفسان فاما ان يكونا تسمي تلك النفس الواحدة وهو محال لان ما ليس له عظم وحجم لا يكون منقسماً واما ان تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الي كثير تكلّف في ابطاله فقد صحّ ان النفس تحدث كما حدث البدن الصالح لاستعماله اياه ويكون البدن الحادث مملكته وآلته ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقه نزاع طبيعي الي الاشتغال به واستعماله والاهتمام باحواله والانجذاب اليه يخصه ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع الا بواسطته واما بعد مفارقة البدن فان النفس قد وجد كل واحد منها ذاتاً مفرّدة باختلاف موادّها التي كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي بحسب ابدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شي يفسد بفساد شي اخر فهو متعلّق به نوعاً من التعلّق فاما ان يكون

Digitized by Google

تعلّقه به تعلّق المكافي في الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا تؤثر المكافاة في الوجود في فساد احدهما بفساد الثاني لانه امر اضافي وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلّقه به تعلّق المتاخّر في الوجود فالبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئًا الا بقواه والقوي الجسمانية اما اعراض او صور مادية فمحال ان يفيد امر قائم بالمادّة وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادّة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بيّنّا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية او كمالية فان الاولي ان يكون الامر بالعكس فاذاً تعلّق النفس بالبدن ليس تعلّقاً علي انه علة ذاتية لها نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا حدث بدن يصلح ان يكون آلة النفس ومملكة لها احدثت العلل المفارقة النفس الجزوية فان احداثها بلا سبب يخصّص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كائن بعد ما لم يكن يستدعي ان يتقدّمه مادّة يكون فيها تهيُّؤ قبوله او تهيُّؤ نسبته اليه كما تبيّن ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزوية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطّلة الوجود ولا شي معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيّؤ والاستعداد في الآلة حدث من العلل المفارقة شي هو النفس وليس اذا وجب حدوث شي من حدوث شي وجب ان يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث ممّا ذكرنا وهو ان تعلّق النفس بالجسم تعلّق التقدّم فالمتقدّم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلّق وجوده به وقد تقدّمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم

Digitized by Google

المتاخّر يوجب عدم المتقدم علي ان فساد البدن بامر يخصّه من تغيّر المزاج والتركيب وليس ذلك ممّا يتعلّق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ويقول ان شيئًا اخر لا يفسد النفس ايضًا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شي من شانه ان يفسد بامر مّا ففيه قوة ان يفسد وقبل الفساد فيه فعل ان يبقي ومحال ان يكون من جهة واحدة في شي واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقي فان تهيّؤه للفساد شي وفعله للبقاء شي اخر فالاشياء المركّبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل علي ذلك ايضًا ان كل شي يبقي وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقي ايضًا لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجبًا كان ممكنًا والامكان هو طبيعة القوة فاذا يكون له في جوهره قوة ان يبقي وفعل ان يبقي فيكون فعل ان يبقي منه امرًا يعرض للشي الذي له قوة ان يبقي فذلك الشي الذي له القوة علي البقاء وفعل البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة وقوة البقاء كالمادة فيكون مركّبًا من مادّة وصورة وقد فرضناه واحدًا فردًا فهو خلف فقد بان ان كل امر بسيط فغير مركّب فيه قوة ان يبقي وفعل ان يبقي بل ليس فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته والفساد لا يتطرّق الا الي المركّبات واذا تقرّر ان البدن اذا تهيّأ واستعدّ استحقّ من واهب الصور نفسًا مدبّرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحقّ النفس وقارنته في الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس اخري لانه يودّي الي ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذاً باطل المقالة السادسة في وجه خروج العقل النظري من القوة اليَ الفعل واحوال خاصّة

بالنفس الانسانية من الرويا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صورًا لا وجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعني النبوة والمعجزات وخصائصها التي تتميّز بها عن المخاريق اما الاول قد بيّنّا ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية اي استعداد لقبول المعقولات بالفعل وكل ما خرج من القوة الي الفعل فلا بدّ له من سبب يخرجه الي الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودًا بالفعل فانه لو كان موجودًا بالقوة لاحتاج الي مخرج اخر فاما ان يتسلسل او ينتهي الي مخرج هو موجود بالفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسمًا لان الجسم مركّب من مادّة وصورة والمادّة امر بالقوة فهو اذاً جوهر مجرّد عن المادّة وهو العقل الفعّال وانما سمّي فعّالاً لان كون العقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه اخر وليس يخصّ فعله بالعقول والنفوس بل وكل صورة تحدث في العالم فانما هي من فيضه العامّ فيعطي كل قابل ما استعدّ له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئًا فان الجسم مركّب من مادّة وصورة والمادّة طبيعتها عدمية فلو اثّر الجسم لاثّر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعّال هو المجرّد عن المادّة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه واما الثاني من الاحوال الخاصّة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غور القوي الظاهرة في اعماق البدن وانحناس الارواح من الظاهر الي الباطن ونعني بالارواح هاهنا اجساماً لطيفة مركّبة في تجاويف الاخلاط التي منبعها القلب وهي مراكب القوي النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدّة في مجاريها من الاعصاب المؤدّية للحسّ بطل الحسّ وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواسّ ورقدت بسبب من الاسباب

Digitized by Google

بقيت النفس فارغة عن شغل الحواسّ لانها لا تزال مشغولة بالتفكّر فيما يورد الحواسّ عليها فاذا وجدت فرصة الفراغ وارتفع عنها المانع واستعدّت الابصار للجواهر الروحانية الشريفة العقلية التي فيها نقش الموجودات كلها فانطبع في النفس ما في تلك الجواهر من صور الاشياء لا سيما ما يناسب اغراض الراي ويكون انطباع تلك الصور في النفس كانطباع صورة في مراة فان كانت الصور جزوية ووقعت من النفس في المصوّرة وحفظتها الحافظة علي وجهها من غير تصرّف المتخيّلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الي تعبير وان وقعت في المتخيّلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الي تعبير وتاويل ولما لم تكن تصرّفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلف التعبير واذا تحرّكت المتخيّلة منصرفة عن عالم العقل الي عالم الحسّ واختلطت تصرّفاتها كانت الرؤيا اضغاث احلام لا تعبير لها وكذلك لو غلبت علي المزاج احدي الكيفيات الاربع راي في المنام احوالاً مختلطة واما الثالث في ادراك علم الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوي قوة لا تشغله الحواسّ ولا يتّسع بقوته للنظر الي عالم العقل والحسّ جميعاً فيطّلع الي عالم الغيب فيظهر له بعض الامور مثل البرق الخاطف وبقي المتصوّر المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك وحياً صريحاً وان وقع في المتخيّلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة كان ذلك مفتقراً الي التاويل واما الرابع في مشاهدة النفس صوراً محسوسة لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكاً قوياً فيبقي عين ما ادركته في الحفظ وقد يقبله قبولاً ضعيفاً فيستولي عليه المتخيّلة وتحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت الحسّ المشترك وانطبعت الصورة في الحسّ المشترك سراية اليه من

Digitized by Google

المصوّرة والمتخيّلة والابصار هو وقوع صورة في الحسّ المشترك فسواء وقع فيه امر من خارج بواسطة البصر او وقع فيه امر من داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوساً فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة الات الادراك ومنه ما يكون من ضعف النفس والات واما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص المعجزات والكرامات ثلث خاصّية في قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولي العالم بازالة صورة وايجاد صورة وذلك ان الهيولي منقادة لتاثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية في العالم وقد تبلغ نفس انفسانية في الشرف الي حدّ يناسب تلك النفوس فتفعل فعلها وتقوي علي ما قويت هي فتزيل جبلاً عن مكانه وتذيب جوهراً فيستحيل ماء ويجمد جسماً سائلاً فيستحيل حجراً ونسبة هذه النفس الي تلك النفوس كنسبة السراج الي الشمس وكما ان الشمس تؤثر في الاشياء تسخيناً بالاضاءة كذلك السراج يوثر بقدره وانت تعلم ان للنفس تاثيرات جزوية في البدن فانه اذا حدثت في النفس صورة الغلبة والغضب حمي المزاج واحمرّ الوجه واذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدثت في اوعية المني حرارة مبخّرة مهيّجة للريح حتي يمتلي به عروق آلة الوقاع فتستعدّ له والمؤثر هاهنا مجرّد التصوّر لا غير والخاصية الثانية ان تصفوا النفس صفاء يكون شديد الاستعداد للاتّصال بالعقل الفعّال حتي يفيض عليها العلوم فانا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي تحصل لبعض النفوس حتي تستغني في اكثر احواله عن التفكّر والتعلّم والشريف البالغ منه يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نورعلي نور والخاصّية الثالثة للقوة المتخيّلة بان تقوي النفس وتتّصل في اليقظة بعالم

Digitized by Google

الغيب كما سبق وتحاكي المتخيّلة ما ادرك النفس بصورة جميلة واصوات منظومة فيري في اليقظة ويسمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذي يراه النبي وتكون المعارف التي تتّصل بالنفس من اتّصالها بالجواهر الشريفة تتمثّل بالكلام الحسن المنظوم الواقع في الحسّ المشترك فيكون مسموعًا قال والنفوس وان اتّفقت في النوع الا انها تتمايز بخواصّ وتختلف افاعيلها اختلافات عجيبة وفي الطبيعة اسرار ولاتّصالات العلويات بالسفليات عجائب وجلّ جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفنّ ضحكة للمغفّل عبرة للمحصّل فمن سمعه فاشمازّ عنه فليتّهم نفسه لعلها لا تناسبه وكل ميسّر لما خلق له تمت الطبيعيات بحمد لله

اراء العرب في الجاهلية قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان علي مذهب واحد واجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقاربة بين الامّتين مقصورة علي اعتبار خواصّ الاشياء والحكم باحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم يتقاربان علي مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة علي اعتبار كيفيات الاشياء والحكم باحكام الطبائع والغالب عليهم الاكتساب والجهد والان نذكر اقاويل العرب في الجاهلية ونعقبها بذكر اقاويل الهند وقبل ان نشرع في مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية في العالم فان منها ما بني علي دين الحقّ قبلة للناس ومنها ما بُني علي الراي الباطل فتنة للناس وقد ورد في التنزيل إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ وقد اختلفت الروايات في اول من بناه قيل ان ادم لما اهبط الي الارض وقع الي سرنديب من ارض الهند وكان يتردد في الارض متحيّراً بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتي وافي حوّاء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الي ارض مكّة ودعا وتضرّع الي الله تعالي حتي ياذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافاً لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالي عليه مثال ذلك البيت علي شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجّه اليه ويطوف به ثم لما توفّي تولّي وصيّه شيث بناء البيت من الحجر والطين علي الشكل المذكور حذو القذّة بالقذّة والنعل بالنعل ثم خرب ذلك بطوفان نوح وامتدّ الزمان حتي غيض الماء وقضي الامر وانتهت النوبة الي الخليل ابرهيم وحمله هاجر الي الموضع المبارك وولادة اسمعيل هناك ونشوه وتربيته ثمّة وعود ابراهيم اليه واجتماعه به في بناء البيت وذلك قوله تعالي وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَعِيلُ فرفعا قواعد البيت علي مقتضي اشارة الوحي مرعياً فيه جميع المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور وشرعًا المناسك والمشاعر محفوظاً فيها جمع المناسبات التي بينها وبين الشرع وتقبّل الله ذلك منهما وبقي الشرف والتعظيم الي زماننا والي يوم القيمة دلالة علي حسن القبول فاختلف اراء العرب في ذلك واول من وضع فيه الاصنام عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكّة واستولي علي امر البيت ثم صار الي مدينة البلقاء بالشام فراي قوماً يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه ارباب اتّخذناها علي شكل الهياكل العلوية والاشخاص

Digitized by Google

البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقي فنسقي فاعجبه ذلك وطلب منهم صنماً من اصنامهم فدفعوا اليه هبَل فصار به الي مكّة ووضعه في الكعبة وكان معه اساف ونايلة علي شكل زوجين فدعا الناس الي تعظيمهما والتقرّب اليهما والتوسّل بهما الي الله تعالي وكان ذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف الي ان اظهر الله الاسلام واخرجت وابطلت وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه الباني الاول علي طوالع معلومة واتّصالات مقبولة وسمّاه بيت زحل ولهذا المعني اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدلّ علي البقاء وطول العمر اكثر ممّا يدلّ عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البناء الاول كان مستنداً الي الوحي علي يدي اصحاب الوحي ثم اعلم ان البيوت تنقسم الي بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التي كان بيوت النيران ثمّة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية علي السبع الكواكب فمنها ما كانت فيها اصنام فحوّلت الي النيران ومنها ما لم تحوّل ولقد كان بين اصحاب الاصنام واصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دِوَل فيما بينهم وكان كل من استولي وقهر غيّر البيت الي مشاعر مذهبه ودينه فمنها بيت فارس علي راس جبل باصفهان علي ثلث فراسخ كانت فيه اصنام الي ان اخرجها كشتاسف الملك لما تمجّس وجعلها بيت نار ومنها البيت الذي بمولتان من ارض الهند فيه اصنام لم تغيّر ولم تبدل ومنها بيت سدوسان من ارض الهند ايضاً وفيه اصنام كبيرة كثيرة العجب والهند ياتون البيتين في اوقات من السنة حجّاً وقصداً اليهما ومنها النوبهار الذي بناه منوجهر بمدينة بلخ علي اسم القمر

Digitized by Google

فلما ظهر الاسلام خرّبه اهل بلخ ومنها بيت غمدان الذي بمدينة صنعا اليمن بناه الضحاك علي اسم الزهرة وخرّبه عثمان ذو النورين ومنها بيت كاووسان بناه كاووس الملك بناءً عجيباً علي اسم الشمس بمدينة فرغانه وخرّبه المعتصم واعلم ان العرب اصناف شتّي فمنهم معطّلة ومنهم محصّلة نوع تحصيل

معطلة العرب وهي اصناف فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين اخبر عنهم القران المجيد وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَوٰتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا اشارة الي الطبائع المحسوسة في العالم السفلي وقصر الحيوة والموت علي تركّبها وتحلّلها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فاستدلّ عليهم بضرورات فكرية وايات فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالي أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وقال أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَيٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ وقال قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وقال يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فثبت الدلالة الضرورية من الخلق علي الخالق فانه قادر علي الكمال ابداً و اعادة وصنف منهم اقرّوا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القران وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ فاستدلّ عليهم بالنشاءة الاولي اذ اعترفوا بالخلق الاول فقال قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وقال أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ وصنف منهم اقرّوا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انهم شفعاؤ هم عند الله في الاخرة وحجّوا اليها ونحروا لها الهدايا وقرّبوا القرابين وتقرّبوا

Digitized by Google

اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وَقَالُوا مَا لِهَذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ الي قوله إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا فاستدلّ عليهم بان المرسلين كانوا كذلك قال الله وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وشبهات العرب كانت مقصورة علي هاتين الشبهتين احديهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل فعلي الاولي قالوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَآبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ الي امثالها من الايات وعبّروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم

حيوة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

ولبعضهم في مرثية اهل بيت المشركين

فما ذا بالقليب قليب بدر من الشيزي تكلّل بالسنام

يخبّرنا الرسول بان سنحيي وكيف حيوة اصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ و اجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة فيرجع الي راس القبر كل ماية سنة ولهذا غلبهم الرسول فقال لا هامة ولا عدوي ولا صفر واما علي الشبهة الثانية كان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية اشدّ واصرارهم علي ذلك ابلغ واخبر عنهم التنزيل وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان ياتي ملك من السماء وقالوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منّا الي الله تعالي هو الاصنام المنصوبة اما الامر والشريعة من الله

Digitized by Google

الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل وُداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرًا وكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجّون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان واما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزي لقريش وجميع بني كنانة وقوم من بني سليم ومناة للاوس والخزرج وغسّان وهبل اعظم اصنامها عندهم وكان علي ظهر الكعبة واساف ونايلة علي الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم اساف بن عمرو ونايلة بنت سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما علي الصفا وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائلهم

اتينا الي سعد ليجمع شملنا فشتّتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعوا لغي ولا رشد

وكانت العرب اذا لبّت وهلّلت قال لبّيك اللهم لبّيك لبّيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه ومالكه ومن العرب من كان يميل الي اليهودية ومنهم من كان يميل الي النصرانية ومنهم من يصبوا الي الصابية ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجّمين في السيّارات حتي لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنو من الانواء ويقول مطرنا بنو كذا ومنهم من يصبو الي الملائكة فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجنّ ويعتقدون فيهم انهم بنات الله

المحصلة من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت علي ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان ويعدّونه نوعًا شريفًا خصوصاً

Digitized by Google

معرفة انساب اجداد النبي عليه السلم والاطّلاع علي ذلك النور الوارد من صلب ابرهيم الي اسمعيل وتواصله في ذريته الي ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطّلب سيد الوادي سنّي المجد وسجد له الفيل الاعظم وعليه قصة اصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالي شرّ ابرهه وارسل عليهم طيرًا ابابيل وببركة ذلك النور راي تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنها جرهم وببركة ذلك النور الهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من اولاده وبه افتخر النبي عليه السلم حين قال انا ابن الذبيحين اراد بالذبيح الاول اسمعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفي وبالذبيح الثاني عبد الله بن عبد المطلب وهو اخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور وببركة ذلك النور كان عبد المطّلب يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثّهم علي مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيّات الامور وببركة ذلك النور قد سُلّم اليه النظر في حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الي الكعبة وينظر في حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهه ان لهذا البيت ربًا يذبّ عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس

لا همّ ان المرء يمنع حلّه فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوًا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه ان لن يخرج من الدنيا ظلوم حتي ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الي ان هلك رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة فقيل لعبد

Digitized by Google

المطّلب في ذلك ففكر فقال والله ان وراء هذه الدار دار يجزي فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيئ باساءته ومما يدلّ علي اثباته المبدأ والمعاد انه كان يضرب بالقداح علي ابنه عبد الله ويقول

يارب انت الملك المحمود وانت ربّي المبدئ المعيد من عندك الطارف والتليد ومما يدلّ علي معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة ان اهل مكّة لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين امر ابا طالب ابنه ان يحضر المصطفي عليه السلام وهو رضيع في قماط فوضعه علي يديه واستقبل الكعبة ورماه الي السماء وقال يا رب بحقّ هذا الغلام ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول بحقّ هذا الغلام اسقِنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً فلم يلبث ساعة ان طبّق السحاب وجه السماء وامطر حتي خافوا علي المسجد وانشا ابو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للارامل
يطيف به الهلال من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبري محمد ولما نطا عن دونه ونناضل
ونسلمه حتي نصرّع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب في النبي عليه السلام قصيدة منها

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الي رحم اذا مضي عالم بدا طبق

Digitized by Google

حتي احتوي بيتك المهيمن في خندف عليا تحتها النطق

وانت لما ظهرت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد تخترق

واما النوع الثاني من العلوم هو الرؤيا وكان ابو بكر ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه والنوع الثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن هذا قال عليه السلام من قال مطرنا بنو كذا فقد كفر بما انزل الله علي محمد ومن العرب من كان يومن بالله واليوم الاخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المقدم النبوي زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره الي الكعبة ثم يقول ايها الناس هلمّوا اليّ فانه لم يبق علي دين ابرهيم احد غيري وسمع امية بن ابي الصلت يوماً ينشد

كل دين يوم القيمة عند الله الا دين الحنيفة زور

فقال له صدقت وقال زيد ايضاً

فلن تكون لنفسي منك واقية يوم الحساب اذا مايجمع البشر

ومن كان يعتقد التوحيد ويومن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادي قال في مواعظه كلّا ورب الكعبة ليعودنّ ما باد ولين ذهب ليعودن يوماً وقال ايضاً كلا بل هو الله اله واحد ليس بمولود ولا والد اعاد وابدي واليه المآب غداً وانشا في معني الاعادة

يا باكي الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا بزّهم خرق

Digitized by Google

دعهم فانّ لهم يوماً يصاح بهم كما ينبّه من نوماته الصعق
حتي يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضي ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتي في ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق

ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في اخرها اني ما رايت شيئاً قط خلق نفسه ولا رايت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال اني اري اموراً شتّي وحتّي قيل له وما حتّي قال حتي يرجع الميّت حيًّا ويعود اللاشي شيًا ولذلك خلقت السموات والارض فتولّوا عنه ذاهبين وقال ويل امّها نصيحة لو كان من يقبلها وكان قد حرّم الخمر علي نفسه فيمن حرّمها وقال فيه شعراً

ان اشرب الخمر اشربها للذتها وان ادعها فاني ماقت قالي
لولا اللذاذة والقيان لم ارها ولا راتني الا من مدي العالي
سآلة للفتي ما ليس في يده ذهّابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغاناً بلا احن ومُزْرياً بالفتي ذي النجدة الحال
اقسمت بالله اسقيها واشربها حتي تفرق ترب الارض اوصالي

وممن كان قد حرّم الخمر في الجاهلية قيس بن عاصم التميمي وصَفْوان ابن اميّة بن محرب الكناني وعفيف بن معدي كرب الكندي وقالوا فيها وقال الاسلوم اليالي وقد حرم الزنا والخمر شعراً

سالمت قومي بعد طول مضاضة والسلم ابقي في الامور واعرف
وتركت شرب الراح وهي اميرة والمومسات وترك ذلك اشرف

Digitized by Google

وعفت عنه يا اميم تكرّما وكذاك يفعل ذو الحجى المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالي ويخلق ادم عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة من قضاعة قال فيه

ادعوك يا ربي بما انت اهله دعاء غريق قد تشبّث بالعصم
لانك اهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وانت الذي لم يحيه الدهر ثانياً ولم ير عبد منك في صالح وجم
وانت القديم الاول الماجد الذي تبدّلت خلق الناس في اكثم العدم
فانت الذي احللتني غيب ظلمة الي ظلمة من صلب ادم في ظلم

ومن هولاء زهير بن ابي سلمي كان يمرّ الغضاة وقد اورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبّني العرب لامنت ان الذي احياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم امن بعد ذلك وقال في قصيدته التي اولها امن امّ او في

يوخر فيوضع كتاب فيدّخر ليوم الحساب او يعجل فينقم

ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان يومن بالله ويوم الحساب وفيه قال

لقد شهدت الخصم يوم رفاعة فاخذت منه حظة المقتال
وعلمت ان الله جازٍ عبيده يوم الحساب باحسن الاعمال

وكان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي حتي احشر عليها فان لم تفعلوا حشرت علي رجلي قال جريبة بن الاشيم الاسدي في الجاهلية وحضره الموت يوصي ابنه سعداً

ياسعد اما اهلكن فانني اوصيك ان اخا الوصاة الاقرب
لا تتركن اباك يعثر راجلاً في الحشر يصرع لليدين وينكب

Digitized by Google

واحمل اباك علي بعير صالح وتقي المحطية انه هو اهرب

ولعل لي مما تركت مطية في القبر اركبها اذا قيل اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمنّي يوصي ابنه عند موته شعراً

ابني زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلة برحل قاتر

للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين معاً لحشر الحاشر

من لا يوافيه علي عثراته فالخلق بين مدفع او عاثر

وكانوا يربطون الناقة معكوسة الراس الي موخرها مما يلي ظهرها او مما يلي كلكلها وبطنها وياخذون وليةً فيشدّون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتي تموت عند القبر ويسمّون الناقة بلية وقال بعضهم يشبّه رجالاً في بلية كالبلايا في اعناقها الولايا قال محمد بن السائب الكلبي كانت العرب في جاهليتها تحرّم اشياء نزل القران بتحريمها كانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمّات وكان اقبح ما يصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين او يخلّف علي امراة ابيه وكانوا يسمّون من فعل ذلك الضيزن قال اوس بن حجر التميمي يعيّر قوماً من بني قيس بن ثلعبة تناوبوا علي امراة ابيهم ثلثة واحد بعد اخر

يفكوا فكيهة وامشوا حول قبّتها فكلكم لابيه ضيزن سلف

وكان اول من جمع بين الاختين من قريش ابو اجنحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات عن المراة او طلّقها قام اكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة تزوّجها بعض اخوته بمهر جديد قال

Digitized by Google

وكانوا يخطبون المراة الي ابيها والي اخيه او عمّها او بعض بني عمّها وكان يخطب الكفو الي الكفو فان كان احدهما اشرف من الاخر في النسب رغب له في المال وان كان هجيناً خطب الي هجين فزوّجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتاهم انعموا صباحاً ثم يقول نحن اكفاوكم ونظراوكم فان زوّجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنّا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوها او خوها اذا حُملت اليه ايسرت واذكرت ولا انثت جعل الله منك عدداً وعزاً وخلداً احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن طيبك الماء واذا زوجت في غربة قال لها لا ايسرت ولا اذكرت فانك تدنين البعداء او تلدين الاعداء احسني خلقك وتحببي الي احمائك فان لهم عيناً ناظرة عليك واذناً سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلّقون ثلثاً علي التفرقة قال عبد الله بن عباس اول من طلّق ثلثاً اسمعيل بن ابرهيم بثلث كرّات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلّقها واحدة وهو احق الناس بها حتي اذا استوفي الثلث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشي حين تزوّج امراة فرغب بها عنّة فاتاه قومها فهدّدوه بالضرب او يطلّقها شعراً

ايا جارتي بيني فانك طالقة كذاك امور الناس غادٍ وطارقة

قالوا ثانية قال

وبيني فان البين خير من العصا وان لا تراني فوق راسك بارقة

قالوا ثالثة قال

وبيني حصان الفرج غير نسيمة وموموقة قد كنت فيها وواسقة

Digitized by Google

قالوا وكان امر الجاهلية في نكاح النساء علي اربع يخطب فيزوج وامراة يكون لها خليل يختلف اليها فان ولدت قالت هو لفلان فيتزوجها بعد هذا وامراة ذات راية يختلف اليها النفر وكلهم يواقعها في طهر واحد فاذا ولدت الزمت الولد احدهم وهذه تدعي المقسمة قال وكانوا يحجّون البيت ويعتمرون ويحرّمون قال زهير

وكم بالقنان من محل ومحرم

قال ويطوفون بالبيت اسبوعاً ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال ابو طالب

واشواط بين المروتين الي الصفاء وما فيهما من صورة ومخايل

وكانوا يلبّون الا ان بعضهم كان يشترك في تلبيته في قوله الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجّت له قريش وموقف ذي الحجيج علي الال

وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرّمون الاشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا طي وخثعم وبعض بني الحرث بن كعب فانهم لم يكونوا يحجّون ولا يعتمرون ولا يحرّمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سمّيت قريش الحرب التي كانت بينها وبين غيرها عام الفجار وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وقالت امراة منهم تنهي ابنها من الظلم

ابني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير ابني من يظلم بمكة يلق اطراف الشرور

وكان منهم من ينسي الشهور وكانوا يكبسون في كل عامين شهراً وفي كل ثلثة اعوام شهراً وكانوا اذا حجّوا في شهر من هذه السنة لم يخطيوا ان يجعلوا يوم لتروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذي الحجّة حتي يكون يوم

Digitized by Google

النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيمون بمنا فلا يتبعون في يوم عرفة ولا في ايام منا وفيهم انزلت إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطّخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في اموالهم وكان قصّي ابن كلاب ينهي عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

اربّاً واحداً ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزي جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هي لزيد بن عمر بن نفيل وقيل للمتلمس ابن امية الكناني يخطب للعرب بفناء الكعبة اطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم قد تفرّدتم بالهة شتّى واني لاعلم ما الله راضٍ به وان الله رب هذه الالهة وانه ليجب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنّبت عنه طائفة وزعمت انه علي دين بني تميم قال وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الازدي

الا علّلاني واعلما انني غرر فما قلت يجيبني الشقاق ولا الحذر
وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل اوصالي وقد شخص البصر
وجاوا بماءٍ بارد يغسلونني فيا لك من غسل سيتبعه غبر

قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلّون عليهم وكانت صلوتهم اذا مات الرجل وحُمل علي سريره ثم يقوم وليّه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كلب في الجاهلية لابن ابن له شعرًا

اعمر وان هلكت وكنت حيّا فاني مكثر لك في صلاتي
واجعل نصف مالي لابن سام حياتي ان حييت وفي مماتي

قال وكانوا يداومون علي طهارات الفطرة التي ابتلي بها ابراهيم وهي الكلمات

Digitized by Google

العشر فاتمهن خمس في الراس وخمس في الجسد فاما اللواتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والفرق والسواك واما اللواتي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلما جاء الاسلام قرّرها سنّة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطاي

الهم ربي وربي الهم فاقسمت لا ارسو ولا اتغدّر
لقد كان في اكثر ما للناس اسوة كان لم يسبق جحش بعيرا ولا حمر
وكانوا انا سا موقنين بربّهم بكل مكان فيهم عابد بكر

اراء الهند قد ذكرنا ان الهند امّة كبيرة وملّة عظيمة واراوهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات اصلاً ومنهم من يميل الي الدهر ومنهم من يميل الي مذهب الثنوية ويقول بملّة ابرهيم عليه السلم واكثرهم علي مذهب الصابية ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية اشكال وضعوها ومنهم حكماء علي طريق اليونانيين علماً وعملاً فمن كانت طريقته علي مناهج الدهرية والثنوية والصابية فقد اغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد عنهم بمقالة وراءٌ فهم خمس فرق البراهمة واصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هولاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة

البراهمة من الناس من يظنّ انهم سمّوا براهمة لانتسابهم الي ابرهيم عليه

Digitized by Google

السلم وذلك خطاء فان هولاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات اصلاً وراساً فكيف يقولون بابرهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابرهيم من اهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام علي مذهب اصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هولاء البراهمة انتسبوا الي رجل منهم يقال له برهام قد مهّد لهم نفي النبوات اصلاً وقرّر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي ياتي به الرسول لم يخلو من احد امرين اما ان يكون معقولاً واما ان لا يكون معقولاً فان كان معقولاً فقد كفانا العقل التامّ بادراكه والوصول اليه فاي حاجة لنا الي الرسول وان لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً اذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حدّ الانسانية ودخول في حريم البهيمية ومنها ان قال قد دلّ العقل علي ان الله تعالي حكيم والحكيم لا يتعبّد الخلق الا بما يدلّ عليه بعقولهم وقد دلّت الدلائل العقلية علي ان للعالم صانعاً عالماً قادراً حكيماً وانه انعم علي عباده نعماً توجب الشكر فننظر في ايات خلقه بعقولنا ونشكره بالايه علينا واذ عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه فما بالنا نتّبع بشراً مثلنا فانه ان كان يامرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يامرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً ظاهراً علي كذبه ومنها ان قال قد دلّ العقل علي ان للعالم صانعاً حكيماً والحكيم لا يتعبّد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت اصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجّه الي بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصمّ وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير

Digitized by Google

ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قال ان اكبر الكبائر في الرسالة اتّباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل ياكل مما تاكل ويشرب مما تشرب حتي تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرّف فيك رفعاً ووضعاً او كحيوان يصرّفك اماماً وخلفاً او كعبد يتقدم اليك امراً ونهياً فباي تمييز له عليك وايّة فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله علي صدق دعواه فان اغتررتم بمجرّد قوله فلا تمييز لقول علي قول وان انحسرتم بحجّته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يحصي كثرةً ومن المخبرين عن مغيّبات الامور من لا يساوي خبره قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ علي من يشاء من عباده فاذا اعترفتم بان للعالم صانعاً خالقاً حكيماً فاعترفوا بانه آمر باهٍ حاكم علي خلقه وله في جميع ما ناتي ونذر ونعلم ونفكر حكم وامر وليس كل عقل انساني علي استعداد ما يعقل عنه امره ولا كل نفس بشريّ بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اوجبت منّته ترتيباً في العقول والنفوس واقتضت قسمته ان يرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّا ورحمة ربك خير مما يجمعون فرحمة الله الكبري هي النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة ثم ان البراهمة تفرقوا اصنافاً فمنهم اصحاب البددة ومنهم اصحاب الفكرة ومنهم اصحاب التناسخ

اصحاب البددة ومعني البدّ عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واول بدّ ظهر في العالم اسمه شاكمين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الي وقت الهجرة خمسة الاف سنة قالوا ودون مرتبة البدّ مرتبة البوديسعية ومعناها الانسان الطالب سبيل

Digitized by Google

الحق وانما يصل الي تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع والتخلّي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذّاتها والعفّة عن محارمها والرحمة علي جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذي روح واستحلال اموال الناس والزناء والكذب والنميمة والبذا والشتم وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الاخرة وباستكمال عشر خصال احديها الجود والكرم الثاني العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم الثالثة التعفّف عن الشهوات الدنياوية والرابعة الفكرة في التخلّص الي ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الي عواقب الامور السادسة القوة علي تصريف النفس في طلب العليات السابعة لين القول وطيب الكلام مع كل واحد الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم علي اختيار نفسه التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجّه الي الحقّ بالكلية العاشرة بذل الروح شوقاً الي الحق ووصولاً الي جناب الحق وزعموا ان البددة اتوهم علي عدد نهر الكيل واعطوهم العلوم وظهروا لهم في اجناس واشخاص شتّي ولم يكونوا يظهرون الا في بيوت الملوك لشرف جواهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من ازلية العالم وقولهم في الجزاء علي ما ذكرنا وانما اختصّ ظهور البددة بارض الهند لكثرة ما فيها من خصائص البرية والاقليم ومن فيها من اهل الرياضة والاجتهاد وليس يشبه البدّ علي ما وصفوه ان صدقوا في ذلك الا بالخضر الذي يثبته اهل الاسلام

اصحاب الفكرة والوهم وهم اهل العلم منهم بالفلك والنجوم واحكامها المنسوبة اليهم وللهند طريقة تخالف طريقة منجّمي الروم والعجم وذلك انهم يحكمون اكثر

Digitized by Google

الاحكام باتّصالات الثوابت دون السيّارات وينشيُون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدّون زحل السعد الاكبر وذلك لرفعة مكانه وعظم جرمه وهو الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة والجزوية من النحوسة وكذلك سائر الكواكب لها طبائع وخواصّ فالروم يحكمون من الطبائع والهند يحكمون من الخواصّ وكذلك طبّهم فانهم يعتبرون خواصّ الادوية دون طبائعها والروم يخالفهم في ذلك وهولاء اصحاب الفكرة يعظّمون امر الفكر ويقولون هو المتوسّط بين المحسوس والمعقول فالصور من المحسوسات ترد عليه والحقائق من المعقولات ترد عليه ايضاً فهو مورد العلمين من العالمين فيجتهدون كل الجهد حتي يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة والاجتهادات المجهدة حتي اذا تجرّد الفكر عن هذا العالم تجلّي له ذلك العالم فربما يخبر عن مغيّبات الاحوال وربما يقوي علي حبس الامطار وربما يوقع الوهم علي رجل حي فيقتله في الحال ولا يستبعد ذلك فان للوهم اثرًا عجيباً في تصريف الاجسام والتصرّف في النفوس اليس الاحتلام في النوم تصرّف الوهم في الجسم اليس اصابة العين تصرّف الوهم في الشخص اليس الرجل يمشي علي جدار مرتفع فيسقط في الحال ولا ياخذ من عرض المسافة في خطواته سوي ما اخذه علي الارض المستوية والوهم اذا تجرّد عمل اعمالاً عجيبة ولهذا كانت الهند تغمّض عينها اياماً ليُلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرّد اذا اقترن به وهم اخر اشتركا في العمل خصوصاً اذا كانا متّفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دهمهم امر ان يجتمع اربعون رجلاً من المهذبين المخلصين المتّفقين علي راي واحد في الاصابة فيتجلّي لهم المهمّ

Digitized by Google

الذي يهضمهم حمله ويندفع عنهم البلاء الملمّ الذي يكادهم ثقله البكرنتينية يعني المصفّدين بالحديد وسنّتهم حلق الروس واللحي وتعرية الاجساد ما خلا العورة وتصفيد البدن من اوساطهم الي صدورهم ليُلا تنشقّ بطونهم من كثرة العلم وشدّة الوهم وغلبة الفكر ولعلّهم راوا في الحديد خاصّية تناسب الوهام والا فالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذلك

اصحاب التناسخ قد ذكرنا مذاهب التناسخيّة وما من ملّة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك فاما تناسخية الهند فاشدّ اعتقاداً لذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع علي شجرة فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حلّ بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل منه دهن فيجتمع في اصل الشجرة في مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع علي الشجرة وهو ابداً كذلك قالوا فما مثل الدنيا واهلها في الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا كانت حركات الافلاك دورية ولا محالة يصل راس الفرجار الي ما بدأ ودار دورة ثانية علي الخط الاول افاد لا محالة ما افاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتي يتصوّر اختلاف بين الاثرين فان المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والافلاك دارت علي المركز الاول وما اختلفت ابعادها واتّصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف المتأثرات الباديات منها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة الكبري كم هي من السنين واكثرهم

Digitized by Google

علي ثلثين الف سنة وبعضهم علي ثلثماية الف سنة وستين الف سنة وانما يعتبرون في تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند اكثرهم ان الفلك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه ناريّة هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضي فقط

اصحاب الروحانيات ومن اهل الهند جماعة اثبتوا متوسّطات روحانية ياتونهم بالرسالة من عند الله عزّ وجل في صورة البشر من غير كتاب فيامرهم باشياء وينهاهم عن اشياء ويسنّ لهم الشرائع ويبيّن لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزّهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والبعال وغيرها

الباسوية زعموا ان رسولهم ملك روحاني نزل من السماء علي صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقرّبوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسنّن لهم ان يتوشّحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الي تحت شمائلهم ونهاهم ايضاً عن الكذب وشرب الخمر وان لا ياكلوا من اطعمة غير ملّتهم ولا من ذبائحهم واباح لهم الزناء ليلًا ينقطع النسل وامرهم ان يتّخذوا علي مثاله صنماً يتقرّبون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله في كل يوم ثلث مرّات بالمعارف والتبخير والغناء والرقص وامرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث راوها ويفزعوا في التوبة الي التمسح بها وامرهم ان لا يجوزوا نهر الكنك

الباهودية زعموا ان رسولهم ملك روحاني علي صورة بشر واسمه باهوديه اتاهم وهو راكب ثور علي راسه اكليل مكلل بعظام الموتي من عظام الرؤس ومتقلّد من ذلك بقلادة باحدي يديه قحف انسان وبالاخري مزراق ذو ثلث شعب

Digitized by Google

يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتّخذوا علي مثاله صنماً يعبدونه وان لا يعافوا شيئاً وان تكون الاشياء كلها في طريقة واحدة لانها جميعاً صنع الخالق وان يتّخذوا من عظام الناس قلائد يتقلّدونها واكاليل يضعونها علي رؤسهم وان يمسحوا اجسادهم وروسهم بالرماد وحرّم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة

الكابلية زعموا ان رسولهم ملك روحاني يقال له شب اتاهم في صورة بشر متمسح بالرماد علي راسه قلنسوة من لبود حمر طولها ثلثة اشبار محيط عليها صفايح من قحف الناس متقلد قلادة من اعظم ما يكون متمنطق من ذلك بمنطق متسوّر منها باسوار متخلخل منها بخلخال وهو عريان فامرهم ان يتزيّنوا بزينة ويتزيوا بزيّه وسنّ لهم شرائع وحدوداً

البهادونية قالوا ان بهادون كان ملكاً عظيماً اتانا في صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه وعملا من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحر وقيل هذا رمز والا فمحال صورة البشر لا تبلغ الي هذه الدرجة وصورة بهادون راكب دابة كثير الشعر قد اسبلها علي وجهه وقد قسّم الشعر علي جوانب راسه قسمة مستوية واسبلها كذلك علي نواحي الراس قفاه ووجهاً وامرهم ان يفعلوا كذلك وسنّ لهم ان لا يشربوا الخمر واذا راوا امراة هربوا منها وان يحجّوا الي جبل يدعي جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون ولذلك البيت سدنة لا يكون المفتاح الا بايديهم فلا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا الباب سدّوا افواههم حتي لا تصل انفاسهم الي الصنم ويذبحون له الذبايح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجّهم لم يدخلوا العمران في طريقهم

Digitized by Google

ولم ينظروا الي محرم ولم يصلوا الي احد بسوء وضرر من قول وفعل

عبدة الكواكب ولم ينقل للهند مذهب في عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الي النيرين الشمس والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب الصابية في توجّههم الي الهياكل السماوية دون قصر الربوبيّة والالهيّة عليها

عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكوّن الموجودات السفلية وهي ملك الفلك يستحقّ التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهولاء يسمّون الدينكيتية اي عباد الشمس ومن سنّتهم ان اتّخذوا الها صنمًا بيده جوهر علي لون النار وله بيت خاصّ بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعًا وقرايا وله سدنة وقوام فياتون البيت ويصلون ثلث كرّات وياتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به

عبدة القمر زعموا ان القمر ملك من الملائكة يستحقّ التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزوية فيه ومنه نضج الاشياء المتكوّنة واتّصالها الي كمالها وبزيادته ونقصانه يعرف الازمان والساعات وهو تلو الشمس وقرينها ومنها نوره وباللظر اليها زيادته ونقصانه وهولاء يسمّون الجندريكنية اي عباد القمر ومن سنّتهم ان اتّخذوا صنمًا علي صورة عجل وبيد الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتي يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون اليه وينظرون الي القمر ويسئلونه حوائجهم فاذا استهلّ الشهر علوا السطوح واوقدوا الدخن ودعوا عند رويته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الي الطعام والشراب

Digitized by Google

والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا علي وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار اخذوا في الرقص واللعب والمعازف بين يدي الصنم والقمر

عبدة الاصنام اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون اخر الامر الي عبادة الاصنام اذ كان لا يستمرّ لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه وعن هذا اتّخذت اصحاب الروحانيات والكواكب اصناماً زعموا انها علي صورتها وبالجملة وضع الاصنام حيث ما قدّر انما هو علي معبود غائب حتي يكون الصنم المعمول علي صورته وشكله وهيئته نائباً منابه وقائماً مقامه والا ففعلم قطعاً ان عاقلاً ما لا ينحت بيده خشباً صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه واله الكل اذ كان وجوده مسبوقاً بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا علي التوجّه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجّة وبرهان وسلطان من الله تعالي كان عكوفهم فلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى فلو كانوا مقتصرين علي صورها في اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدّوا عنها الي رب الارباب

المهاكالية لهم صنم يدعي مهاكال له اربع ايدي كثر شعر الراس سبطها وباحدي يديه ثعبان عظيم فاغر فاه وبالاخري عصاً وبالثالثة راس الانسان وباليد الاخري قد دفعها وفي اذنيه حيتان كالقرطين وعلي جسده ثعبانان عظيمان قد التفّا عليه وعلي راسه اكليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيمة قدره واستحقاقه لها لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه المفزع

لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند ياتونها اهل ملّته في كل يوم ثلث مرّات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اخترفيه صنم عظيم علي صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتي ان الرجل يقول له فيما يسأل زوّجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه ويقيم عنده الايام والياني لا يذوق شيئًا يتضرّع اليه ويسأله الحاجة حتي ربّما يتفّق

البركسهيكية من سنّتهم ان يتّخذوا لانفسهم صنمًا يعبدونه ويقرّبون له الهدايا وموضع تعبّدهم له ان ينظروا الي باسق الشجر وملتفّه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها احسنها واطولها فيجعلون ذلك الموضع موضع تعبّدهم ثم ياخذون ذلك الصنم فياتون شجرة عظيمة من تلك الشجر فينقرون فيها موضعًا يركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة

الدهكينية من سنّتهم ان ياخذوا صنمًا علي صورة امراة وفوق راسه تاج وله ايدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار ودخول الشمس الميزان فيتخذون في ذلك اليوم عريشًا عظيمًا بين يدي ذلك الصنم ويقرّبون اليه القرابين من الغنم وغيرها ولا يذبحونها ولكن يضربون اعناقها بين يديه بالسيوف ويقتلون من اصابوا من الناس قربانًا بالغيلة حتي ينقضي عيدهم وهم مسيئون عند عامّة اهل الهند بسبب الغيلة

الجلهكية اي عباد الماء يزعمون ان الماء ملك ومعه ملائكة وانه اصل كل شي وبه ولادة كل شيٍ ونمو ونشو وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا ويحتاج الي الماء فاذا اراد الرجل عبادته تجرّد وستر عورته ثم دخل الماء حتي

Digitized by Google

وصل الي وسطه فيقيم ساعة او ساعتين او اكثر ويأخذ ما امكنه من الرياحين فيقطّعها صغاراً يلقي فيه بعضه بعد بعض وهو يسبح ويقرا واذا اراد الانصراف حرّك الماء بيده ثم اخذ منه فيقطر به راسه ووجهه وسائر جسده خارجاً ثم سجد وانصرف

الاكنواطرية اي عبادة النار زعموا ان النار اعظم العناصر جرماً واوسعها حيّزاً واعلاها مكاناً واشرفها جوهراً وانورها ضيئاً واشراقاً والطفها جسماً وكياناً والاحتياج اليها اكثر من الاحتياج الي سائر الطبائع ولا نور في العالم الا بها ولا حيوة ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها وانما عبادتهم لها ان يحفروا اخدوداً مربعاً في الارض واججوا النار فيه ثم لا يدعون طعاماً لذيذاً ولا شراباً لطيفاً ولا ثوباً فاخراً ولا عطراً فائحاً ولا جوهراً نفيساً الا طرحوها فيه تقرّباً اليها وتبرّكاً بها وحرّموا القاء النفوس فيها واحراق الابدان بها خلافاً لجماعة اخري من زهّاد الهند وعلي هذا المذهب اكثر ملوك الهند وعظمائها يعظمون النار لجوهرها تعظيماً بالغاً ويقدمونها علي الموجودات كلها ومنهم زهّاد وعبّاد يجلسون حول النار صائمين يسدّون منافسهم حتي لا يصل اليها من انفاسهم نفس صدر عن صدر محرم وسنّتهم الحثّ علي الاخلاق الحسنة والمنع من اضدادها وهي الكذب والحسد والحقد واللجاج والبغي والحرص والبطر فاذا تجرّد الانسان عنها قرب من النار وتقرّب اليها

حكماء الهند كان لفيثاغورس الحكيم اليوناني تلميذ يدعي قلانوس قد تلقّي الحكمة منه وتلمذ له ثم صار الي مدينة من مدائن الهند واشاع فيها راي فيثاغورس وكان برحمنن رجلاً جيّد الذهن ناقد البصر صائب الفكر راغباً في

معرفة العوالم العلوية قد اخذ من قلانوس الحكيم حكمة واستفاد منه علمه وصنعته فلما توفّي قلانوس ترأّس برحمنن علي الهند كلهم فرغب الناس في تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اي امريٍ هذّب نفسه واسرع في الخروج عن هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شي وعاين كل غائب وقدر علي كل متعذر وكان محبوراً مسروراً ملتذاً عاشقاً لا يملّ ولا يكلّ ولا يمسّه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتجّ عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهاداً شديداً وكان يقول ايضاً ان ترك لذّات هذا العالم هو الذي يلحقكم بذلك العالم حتي تتّصلوا به وتنخرطوا في سلكه وتخلدوا في لذّاته ونعيمه فدرس اهل الهند هذا القول ورسخ في قلوبهم ثم توفّي عنهم برحمنن وقد تجسّم القول في عقولهم لشدة الحرص والعجلة في اللحاق بذلك العالم افترقوا فرقتين ففرقة قالت ان التناسل في هذا العالم هو الخطاء الذي لا خطاء ابين منه اذ هو نتيجة اللذّة الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام وما يودّي اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشّط النفوس البهيمية فحرام ايضاً فاكتفوا بالقليل من الغذاء علي قدر ما يثبت به ابدانهم ومنهم من كان لا يري ذلك القليل ايضاً ليكون لحاقه بالعالم الاعلي اسرع ومنهم من اذا راي عمره قد تدنّس القي نفسه في النار تزكية لنفسه وتطهيراً لبدنه وتخليصاً لروحه ومنهم من يجمع ملاذّ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثّلها نصب عينه لكي يراها البصر ويتحرّك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتي يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذي كان يربطها به واما

Digitized by Google

الفريق الاخر فانهم كانوا يرون القناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقذر الذي هو طريق الحق حلالاً وقليل منهم من يتعدّي عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتلطّفوا حتي صاروا يظهرون علي ما في انفس اصحابهم من الخير والشرّ ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصاً علي رياضة الفكر وقهر النفس الامّارة بالسوء واللحوق بما لحق به اصحابهم ومذهبهم في الباري تعالي انه نور محض الا انه لابس جسداً ما يستتر لئلا يراه الا من استاهل رويته واستحقّها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر احد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتي منعها عن ملاذّها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي اسيراً في يدها والذي يريد تحارب هذا اجمع فانما يقدر علي محاربتها بنفي التخبّر والعجب وتسكين الشهوة والحرص والبعد عما يدلّ عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر الي تلك الديار واراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة احد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذّات في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يخرج الي فساد البدن فجهد حتي افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطرحة كانها جثث السمك الصافية النقية التي في الماء الصافي فلما راوا ذلك ندموا علي فعلهم وامسكوا عن الباقين والفريق الثاني الذين زعموا ان لا خير في اتّخاذ النساء والرغبة في النسل ولا في شي من الشهوات الجسدانية كتبوا الي الاسكندر كتاباً مدحوه فيه علي حبّ الحكمة وملابسته

Digitized by Google

العلم وتعظيم اهل الراي والعقل والتمسوا منه حكيماً يناظرهم فنفذ اليهم واحداً من الحكماء فنضلوه بالنظر وفضلوه بالعمل فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بجوايز سنّية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل في هذا العالم فكيف اذا البسناها علي ما يجب لباسها واتّصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة في كتب ارسطوطاليس ومن سنّتهم اذا نظروا الي الشمس قد اشرقت سجدوا لها وقالوا ما احسنك من نور وما ابهاك وما انورك لا تقدر الابصار ان تلتذّ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك المجد والتسبيح واياك نطلب واليك نسعي لندرك السكني بقربك وننظر الي ابداعك الاعلي وان كان فوقك واعلي منك نور اخر انت معلول له فهذا التسبيح وهذا المجد له وانما سعينا وتركنا جميع لذّات هذا العالم لنصير مثلك ونلحق بعالمك ونتّصل بمساكنك اذا كان المعلول بهذا البهاء والجلال فكيف يكون بهاء العلّة وجلالها ومجدها وكمالها فحق لكل طالب ان يحتقر جميع اللذّات فيظفر بالجوار بقربه ويدخل في غمار جنده وحزبه هذا ما وجدته من مقالات اهل العالم ونقلته علي ما وجدته فمن صادف فيه خللاً في النقل فاصلحه اصلح الله عز وجل حاله وسدّد اقواله وافعاله والحمد لله رب العالمين وصلي الله علي محمد واله اجمعين

تم الكتاب بحمد الله الوهّاب

Digitized by Google

ذائعة
والانتشار

Digitized by Google

فهرست كتاب الملل والنحل

المقدمة ا ٢
المقدمة ب ٣
المقدمة ج ٥
المقدمة د ٩
المقدمة ه ٢٠
مذاهب اهل العالم . . . ٢٤
ارباب الديانات والملل من المسلمين واهل الكتاب وممن له شبهة كتاب . . . ٢٥
المسلمون ٢٦
اهل الاصول ٢٨
المعتزلة ٢٩
الواصلية ٣١
الهذيلية ٣٤
النظامية ٣٧
الحايطية ٤٢
البشرية ٤٤
المعمرية ٤٦
المزدارية ٤٨
الثمامية ٤٩
الهشامية ٥٠
الجاحظية ٥٢
الخياطية ٥٣
الجبايية ٥٤
الجبرية ٥٩
الجهمية ٦٠
النجارية ٦١
الصفاتية ٦٤
الاشعرية ٦٥
المشبهة ٧٥
الكرامية ٧٩
الخوارج والمرجية والوعيدية . . ٨٥
الخوارج ٨٥
المحكمة ٨٦
الازارقة ٨٩
النجدات العاذرية ٩١
البيهسية ٩٣
العجاردة ٩٥
الصلتية
الميمونية
الحمزية
الخلفية
الاطرافية
٩٦
الشعيبية
الخازمية
٩٧
الثعالبة ٩٨
الاخنسية ٩٨
المعبدية ٩٨
الرشيدية ٩٨
الشيبانية ٩٩
المكرمية ٩٩
المعلومية والمجهولية . . . ١٠٠

Digitized by Google

الاباضية ١٠٠
الحفصية ١٠١
الحارثية ١٠١
اليزيدية ١٠١
الصفرية ١٠٢
رجال الخوارج ١٠٢
المرجية ١٠٣
اليونسية ١٠٤
العبيدية ١٠٤
الغسانية ١٠٥
الثوبانية ١٠٥
التومنية ١٠٧
الصالحية ١٠٧
رجال المرجية ١٠٨
الشيعة ١٠٨
الكيسانية ١٠٩
المختارية ١٠٩
الهاشمية ١١٢
البنانية ١١٣
الرزامية ١١٤
الزيدية ١١٥
الجارودية ١١٨
السليمانية ١١٩
الصالحية ١٢٠
الامامية ١٢٢
الباقرية والجعفرية ١٢٤
الناوسية ١٢٦
الافطحية ١٢٦
الشميطية ١٢٦
الموسوية والمفضلية . . . ١٢٦
الاسمعيلية ١٢٧
الاثنا عشرية ١٢٨
الغالية ١٣٢
السبابية ١٣٢
الكاملية ١٣٣
العلبابية ١٣٤
المغيرية ١٣٤
المنصورية ١٣٥
الخطابية ١٣٦
الكيالية ١٣٨
الهشامية ١٤١
النعمانية ١٤٢
النصيرية والاسحاقية . . . ١٤٣
رجال الشيعة ١٤٥
الاسمعيلية ١٤٥
الباطنية ١٤٧
اهل الفروع ١٥٣
اصحاب الحديث ١٦٠
اصحاب الراي ١٦١
الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية . ١٦١
اهل الكتاب ١٦٢
اليهود والنصاري ١٦٢
اليهود خاصة ١٦٣
العنانية ١٦٧
العيسوية ١٦٨
المقاربة واليوذعانية . . . ١٦٨
السامرة ١٧٠
النصاري امة المسيح . . . ١٧١
الملكائية ١٧٣

Digitized by Google

النسطورية ١٧٥
اليعقوبية ١٧٦
من له شهية كتاب . . . ١٧٩
المجوس واصحاب الاثنين والمانوية وساير فرقهم . ١٧٩
المجوس ١٨٢
الكيومرثية ١٨٢
الزروانية ١٨٣
الزرادشتية ١٨٥
الثنوية ١٨٨
المانوية ١٨٨
المزدكية ١٩٢
الديصانية ١٩٤
المرقونية ١٩٥
الكينوية والصيامية . . . ١٩٦
اهل الاهواء والنحل . . . ٢٠١
الصابية ٢٠٣
اصحاب الروحانية . . . ٢٠٣
مناظرات ومحاورات بين الصابية والحنفاء . . ٢٠٥
حكم هرمس ٢٤٠
اصحاب الهياكل والاشخاص . ٢٤٤
الفلاسفة ٢٥١
الحكماء السبعة الذين هم اساطين الحكمة . . ٢٥٣
راي ثاليس ٢٥٤
— انكساغورس ٢٥٦
— انكسيمانس ٢٥٨
— انبذقلس ٢٦٠
— فيثاغورس ٢٦٥
راي سقراط ٢٧٨
— افلاطن ٢٨٣
— فلوطرخيس ٢٩٠
— كسنوفانس ٢٩١
— زينون ٢٩٢
— ذيمقراطيس وشيعته . ٢٩٤
— فلاسفة اقاذ اميا . . . ٢٩٥
— هرقل الحكيم . . . ٢٩٦
— ابيقورس ٢٩٧
حكم سولون ٢٩٧
— اوميرس ٢٩٩
— بقراط ٣٠٢
— ديمقراطيس . . . ٣٠٥
— اوقليدس ٣٠٧
— بطلميوس ٣٠٨
حكماء اهل المظلّ وهم خروسبس وزينون . . ٣٠٩
راي ارسطوطاليس . . . ٣١١
حكم الاسكندر الرومي . . ٣٢٨
— ديوجانس الكلبي . . ٣٣٢
— الشيخ اليوناني . . ٣٣٤
— ثاوفرسطيس . . . ٣٣٧
— برقلس ٣٣٨
راي ثامسطيوس . . . ٣٤٣
— الاسكندر الافروديسي . ٣٤٤
— فرفوريوس ٣٤٥
المتاخرون من فلاسفة الاسلام . ٣٤٨
ابو علي ابن سينا . . . ٣٤٨
كلامه في المنطق . . . ٣٤٨
— في الالهيات . . . ٣٦٣

Digitized by Google

كلامه في الطبيعيات . . . ٣٩٦
اراء العرب في الجاهلية . . ٤٢٩
معطلة العرب ٤٣٢
المحصلة من العرب . . . ٤٣٤
اراء الهند ٤٤٤
البراهمة ٤٤٤
اصحاب البدنة ٤٤٦
اصحاب الفكرة والوهم . . ٤٤٧
البكرنتينية ٤٤٩
اصحاب التناسخ ٤٤٩
اصحاب الروحانيات . . . ٤٥٠
الباسوية ٤٥٠
الباهودية ٤٥٠
الكابلية ٤٥١
البهادونية ٤٥١
عبدة الكواكب ٤٥٢
ـــــ الشمس ٤٥٢
ـــــ القمر ٤٥٢
ـــــ الاصنام ٤٥٣
المهاكالية ٤٥٣
البركسهيكية ٤٥٤
الدهكينية ٤٥٤
الجلهكية ٤٥٤
الاكنواطرية ٤٥٥
حكماء الهند ٤٥٥

Digitized by Google

Digitized by Google

advantage over the rest of having been written by a more learned and intelligent scribe.

In the fifth introductory chapter Al-Shahrastáni has given various Symbols, which, by being prefixed, were designed to mark the several divisions and sub-divisions into which he has distributed his work. In some of the copies these are left out altogether, and in none are they uniformly and constantly retained. Being, therefore, unable to give them accurately, I have omitted them, because they are in no way essential to the work; and the author himself confesses that he only introduced them at all to gratify his own vanity of proving that, although he was a Jurisconsult and a Theologian, he was not on that account ignorant of the principles and rules of arithmetical arrangement.

In editing, for the first time, a work of so great extent, and embracing such a vast variety of subjects, it is impossible that I can altogether have avoided errors of oversight; and it is pardonable if I have fallen into others of ignorance. I know that the unlearned are always the severest critics; for although they may be able to perceive a mistake when pointed out to them, or even to discover it for themselves, they are not sufficiently instructed either to understand how difficult it is always to avoid error, or duly to appreciate that which is correct. To such this book is not accessible. I enjoy, therefore, the advantage of committing it into the hands of the learned, who, being able to estimate the difficulty of my undertaking and the labour which I have bestowed upon it, will be ready upon every occasion to accord me the fullest indulgence.

فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطاء فهو من شان الانسان والمسئول من كل من وقف عليه من الاخوان في الله تعالي سترما فيه من الخطاء واصلاح ما يمكن اصلاحه وعدم المواخذة بما فيه من نقص او خلل

ان تجد عيباً فسدّ الخللا
جل من لا عيب فيه وعلا

Digitized by Google

of another. It appears much more probable that phrases not strictly grammatical or logical should have been corrected in one MS. by a scribe of taste and intelligence, than that different scribes should have made exactly the same solecism in four or five other copies, both of greater and less antiquity. In many instances, particularly in the case of proper names, I have often found that no two copies agreed together, and that not even one was consistent with itself. This has caused me great embarrassment. Indeed, the difficulties which I have had to contend with on this account can only be understood by those who have been engaged in similar labours. The great carelessness of transcribers in omitting the diacritical points, by which alone several different letters can be distinguished, and in confounding similar letters with each other in the names of persons or places, concerning which they have been ignorant, and where the context would furnish no guide, have often so completely corrupted and transformed the word, that it has become almost impossible to restore it. This I have found to be especially the case in the account of the religions of India. With respect to the names taken from the Greek I have had some more certain grounds to rely upon; but these also have been so perverted, that sometimes I have only been able to restore them by taking one element from the reading of one MS., and another from a second, and so on. In the chapter on the tenets of the antient Arabians I have experienced very great difficulty, in consequence of the extreme variety in the several copies; and although I have consulted other works, both printed and manuscript, in which the same verses as are given in that chapter have been cited, I have found that the still increased discrepancy only augmented my embarrassment. When, therefore, I have been unable otherwise to come to a decision, I have usually followed the reading of the MS. No. 5, mentioned above, which, although I will not venture to affirm that it be of greater authority than any of the others, has certainly the

Digitized by Google

have been added, but they are not always to be depended upon. There are various corrections in the margin, and it is preceded by an alphabetical index of the contents. This belongs to the same collection as the preceding. Additional MS. No. 7251.

Besides these copies of the original work, I have also made use of the Persian translation belonging to the library of the East-India Company, and likewise of the author's History of Philosophers تاريخ الحكماء, which has been kindly lent me by my friend Mr. Bland. I have not, indeed, found it stated anywhere in this latter book that it is the production of Al-Shahrastáni; but the comparison of numerous passages in it with others of the book of Religious and Philosophical Sects, in which almost the same expressions occur, can scarcely leave any question as to the identity of their authorship.

It remains for me now to add a word or two respecting the manner in which I have made use of these MSS. in my edition of this work. My object has been in every instance to endeavour, upon the evidence before me, to ascertain to the best of my judgment what the author himself wrote, and to make that my text. I conceive it to be the duty of an editor to represent faithfully even all the manifest errors of his author, and to make his own corrections or observations thereon in notes or otherwise; nor ought he, upon his own authority, to make any change of expression, or even to alter a single word, for the sake of improving the style or of giving it greater perspicuity. I mention this, because I believe I have discovered some errors as to facts in parts of this book; and further, because the style of the author, being a native of Khurásán, is frequently not in perfect accordance with the precepts of the best Arabic grammarians: and I have therefore often passed over a reading in one MS. which appeared to me in itself to be the most preferable, when the authority of the rest of the copies has preponderated in favour

Digitized by Google

oriental treasures of his library to scholars both at home and abroad.

4. An octavo volume, on paper, consisting of about 300 leaves, written in a Persian hand by one Muhammad Sádic, an inhabitant of Lahore, in the year of the Hijrah 1181, A.D. 1767. This MS. is badly transcribed; and in some instances the scribe has evidently written from dictation, without at all understanding what he wrote; but the copy which he followed appears to have been good. To the end of the work in this MS. is appended an extract from an historical work by Abd al-Cádir al-Bagdádi, الاصل الرابع عشر من كتاب التواريخ لعبد القادر البغدادي. This belongs to the library of the Honourable East-India Company, and I am indebted for the use of it to the librarian, the highly distinguished President of the Society under whose auspices this book is printed.

5. A MS., on silk paper, in octavo, containing 250 leaves, transcribed in the year of the Hijrah 893, A.D. 1448. This is in general the most carefully transcribed of any of the copies which I have used; but in several instances either the writer of this volume, or of that whose authority he has followed, seems to have ventured upon corrections or improvements upon that which the concurrence of the other copies seems to determine to be the text of the author himself. In many cases of doubt and uncertainty, occasioned by the great discrepancy of the copies before me, I have chosen the reading of this MS. as generally being the most correct. It appertains to the collection, now deposited in the British Museum, of Mr. C. J. Rich, late English Resident at Bagdad. Additional MS. No. 7250.[1]

6. A volume, on paper, of 245 leaves, in octavo, without date. It is tolerably correct, and in some places the vowels

[1] See my Catalogue—"Catalogus Codicum MSS. Orientalium qui in Museo Britannico asservantur": fol., Londini 1846, p. 111.

Digitized by Google

It consists of about 240 leaves. There is no notice of the writer, or of the date of its transcription; but a note at the end of the volume states that one Zakariya Ibn Barakát read it at the end of the year of the Hijrah 613, A.D. 1217, or not more than about 65 years after the author's death. This MS. is not very correct: the diacritical points are frequently omitted, especially in such passages as are otherwise obscure. It belongs to the library of the University of Leyden, No. 447, ex legato Levini Warneri.

2. A recently transcribed volume, badly written, but which appears to have followed a good copy. It contains only part of the work, from the beginning to the chapter on Hermes حكم هرمس العظيم[1] inclusively. This also is the property of the University of Leyden, No. 711, ex legato Levini Warneri.

I am indebted for the use of these two MSS. to the late much-lamented Professor Weyers; and I gladly seize this opportunity of acknowledging his kindness, and at the same time of expressing my deep sympathy with those who deplore the early loss of this very able scholar and truly estimable man.

3. A volume, on silk paper, in quarto, consisting of about 200 leaves. There is no note of the time of transcription; but the book is very antient. It is written in a difficult character; and although the diacritical points are not unfrequently omitted, the vowels are occasionally added. This volume belongs to Dr. John Lee of Hartwell House, who not only granted me the loan of it, but has most kindly allowed me to retain it in my possession for a period of nearly six years, during which time this work has been carried through the press. It affords me much pleasure to have such an occasion of bearing my testimony to Dr. Lee's extraordinary liberality, who has always been ready to throw open the extensive

[1] See p. ٢٩٥.

Digitized by Google

followers of Muhammad, and likewise of those to whom a true revelation had been made, اهل الكتاب, that is, Jews and Christians; and of those who had a doubtful or pretended revelation, من له شبهة الكتاب, such as the Magi and Manicheans. The second division comprises an account of the philosophical opinions of the Sabeans, which are mainly set forth in a very interesting dialogue between a Sabean and an orthodox Muhammadan; of the tenets of various Greek Philosophers and some of the Fathers of the Christian Church; and also of the Muhammadan Doctors, more particularly of the system of Ibn Sína, or Avicenna, which the author explains at considerable length. The work terminates with an account of the tenets of the Arabs before the commencement of Islamism, and of the religion of the people of India.

I reserve, also, my observations respecting the sources from which this author has probably derived his information for the Preface to the English translation. The various readings, conjectural emendations, and list of errata, which should have accompanied this second volume of the text, I have thought it prudent to postpone till the translation shall have been completed. This task will impose upon me the necessity of re-considering with the greatest care every sentence, as well as of re-examining the whole work; and I trust also to have an opportunity of collating entirely the two MSS. at Oxford[1], which at present I have only consulted as to certain passages of great doubt and difficulty, through the assistance of Professor Reay, who always has been ready most kindly to make the collations that I required.

The following is a list of the MSS. upon which my edition of this work has been formed:—

1. A quarto volume, on silk paper, except five leaves near the beginning of the book, which have been inserted recently.

[1] MS. Pocock. 83; see Uri's Catalogue, p. 57; and Hunt. 158; this is described very fully by Nicoll in his excellent Catalogue, p. 75.

Digitized by Google

frequently cited, but it has also been translated both into the Persian[1] and Turkish[2] languages. It was first made known in Europe by the excellent Dr. Edward Pocock, who, having obtained a copy of the work during his residence in the Levant, has frequently cited it in his famous *Specimen Historiæ Arabum*, published in the year 1649. Abraham Echellensis[3] has given a list of Muhammadan Sects, derived from this author, in his reply to Selden, printed A.D. 1661, of which Maracci,[4] Steph. Evod. Assemani[5], and Sale[6] have availed themselves. De Sacy[7] has likewise taken an extract from this book; and Schmölders[8] and others have also made use of it.

As I hope to be able to fulfil the intention which I have announced, of publishing an English translation of the whole of this work, I abstain at present from entering into any further details respecting it, than merely to give the following very brief outline of the nature of its contents.

After five introductory chapters, the author proceeds to arrange his book into two great divisions; the one comprising the Religious, the other the Philosophical Sects. The former of these contains an account of the various Sects of the

[1] A copy of the Persian translation is found in the library at the East-India House, No. 1323. There is also a Persian Commentary on this work in the library of Eton College. See a "Letter to Richard Clarke, Esq., on the Oriental MSS. in the library of Eton College," by Mr. Bland, in the Journal of the Royal Asiatic Society for 1844, p. 104.

[2] See Jahrbuch. Wien. Vol. lxxi. Anzeige-Blatt. p. 50.

[3] See "Eutychius Patriarchus Alexandrinus vindicatus, sive Responsio ad Joannis Seldeni Origines." 4to. Romæ, 1661, p. 385, and Index Auctorum, No. 58.

[4] "Prodromus ad Refutationem Alcorani": fol. Patavii, 1698. pars. iii. p. 73.

[5] "Bibliothecæ Mediceæ Laur. et Palat. Codd. MSS. Orr. Catalogus," fol. Florentiæ, 1742, p. 251.

[6] See Preliminary Discourse to his translation of the Coran, Sect. viii.

[7] "Chrestomathie Arabe," tom. i. p. 360.

[8] "See Éssai sur les Ecoles Philosophiques chez les Arabes par Auguste Schmölders." 8vo. Paris, 1842.

Digitized by Google

sight of it, and the very mountains would tremble: its burning heat would be more intolerable than that of the glowing coals of the *Gada;*[1] and should the inhabitants of hell be tormented with it, they would be glad to fly for refuge to the punishments which they now endure, as to a place of repose." Al-Shahrastáni died in his native city in the year of the Hijrah 548, A.D. 1153.

He is the author of several important works. Ibn Khallikán mentions three; 1.[2] *Nihâyat al-Icdâm fi ilm al-Kalâm;* 2. This present work; 3. *Talkhís al-Aksâm li-madâhib al-Anâm.*[3] To these Ibn al-Mulaccin adds a fourth, called *Masâraat al-Falásifat*[4], and Abulfeda a fifth, named *Al-Manâhij.*[5] He wrote likewise an account of Philosophers, entitled *Taríkh al-Hukama*[6], and probably also other works; he speaks himself of one in the book before us.[7] But the most celebrated of all his labours is his Treatise on the Religious and Philosophical Sects; which was composed, as it appears from his own statement, about the year of the Hijrah 521[8], A.D. 1127. It is held in high estimation among the learned in the East, and not only has its authority been

[1] "The charcoal of the Ghada-tree is frequently mentioned by the poets as retaining its fire a great length of time." Note of M. De Slane, p. 453 of the volume above cited.

[2] There is a copy of this work in the Bodleian Library. Marsh. 356. See Uri, "Bibliothecæ Bodleianæ Codd. MSS. Orr. Catalogus," p. 114.

[3] Ibn al-Mulaccin reads الايمة instead of الانام. See طبقات الفقها الشافعية in Bodleian Library. Hunt. 108, fol. 135.

[4] See ibid.

[5] See "Abulfedæ Annales Moslemici," Vol. iii. p. 535.

[6] See Haj. Khal. edition of Fluegel, Vol. ii. p. 125. Two copies of this work are in the possession of Mr. Bland of Randall's Park; but the one appears to have been transcribed from the other. I have seen, also, a Persian translation of it, which was brought to England by Mr. Fraser, but it was afterwards purchased by the Prince of Oude during his residence in London, and taken back to India.

[7] See p. ٣٤٠.

[8] See p. ١٩٢

Digitized by Google

PREFACE.

Abú 'l-Fath Muhammad, the Author of this work, received the appellation of Al-Shahrastáni from Shahrastán, his native place, a city in the province of Khurásán. According to the authority of Al-Samáni[1], who reports his own statement, he was born in the year of the Hijrah 479, or A.D. 1086. Ibn Khallikán, who cites this account from Al-Samáni, observes also that he had found among his own memoranda a note attributed to this same author, assigning the date of his birth to the year of the Hijrah 467; but at the same time he makes the remark, that he had forgotten from what source he had taken this note. Al-Shahrastáni studied Jurisprudence under Ahmad al-Khawáfi and Abú Nasr al-Cushairi, in which science, as well as that of Scholastic Theology, he attained great distinction: his preceptor in this latter branch of study was Abú 'l-Cásim al-Ansári. He was addicted to the sect of the Asharites, of whose tenets he has given an account in the work before us.[2]

In the year of the Hijrah 510, as stated by Ibn Khallikán[3], he made a visit to Bagdad, and continued to reside there for three years, being treated with the greatest attention and respect.

He is said to have been in the habit of frequently repeating the following words of Al-Nazzám al-Balkhi: "If discord could assume a visible form, men's hearts would be terrified at the

[1] See "Ibn Khallikán's Biographical Dictionary, translated from the Arabic by the Baron Mac Guckin De Slane," Vol. ii. p. 675, from which source I have chiefly taken this account.

[2] See p. ٦٥

[3] This is likewise given upon the authority of Al-Samáni, although Ibn Khallikán has not stated so; and the account is also repeated, from him, by Al-Subki, in his short notice of Al-Shahrastáni. See MS. Selden. 3171, 38, fol. 52, b.

Digitized by Google

intrinsic value and importance must ensure for it a favourable reception among the learned in every quarter of the globe, even although my own task as editor may have been but imperfectly executed.

I have the honour to be, my Lord,

With the greatest respect,

Your Lordship's most faithful Servant,

WILLIAM CURETON.

British Museum,
August 1, 1846.

Digitized by Google

TO THE RIGHT HONOURABLE

ALGERNON, BARON PRUDHOE,

D.C.L. F.R.S., &c. &c.

VICE-PRESIDENT OF THE SOCIETY FOR THE PUBLICATION OF ORIENTAL TEXTS.

My Lord,

Your Lordship is distinguished among all the Noblemen of this mighty Empire for the lively interest which you have manifested in the welfare of the Society under whose auspices this work is published; and I have myself received more encouragement to pursue my Oriental Studies from your Lordship than from any other person of high rank or station among my own countrymen.

It affords me, therefore, much gratification to have an opportunity of testifying my great respect and esteem for your Lordship's high acquirements and character, in being permitted to dedicate to your Lordship a work whose

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب الملل والنحل

BOOK

OF

RELIGIOUS AND PHILOSOPHICAL SECTS,

BY

MUHAMMAD AL-SHAHRASTÁNI.

—

NOW FIRST EDITED FROM THE COLLATION OF SEVERAL MSS.

BY THE

REV. WILLIAM CURETON, M.A. F.R.S.

ASSISTANT KEEPER OF THE MANUSCRIPTS IN THE BRITISH MUSEUM,

LATE SUB-LIBRARIAN OF THE BODLEIAN LIBRARY.

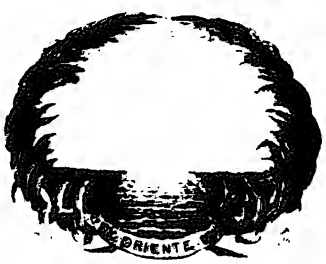

LONDON:
PRINTED FOR THE SOCIETY FOR THE PUBLICATION
OF ORIENTAL TEXTS.

—

M DCCC XLVI.

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

719002

BC1060
M8
v.2

UNIVERSITY OF CALIFORNIA LIBRARY

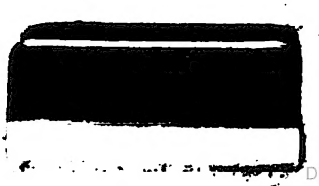

Digitized by Google

UC-NRLF
$B 8 104